



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سورتي (الأنعام - والأعراف)

إعداد

الباحثة / فاتنة توفيق السكني .

إشراف

الدكتور / مروان أبو راس .

الدكتور / زهدي أبو نعمة .

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن

شعبان ١٤٢٧هـ - سبتمبر ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سورتي: (الأنعام والأعراف)

رسالة ماجستير

إعداد

الباحثة / فاتنة توفيق السكني

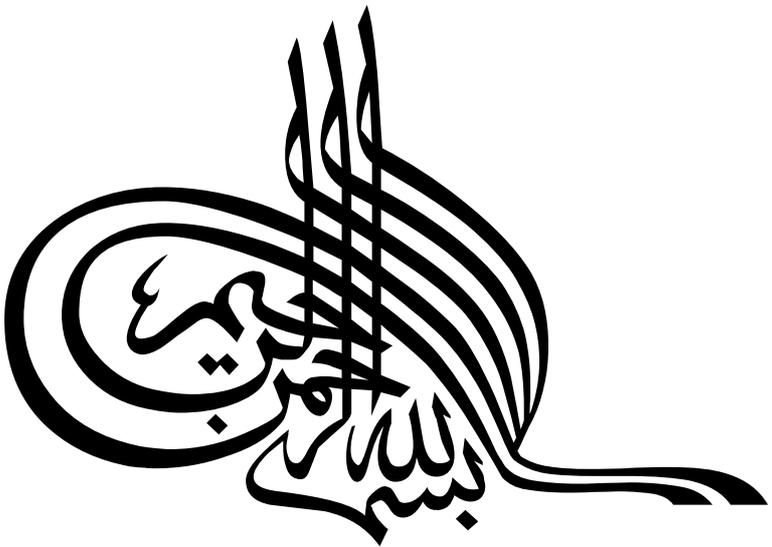
إشراف

الدكتور / مروان أبو راس.

الدكتور / زهدي أبو نعمة .

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن

شعبان ١٤٢٧ هـ - سبتمبر ٢٠٠٦ م



الإهداء

إلى والديَّ الحبيبين حفظهما الله.

إلى روح زوجي الشهيد زكريا أحمد الشوربجي رحمه الله.

إلى ابني وقرّة عيني يحيى الغالي.

إلى إخوتي وأخواتي وأزواجهم وزوجاتهم وأبنائهم وبناتهم
حفظهم الله جميعاً، وبارك الله فيهم .

إلى أرواح شهدائنا الأبرار.

إلى حكومتنا الموقرة حفظها الله ورجالها.

إلى صديقاتي وزميلاتي ورفيقات دربي على طريق الدعوة
إلى الله.

إلى كل طالب للعلم، يبتغي مرضاة الله.

إلى كل خير على دينه ووطنه.

إليهم جميعاً

أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وعرفان

الحمد لله القوي المتين، الذي نزل القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، وجعله منارات للهدى، وبشارات للمحسنين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، المبعوث هدى ورحمة للعالمين، ومعلم البشرية أجمعين، الذي نزل عليه القرآن بلسان عربي مبين، عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد: فإني امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان ١٢] ونزولاً عند قوله ﷺ: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"^(١). أسجل في هذا المقام شكري وتقديري وعرفاني بالجميل. فأما الشكر فلأستاذي وشيخي المشرف على الرسالة.

فضيلة الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة.

حفظه الله ورعاه على ما بذله معي من جهد في قراءة الرسالة وإسداء النصح والتوجيه، جزاه الله عني خير الجزاء، كما ولا يفوتني أن أurd الفضل لأهله فالشكر أولاً لله، ثم للدكتور الفاضل مروان أبو راس حفظه الله ورعاه، الذي وضع قدمي على الطريق السليم للبحث في مثل هذا المجال القديم الحديث فهو صاحب الفكرة والذي ما فتئ يمدني بنصحه وتوجيهاته رغم ثقل أعبائه، فبارك الله فيه.

(١) حديث صحيح . أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ح ٧٩٢٦ ، ٨٠٠٦ ، ٩٠٢٢ ، ٩٩٤٥ ، ١٠٣٨٢) . والترمذي (٣٣٩/٤) في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، حديث رقم ١٩٥٤ ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وأبو داود (٢٥٥/٤) في كتاب الأدب، باب: في شكر المعروف. حديث رقم: (٤٨١١).

كما وأتقدم بعظيم الشكر والامتنان لمناقشي الفاضلين:

فضيلة الدكتور: رياض قاسم .

فضيلة الدكتور: عبد الكريم الدهشان .

حفظهما الله وبارك لهما في دينهما و علمهما، لتفضّلهما بمناقشة هذه الرسالة، وما سيبيدياه من نصائح وتوجيهات وملاحظات لتخرج بأفضل ما يكون، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني -هنا- أن أسجل شكري واعتزازي، للجهود الطيبة التي تبذلها الجامعة الإسلامية الغراء، بصورة عامة، وكلية أصول الدين بصفة خاصة، ممثلة بأساتذتها الكرام من كافة التخصصات لتتقيد هذا الجيل بالثقافة الإسلامية، وأخذهم إلى طريق الحق والقوة والحريّة لتبقى كلمة الله هي العليا.

ومن باب الاعتراف بالفضل لأهله لا يسعني إلا أن أتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى الأخ الفاضل: أسهيل أبو زهير، الذي قام بتدقيق الرسالة، لتكون أكثر دقة وأسلم لغة.

والشكر موصول للأخ الفاضل: د. أكرم حبيب حفظه الله؛ الذي تكرّم بترجمة ملخص الرسالة إلى اللغة الإنجليزية.

وأقدم شكري وتقديري ودعائي إلى كل من أسدى إليّ معروفاً، أو أعارني كتاباً، أو قدم إليّ خدمة أو أبدى تشجيعاً، أو دعا لي في ظهر الغيب، فلهم مني جميعاً كل شكر وتقدير، وجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأخيراً، الله أسأل الحليم العليم، رب العرش العظيم أن يتقبل هذا العمل المتواضع، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقني القبول إنه سميع عليم.

اللهم آمين.

مفتاح لمختصرات ورموز الرسالة

١. *أضواء البيان = أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي.
٢. *الإبانة = الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي.
٣. *الإتحاف = إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي.
٤. *الإتقان = الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.
٥. *الأحرف السبعة = الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها لحسن ضياء الدين عثر.
٦. *البدر الطالع = البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني
٧. *التفسير المنير = التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة الزحيلي.
٨. *الدر المصون = الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي.

- ٩ . *الدرر الكامنة = الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني
- ١٠ . *الديباج = الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون.
- ١١ . *الشامل = الشامل في القراءات المتواترة لمحمد حبش.
- ١٢ . *الفريد = الفريد في إعراب القرآن المجيد لحسين بن أبي العز الهمداني.
- ١٣ . *الكشف = الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب.
- ١٤ . *اللباب = اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي الحنبلي.
- ١٥ . *المحتسب = المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني.
- ١٦ . *المحرر الوجيز = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.
- ١٧ . *المرشد الوجيز = المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة.
- ١٨ . *المستدرك = المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري.

- ١٩ . *المستنير = المستنير في تخريج القراءات المتواترة لمحمد سالم
محيسن.
- ٢٠ . *المغني = المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة لمحمد
سالم محيسن.
- ٢١ . *المقتطف = المقتطف من عيون التفاسير لمصطفى الخيري
المنصوري.
- ٢٢ . *الملخص = الملخص في إعراب القرآن للخطيب التبريزي.
- ٢٣ . *الميسر = الميسر في القراءات الأربع عشرة لمحمد فهد
خاروف.
- ٢٤ . *النجوم الزاهرة = النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن
تغري بردي
- ٢٥ . *النشر = النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير ابن
الجزري.
- ٢٦ . *بغية الوعاة = بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين
السيوطي.
- ٢٧ . *بلاغة الكلمة = بلاغة الكلمة في التعبير القرآني لفاضل السامرائي.
- ٢٨ . *تاج العروس = تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى
الزبيدي.

- ٢٩ . *تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير .
- ٣٠ . *تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي .
- ٣١ . *تفسير البغوي = معالم التنزيل لأبي محمد البغوي .
- ٣٢ . *تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي .
- ٣٣ . *تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي .
- ٣٤ . *تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن .
- ٣٥ . *تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لسعدي الرحمن السعدي .
- ٣٦ . *تفسير الشوكاني = فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني .
- ٣٧ . *تفسير الطبرسي = مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي .
- ٣٨ . *تفسير الطبري = جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري .
- ٣٩ . *تفسير القاسمي = محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي .
- ٤٠ . *تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي .
- ٤١ . *تفسير الكشاف = الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأفاويل في وجوه التاويل للكشاف

- ٤٢ . *حاشية الشهاب = حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي لشهاب الدين الخفاجي.
- ٤٣ . *روح المعاني = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي.
- ٤٤ . *زاد المسير = زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي.
- ٤٥ . *غاية النهاية = غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري.
- ٤٦ . *فتح الباري = فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
- ٤٧ . *لباب النقول = لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي.
- ٤٨ . *معرفة القراء = معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي.
- ٤٩ . *مفاتيح الأغاني = مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرمانلي.
- ٥٠ . *ملاك التأويل = ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه.
- ٥١ . *نظم الدرر = نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي.

اللفظ.

*** رموز معتمدة.

- * الكوفيون = عاصم بن أبي النجود ، حمزة بن حبيب الزيات ، والكسائي علي بن حمزة النحوي. (١)
- * البصري = هو أبو عمرو بن العلاء بن عبد الله بن الحصين بن الحارث.
- * الشامي = هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة أبو عمرو الشامي.
- * المدني = نافع هو أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم .
- * المكي = عبد الله بن كثير المكي الذي انتهى إليه الإقراء بمكة.
- * الأخوان = حمزة بن حبيب الزيات، والكسائي علي بن حمزة النحوي. (٢)
- * المدنيان = نافع وأبو جعفر.
- * البصريان = أبو عمرو و يعقوب.
- * الحرميان = حمزة الزيات، والكسائي.

(١) فيض الرحيم في قراءات القرآن الكريم . القراءات السبع بروايات عدة . اعداد سعيد محمد اللحام . عالم الكتب ص ٣-٢٢ . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

(٢) البدر الزاهرة ص ٤ .

مقدمة

إن الحمد لله الذي ابتداءً بحمد نفسه قبل أن يحمده غيره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقائد الغر الميامين محمد بن عبد الله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

أما بعد:

فللقرآن الكريم منزلة عظيمة في نفوس المسلمين، ومكانة مرموقة في قلوب المؤمنين لأنه النور المبين وحبل الله المتين، فهو أعظم كتاب، ولا ينوب عنه كتاب، إنه دستور المسلمين الخالد الطاهر، والتي فيه طريق النجاة للعباد، وصلاحهم في الدارين الفانية والخالدة.

فالقرآن الكريم كتاب سعادة ورشد، كتاب علم وفضل، كتاب إعجاز وهداية، كتاب توحيد وآداب كتاب عبادات ومعاملات، فيه الخير كل الخير، فيه ما يسعد العباد وينقذ البلاد، فكان لزاماً أن نحيا تحت رايته الشريفة، قولاً وعملاً، لتسير الحياة على أحسن حال. فلا بد من علم التفسير الذي هو من أشرف العلوم على الإطلاق وأولاها بالاهتمام والرعاية؛ حيث يقول المولى عليه السلام: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة ص ٢٩]، فحريٌّ بنا أن نتدبره، نعيش ألفاظه ومعانيه، لنقف على حدوده ونقيم حروفه؛ نتعلمه ونعلمه الأمة، حيث قال عليه السلام: " خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ . " (١) فالقرآن الكريم هو الرسالة الخالدة، وهو حبل الله المتين ونوره المبين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد تكفل الله بحفظه، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . [الحجر ٩]

فمن جميل حفظ الله ﷻ أن تبقى هذه الرسالة تنبض بالحياة وتشع بالنور ليحيا الناس في ظلها الوارفة بالتدبر والتفكير، فعالم التفسير عالم متجدد يمتاز بالحيوية والعطاء، ففي كل حين يضفي علماء التفسير أبعاداً جديدة وأسساً ومناهج مبتكرة تضاف إلى الجهود السابقة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان ؓ في كتاب فضائل القرآن .باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه،حديث رقم٥٠٢٧. فتح الباري (٦٩٢/٨). رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي. وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب. وراجعه قصي محب الدين الخطيب. دار الريان للتراث - القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي فتح الباري.

للمفسرين السابقين ومن هنا كانت هذه الدراسة بعنوان (تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سورتي (الأنعام والأعراف) بحلة جديدة تفتح الآفاق أمام الباحثين لينهلوا من معين القرآن الذي لا ينضب.والذي كان من فضل الله عليّ أن وفقني لاختيار هذا الموضوع القيم والذي امتشق قيمته من قيمة القرآن العظيم.

والله المستعان، وعليه التكلان، وأملنا في الله أن يسدد خطانا ويلهمنا الرشاد وأن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه الكريم لينفع به الإسلام والمسلمين، وهو حسبنا و نعم الوكيل .

اللهم أمين.

**ثانياً: أهمية الموضوع و أسباب الاختيار:

يعدّ تفسير القرآن بالقراءات من أهم المواضيع المختصة بالقرآن الكريم، وتظهر هذه الأهمية من خلال النقاط التالية:

١. اهتمام المسلمين وإقبالهم على علوم التجويد وأحكام التلاوة؛ وتعلم القراءات فأردت إبراز جانب مهم من علم القراءات في تفسير مراد الله تعالى.
٢. موضوع تفسير القرآن بالقراءات القرآنية قديم حديث؛ قديم له أصوله وجذوره الأولى في كتب التفاسير والقراءات، وحديث لم يتم الحديث عنه بشكله المستقل .
٣. أهمية التفسير في حياة المسلمين من أجل فهم مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء .
٤. الكشف عن وجه جديد من وجوه الإعجاز في الإيجاز؛ حيث إن كل قراءة تقوم مقام آية مستقلة لتعطي معنى جديداً.
٥. تفسير القرآن بالقراءات القرآنية وسيلة منهجية لاستنباط الأحكام الفقهية.
٦. القراءات القرآنية مظهر من مظاهر التيسير على الأمة، ووسيلة للارتقاء بمستوى التفكير العلمي؛ فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، بل هو في أسنى درجات الفصاحة والبلاغة والله در القائل: " تكلموا العربية الفصحى فإنها من شعائر الإسلام ".^(١)
٧. عودة بالأمة الإسلامية لتعلم علم القرآن بالقراءات القرآنية تلاوة وتفسيراً.

٨. تشجيع أساتذتنا الكرام فى قسم التفسير بكلية أصول الدين للاهتمام والعناية بهذا اللون من ألوان التفسير.

(١) انظر وصايا الإمام الشهيد حسن البنا - رحمه الله -.

** ثالثاً: أهداف البحث:

١. بيان أهمية القراءات القرآنية فى التفسير .
٢. إبراز التفسير بحلة جديدة من خلال تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية.
٣. بيان علاقة القراءات القرآنية بعضها ببعض من الناحية التفسيرية.
٤. إعطاء القراءات القرآنية أهميتها من خلال تفسيرها وتيسيرها بين يدي طلبة العلم.
٥. ربط التفسير القرآني بالقراءات القرآنية بالواقع الذي تحياه الأمة الإسلامية والاستفادة من وجوه الإعجاز بالقراءات القرآنية .
٦. إثراء المكتبة الإسلامية بما هو نافع ومفيد.

** رابعاً: الجهود السابقة :

١. بعد البحث والتقصي تبين أنه لم يتطرق أحد من قبل لتفسير القرآن من خلال القراءات كعلم مستقل، إلا أنّ هذه الباكورة اليناعة والثمرة الطيبة، وليدة الجامعة الإسلامية؛ وقد سبقني فى هذا المجال زملاء أفاضل من طلبة الماجستير قسم التفسير وعلوم القرآن، تناولوا التفسير من سورة الفاتحة حتى المائدة فى رسائل ماجستير بالعنوان ذاته.
*كما لا يفوتني أن أذكر جهود الكثير من المفسرين، القدماء منهم والمحدثين، فى إرساء قواعد هذا العلم.
٢. لقد تعرض بعض المفسرين للقراءات القرآنية وتوجيهها من خلال تفاسيرهم للقرآن ومن أهم هذه التفاسير :

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن .
 • الجامع لأحكام القرآن .
 • روح المعاني في تفسير القرآن .
 • البحر المحيط .
 • معلم التنزيل .
- لابن جرير الطبري .
 لأبي عبد الله القرطبي .
 لأبي الفضل الألويسي .
 لأبي حيان الأندلسي .
 للإمام البغوي .
٣. وقد تناول كثير من علماء التوجيه القراءات القرآنية وبيان حججها من خلال كتب مستقلة منها:

- حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة .
- المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة د. محمد سالم محيسن .
- المهذب في توجيه القراءات العشر المتواترة د. محمد سالم محيسن .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب .
- الحجة في القراءات السبعة لأبي الحسين بن أحمد بن خالويه .
- كتاب معاني القراءات لأبي منصور الأزهري .

** أسماء الرسائل والأبحاث التي كتبت حول الموضوع.

- * القراءات وأثرها في التفسير والأحكام. رسالة دكتوراة / أم القرى ١٤١٣ هـ إعداد محمد بن عمر بن سالم بن بازمول .
- * القراءات مصدراً للتفسير عند ابن عطية في المحرر الوجيز. رسالة ماجستير / الإسكندرية ١٩٨٩ م .
- * القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية. إعداد الدكتور / فضل حسن عباس .
- * تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور (الفاتحة - البقرة - آل عمران) . رسالة ماجستير / الجامعة الإسلامية ٢٠٠٢ م. إعداد الباحث / عبد الله الملاحي .
- * تفسير القرآن العظيم من خلال القراءات العشر المتواترة تطبيقاً على سورتي (النساء - المائدة) . رسالة ماجستير / الجامعة الإسلامية ٢٠٠٦ م. إعداد الباحث / عزات السويركي .

** خامساً: منهج البحث :

البحث عبارة عن إكمال جهد سابق قام به عدد من الباحثين بدأوا من بداية سورة الفاتحة حتى نهاية سورة المائدة، وبحثي هذا سيستمر بإذن الله حتى نهاية سورة الأعراف .

وهذا بيان لمنهج البحث :

١. التمهيد للموضوع من خلال الحديث عن القراءات القرآنية وعلاقتها بالإعجاز، مع بيان معناها، وأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف مع بيان معنى الأحرف السبعة وفوائدها وعلاقتها بالقراءات القرآنية، وأنواعها، وأقسامها ونشأتها، والتعريف بالقراء العشرة .
٢. وضع تفسير للآيات التي اشتملت على القراءات القرآنية من سورتي (الأنعام- والأعراف) من خلال الجمع بين القراءات القرآنية العشرة .

* وذلك على النحو الآتي :

١. نقل الآيات القرآنية التي تتضمن موضع الشاهد مدار البحث وفق ضوابط الرسم العثماني.
٢. بيان القراءات المختلفة في الآية بالرجوع لكتب القراءات المشهورة.
٣. بيان المعنى اللغوي للقراءات بالرجوع لكتب القراءات المشهورة،
٤. ضبط القراءات بالحركات والكلمات.
٥. بيان المعنى اللغوي للقراءات القرآنية بالرجوع إلى كتب اللغة وقواميسها .
٦. توجيه القراءات بالرجوع إلى كتب توجيه القراءات والاحتجاج لها .
٧. ثم تفسير الآية تفسيراً مجملاً بالرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة، مع الالتزام بالقواعد المقررة في التفسير.
٨. بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات القرآنية والتوفيق بينها كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.
٩. عزو الآيات إلى سورها وفق الضوابط المعروفة بذكر اسم السورة ورقم الآية.
١٠. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة حسب الأصول والحكم عليها كلما أمكن.

١١ . بيان معاني المفردات الغربية في الحاشية بالرجوع إلى أمهات كتب اللغة وقواميسها كلما لزم.

١٢ . الترجمة للأعلام والشخصيات والقراء من مظانها وبعض المواقع الجغرافية.

١٣ . ربط التفسير القرآني للقراءات بالواقع والاستفادة من الإعجاز القرآني كلما لزم .

١٤ . كتابة بعض اللطائف والإشارات كلما لزم الأمر .

**** سادساً: خطة البحث:**

خطة البحث

وتشتمل على تمهيد وفصلين وخاتمة.

*** أما التمهيد:**

فهو مدخل إلى علمي التفسير والقراءات.

*** وفيه ستة مطالب:**

المطلب الأول : القراءات القرآنية هي لون من ألوان الإعجاز القرآني .

المطلب الثاني : التفسير والتأويل والفرق بينهما .

المطلب الثالث : علاقة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة .

المطلب الرابع : نشأة القراءات القرآنية وأقسامها وحكم الإحتجاج بها.

المطلب الخامس: الأحرف السبعة معناها وفوائدها وعلاقتها بالقراءات.

المطلب السادس: التعريف بالقراء العشرة.

ومن الإجمال إلى التفصيل :

المطلب الأول: القراءات القرآنية هي لون من ألوان الإعجاز القرآني .

المطلب الثاني: التفسير والتأويل، وفيه عدة مباحث وفيه:-

١. معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما.

٢. علاقة القراءات القرآنية بالتفسير .

المطلب الثالث: الأحرف السبعة وفيه .

أولاً : أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف .

ثانياً : معنى الأحرف السبعة والرأى الراجح منها .

ثالثاً : فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف .

رابعاً : الحكمة من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف .

خامساً: علاقة القراءات القرآنية السبعة بالأحرف السبعة.

المطلب الرابع: القراءات القرآنية وبصورة مختصرة وفيه.

أولاً : تعريف القراءة القرآنية لغة واصطلاحاً .

ثانياً : العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن .

ثالثاً : نشأة القراءات القرآنية وأقسامها وحكم الاحتجاج بها .

المطلب الخامس: أهمية القراءات القرآنية في التفسير وفيه.

أولاً : قراءات بينت معنى الآية.

ثانياً : قراءات وسعت معنى الآية.

ثالثاً : قراءات أزالته الإشكال عن معنى الآية.

رابعاً : قراءات خصت عموم الآية.

خامساً: قراءات بينت إجمال الآية.

المطلب السادس: التعريف بالقراء العشرة ورواتهم .

****الفصل الأول: تفسير سورة الأنعام من خلال القراءات القرآنية العشر**

المتواترة ويهتم على محثين :

المبحث الأول : بين يدي سورة الأنعام ويتضمن الآتي:

ن وجه التسمية.

ن الحكمة من نزولها ليلاً.

ن معنى الأنعام .

ن تاريخ نزول السورة.

ن مناسبة السورة لما قبلها.

ن أغراض سورة الأنعام.

ن أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة.

ن أهم ما تميزت به السورة.

* المبحث الثاني/ عرض وتفسير آيات الأنعام من خلال القراءات القرآنية العشر.

****الفصل الثاني: تفسير سورة الأعراف من خلال القراءات القرآنية**

العشر المتواترة ويشتمل على مبحثين :

***المبحث الأول / بين يدي السورة (الأعراف) ويتضمن الآتي:**

١ اسم السورة.

٢ وجه التسمية.

٣ علاقة السورة بغيرها من السور.

٤ محور سورة الأعراف.

٥ أهداف السورة ومقاصدها.

٦ أهم الموضوعات التي تضمنتها سورة الأعراف.

***المبحث الثاني/ عرض وتفسير آيات الأعراف من خلال القراءات القرآنية العشر.**

****الخاتمة.**

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

****الفهارس والمراجع:**

وتشتمل على:

١ . فهرس بآيات القراءات مدار البحث .

٢ . فهرس الأحاديث النبوية .

٣ . فهرس الأعلام والتراجم .

٤ . فهرس أهم المصادر والمراجع.

٥ . فهرس الموضوعات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

الباحثة/فاتنة توفيق السكيني.
أم يحيى

التمهيد

مدخل إلى علمي التفسير والقراءات

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول : القراءات القرآنية هي لون من ألوان الإعجاز القرآني .

المطلب الثاني : التفسير والتأويل والفرق بينهما .

المطلب الثالث : علاقة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة .

المطلب الرابع : نشأة القراءات القرآنية وأقسامها وحكم الإحتجاج بها.

المطلب الخامس: الأحرف السبعة معناها وفوائدها وعلاقتها بالقراءات.

المطلب السادس : التعريف بالقراء العشر.

مهتد

المطلب الأول: القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز القرآني

لما كانت هذه الشريعة باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، وخصت بالمعجزة الباقية ليراهم ذوا البصائر، ويتدبروا عظمتها، كما قال ﷺ: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً"^(١). فلا يمرّ عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون دليلاً على صحة دعواه، والقراءات القرآنية هي لون من هذا الدليل، حيث لا تناقض ولا تضاد في اختلافها.

أما عن حقيقة اختلاف القراءات:

* قال إيباد السامرائي: ذهب جمهور علماء المسلمين إلى أن الاختلاف في القراءات هو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، وأن الاختلاف حاصل في الألفاظ المسموعة وليس في المعاني المفهومة، وبهذا صرح المهدي حين عرض لحديث النبي ﷺ "أنزل القرآن على سبعة أحرف"؛ إذ قال: "واختلف الناس في معنى الحديث اختلافاً كثيراً، فأكثرهم على أن معناه في الألفاظ المسموعة لا في المعاني المفهومة". اهـ (٢)

* وقال ابن الجزري: "أما عن حقيقة اختلاف هذه السبعة المنصوص عليها... وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدهما: اختلاف اللفظ والمعنى واحد.

الثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم ٤٩٩٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦٣٩/٨).

(٢) يمكنك الإطلاع على شبكة المعلومات. الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني. لإياد السامرائي ص ١٠ الشبكة الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية [www. Tafsir .net](http://www.Tafsir.net).

لا يقتضي التضاد والتناقض. (١)

وقد اعتبر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^(٢): "أن تفسير القرآن بالقراءات القرآنية هو من تفسير القرآن بالقرآن، والذي يعتبر من أشرف أنواع التفسير وأجلها.

* وقد قال الذهبي^(٣): "مما يؤيد أن القراءات مرجع مهم من مراجع تفسير القرآن بالقرآن، ماروي عن مجاهد أنه قال: (لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه). (٤)

ولقد اهتم كثيراً من المفسرين وصرحوا في مقدمة تفاسيرهم أن علم القراءات من العلوم التي ينبغي للمفسر أن يتسلح به فهو أداة هامة وقيمة من أدوات التفسير.

* فهذا أبو حيان يذكر في مقدمة تفسيره عند الحديث عن العلوم اللازمة للمفسر تحت عنوان الوجه السابع: "اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص، أو تغيير حركة، أو إتيان بلفظ بدل لفظ، وذلك بتواتر وأحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات". (٥)

ومن المُحدثين قال الطاهر بن عاشور^(٦) في معرض حديثه عن إعراضه أثناء تفسيره عن بعض القراءات: "أرى أن للقراءات حالتين: أحدهما لا تعلق لها بالتفسير بحال، والثانية لها تعلق به من جهات متفاوتة".

ويقول - أيضاً - ابن عاشور: "لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراداً لله تعالى، ليقراً القراء بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين

(١) النشر في القراءات العشر (٤٥/١). للإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بأبن الجزري المتوفى ٨٣٣هـ. قدم له صاحب الفضيلة الأستاذ علي محمد الضباع. خرج آياته الشيخ زكريا عميرات. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) الشنقيطي هو: محمد الأمين بن محمد المختار، ولد بالقطر المسمى شنقيط، وهو في الجزء الشرقي من موريتانيا الإسلامية الآن، نشأ في بيت علم، حفظ القرآن، في بيت أخواله، درس في المسجد النبوي الشريف، من مؤلفاته: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، توفي ١٣٩٣هـ (٩/١-٢٦).

(٣) الذهبي هو: محمد بن حسين الذهبي صاحب كتاب التفسير والمفسرون. (٠).

(٤) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (٣٣/١).

(٥) انظر: البحر المحيط (١٦/١).

(٦) الطاهر بن عاشور: محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، ولد بمدينة سلا بالمغرب الأقصى بالأندلس، بشرت العائلة العاشورية بولادته سنة ١٢٩٦هـ. يقصر جده لأمه وتوفي - رحمه الله - ١٣٩٣هـ. بحياة حافلة بالجد والنشاط، و الإفادة من التأليف القيمة. انظر من أعلام الزيتونة د. بلفاسم الغالي ص ٣٥ - ٣٧.

فأكثر، في مختلف القراءات، مجزئاً عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمنين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع". (١).

* كما وقد تباينت أقوال العلماء في بيان أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، فرأى بعضهم أن القرآن معجزة لغوية بيانية فحسب، وذهب آخرون إلى أن القرآن معجز في أكثر من وجه.

حتى أن بعضهم أوصلها إلى نيف وثلاثين وجهاً^(٢)، ومن أهم هذه الوجوه التي ذكروها واهتموا بها: الإعجاز البياني، ورغم اهتمامهم بهذا الجانب إلا أنهم أغفلوا بيان أن القراءات

القرآنية وجه من وجوه الإعجاز، وإن كان بعض العلماء قد ذكرها عرضاً، وفي ذلك يقول الرافعي^(٣) في معرض حديثه عن إعجاز القرآن: "وإذا تم هذا النظم للقرآن مع بقاء الإعجاز الذي تحدى به، ومع اليأس من معارضته على ما يكون في نظمه من تقلب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات، بحسب ما يلائم الأحوال في مناطق العرب، فقد تم له التمام كله وصار إعجازه إعجازاً للفظرة اللغوية في نفسها حيث كانت وكيف ظهرت ومهما يكن من أمرها". (٤).

ومن الجدير ذكره ما قاله الزرقاني^(٥): "إن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات؛ وذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدىء من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز".

أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ فإن هذه الاختلافات في القراءة -على كثرتها- لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل؛ بل القرآن كله

- على تنوع قراءاته - يصدّق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم؛ وذلك - من غير شك - يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف. (٦)

(١) التحرير والتتوير (٥١/١).

(٢) انظر: هذه الأوجه في معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ص ٧٤.

(٣) الرافعي هو: مصطفى صادق بن عبد الرازق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، عالم بالأدب، شاعر من كبار الكتاب، أصله من طرابلس الشام، مولده في بهتيم، ووفاته في طنطا بمصر من مؤلفاته (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية). انظر الأعلام للزركلي (٢٣٥/٧)

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية الرافعي ص ٣٩.

(٥) الزرقاني هو: هو محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري، الأزهرى المالكي، أبو عبد الله: خاتمة المحدثين بالديار المصرية مولده ووفاته بمصر، ونسبته إلى زرقان (من قرى منوف بمصر) له مؤلفات شتى منها: شرح الموطأ للإمام مالك. انظر الأعلام للزركلي. (١٨٤/٦). (٦) انظر: مناهل العرفان (١٤٢/١).

وكان للدكتور فضل عباس - حفظه الله - إطلالات رائعة في بيان إعجاز تنوع القراءات وخصوصاً القراءات المتواترة، فقد ذكر أمثلة متنوعة دللت على هذا الإعجاز في أثناء حديثه عن القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية في مجلة (دراسات) وإن كانت في معرض دفاعه عن القراءات القرآنية في وجه الراديين لبعضها، أو المرجحين بين قراءتين متواترتين يفضي إلى إسقاط إحدهما. (١)

ومعنى هذا أن القرآن يعجز إذا قرئ بهذه القراءة، ويعجز أيضاً إذا قرئ بالقراءة الثانية، ويعجز أيضاً إذا قرئ بالقراءة الثالثة، وهلمّ جراً. ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف!، وعليه يمكن تقسيم القراءات التي لها أثر في التفسير إلى قسمين:

القسم الأول: قراءات لها أثر مباشر في معنى الآية، ويشتمل عدة أنواع هي:

١. قراءات بينت معنى الآية.

٢. قراءات وسعت معنى الآية.

٣. قراءات أزال الإشكال عن معنى الآية.

٤. قراءات خصصت عموم الآية.

٥. قراءات بينت إجمال الآية.

القسم الثاني: قراءات لها أثر غير مباشر في معنى الآية، وهي القراءات المتعلقة بتتبع الأساليب، وبتعدد اللغات من ذكر أو حذف أو زيادة أو نقصان، أو غير ذلك.

وهذه القراءات أفادت من نواح مختلفة منها:

- (١) قراءات أفادت التكثر أو المبالغة.
- (٢) قراءات وصفت الحالة النفسية، أو الحالة المادية.
- (٣) قراءات دللت على بلاغة القرآن.
- (٤) قراءات أنتج تنوعها إظهاراً لإعجاز علمي في القرآن. (٢)

(١) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية. د. فضل عباس مجلة دراسات - المجلد الرابع عشر - العدد السابع - ١٩٨٧ م.

(٢) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (١/ ٣٩٨ - ٤٥٥).

ونظراً لأن سور القرآن الكريم تتفاوت في تناولها لهذين القسمين؛ فقد تشتمل السورة الواحدة على القسمين معاً، وقد لا تشتمل، وستتناول الباحثة بعض النماذج من خلال البحث، وبشكل عام سنقتصر على القراءات القرآنية المتواترة العشر.

المطلب الثاني: التفسير والتأويل والفرق بينهما

أ. معنى التفسير لغة واصطلاحاً:

١. التفسير لغة:

التفسير: مصدر، على وزن تفعيل من الفعل الثلاثي فَسَّرَ .

التفسير: هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) [الفرقان ٣٣].

* قال ابن منظور^(١): الفسر: البيان والوضوح، وفسَّرَ الشيء يُفسِّره بالكسر؛ ويفسِّره بالضم

فسراً. وفسَّره: أبانه وكشف المغطى، ومنه التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل. (٢)

* قال ابن فارس^(٣): الفسر، كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه؛ تقول: فسرت الشيء فسرتُه،

والتفسرة: نظر الطبيب في الماء وحكمه فيه. (٤)

* قال الراغب الأصفهاني^(٥): الفَسْرُ إظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما يُنبئ عنه البول تفسيره، والتفسير في المبالغة كالمفسر، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها. (٦)

* قال أبو البقاء^(٧): التفسير: الاستبانة والكشف، والتعبير عن الشيء بلفظ أيسر وأسهل من

لفظ

(١) ابن منظور هو: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقة بن منظور، أبو الفضل الأنصاري الإفريقي المصري، ولي القضاء في طرابلس، صاحب لسان العرب في اللغة، توفي - رحمه الله - إحدى عشر وسبعمائة. انظر بغية الوعاة (٢٤٨/١).

(٢) انظر لسان العرب (٥٥/٥). دار صادر بيروت.

(٣) ابن فارس هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، أبو الحسن، كان إماماً في شتى العلوم خصوصاً منها اللغة العربية فقد أتقنها، من مؤلفاته كتاب المجمل في اللغة، توفي بالري سنة تسعون وثلاثمائة هـ. انظر شذرات الذهب (١٣٢/٣)

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥٠٤/٤). تحقيق وضبط. عبد السلام محمد هارون. رئيس قسم الدراسات النحوية. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

(٥) الراغب الأصفهاني هو: الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني أو الأصبهاني، أديب، اشتهر بالتفسير واللغة، له مؤلفات كثر منها: معجم مفردات ألفاظ القرآن، وأفانين البلاغة. انظر بغية الوعاة (٢٩٧/٢).

(٦) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٩٤. تحقيق: نديم مرعشلي. دار الفكر - بيروت لبنان.

(٧) أبو البقاء هو: عبد الله بن الحسين بن العكبري، أبو البقاء، من مؤلفاته شرح اللمع، توفي - رحمه الله - سنة ستة عشر وستمائة هـ. انظر شذرات الذهب (٦٦/٥).

الأصل. والمعنى: هو أن يكون في الكلام لبسٌ وخفاء، فيؤتى بما يزيل الإشكال عنه

ويفسره. (١)

وعليه فجميع الاشتقاقات والتصريفات للكلمة يرجع إلى معنى (الكشف، والبيان، والتوضيح، والإظهار) وإضافة مفردة التفسير إلى القرآن، تجعل لهذا المصطلح معنى خاصاً.

٢. التفسير اصطلاحاً:

وقد اختلف العلماء في بيان المعنى الاصطلاحي للتفسير نعرض منها:

* قال الزركشي^(٢): "علمٌ يُفهمُ به كتابُ الله، المُنزَلُ على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه...". (٣)

* قال أبو حيان^(٤): "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك". (٥)

* قال الطاهر بن عاشور: "التفسير اسم للعلم الباحث عن بيان لألفاظ القرآن، وما يُستفاد منها، باختصار أو توسع، والمناسبة بين المعنى الأصلي، والمعنى المنقول". (٦)

* قال الزرقاني^(٧): "التفسير علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية". (٨).

* وخلاصة القول في التفسير:

* والذي تراه الباحثة أن التفسير هو: العلم الذي يتناول مفردات وألفاظ القرآن الكريم، بالكشف عن الإشكال وإزالة الغموض عنها، ثم الوقوف على مقاصد الشريعة الغراء من خلالها.

(١) انظر: الكليات لأبي البقاء ص ٢٦٠.

(٢) الزركشي: محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله المصري الزركشي الشافعي، كان فقيهاً، أصولياً، مفسراً، له مؤلفات نافعة، منها: البرهان في علوم القرآن. توفي سنة أربع وتسعون وسبعمائة هـ. انظر طبقات المفسرين. للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي (١٦٢٢/٢). دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.

(٣) البرهان في علوم القرآن (١٣/١). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. صيدا - بيروت.

(٤) أبو حيان هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أبو عبد الله، ولد بقرنطة، نشأ محباً للعلم، متمملاً على العلماء، رحل لطلب العلم، برع في عدة علوم منها: القراءات، النحو، اللغة، التفسير له عدة مؤلفات منها: البحر المحيط، توفي سنة خمسة وأربعين وسبعمائة. انظر غايّة النهاية في طبقات القراء - شمس الدين الجزري (٢٨٥/٢). دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ.

(٥) البحر المحيط (٢٦/١).

(٦) التحرير والتنوير (١١/١).

(٧) الزرقاني: سبق الترجمة له ص ٤.

(٨) مناهل العرفان في علوم القرآن (٤٧١/١).

بج: معنى التأويل لغة واصطلاحاً:

١. التأويل لغة:

{أول}: الأول الرجوع. آل الشيء يؤول أولاً، ومآلاً: رجع وأول إليه الشيء، رَجَعَهُ . وَأُلْتُ عن الشيء : ارتددت . وَأَوَّلَ الكلام وتَأَوَّلَهُ: فسره . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : " اللَّهُمَّ فَتَّهِمهُ فِي الدِّينِ ، وَتَعَلَّمهُ التَّأْوِيلَ " . (١)

* قال ابن الأثير^(٢): هو من آل الشيء يؤول إلى كذا أي رَجَعَ وصار إليه، والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ماترك ظاهر اللفظ.

وآل ماله يؤوله إيالة إذا أصلحه وساسه. والائتيال: الإصلاح والسياسة. (٣)

قال ابن فارس^(٤): {أول}: أصلان ابتداء الأمر وانتهائه. أما الأوّل فالأوّل، وهو مبتدأ

الشيء. وآل يؤول أي رجع؛ والإيالة السياسة، ومنها أن مرجع الرعية إلى راعيها، قال الأصمعي: آل الرجل رعيته يؤولها إذا أحسن سياستها، وتقول العرب في أمثالها: "ألنا وإيل علينا" أي سُسنا وساسنا غيرنا. (٥)

قال الراغب الأصفهاني^(٦): "أول : التأويل من الأول أي الرجوع إلى الأصل ومنه المؤئل للموضع الذي يُرجع إليه وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً ففي العلم نحو (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) [آل عمران ٧]. وفي الفعل (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) [الأعراف ٥٣] أي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه. والأول السياسة التي تراعي مآلها يقال: أول لنا وأيل علينا". (٧)

* وطلحة القول في التأويل:

هو الرجوع إلى الأصل؛ وتأويل القول بيانه؛ أي الرجوع إلي أصله لبيان مراده؛ وتأويل كلام الله ﷻ هو بيان غايته والمقصود منه.

(١) مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عباس - حديث رقم ٢٤٣٩.

(٢) ابن الأثير هو: المبارك بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الموصلّي، يكنى أبا السعادات، ويعرف بابن الأثير، جمع كثير من العلوم العربية، والقرآن، والنحو، والحديث؛ كان عالماً فاضلاً، له مؤلفات عدة توفي، سنة ستة وستمئة. انظر معجم الأدباء للحموي. (٧١/١٧).

(٣) انظر: لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري. دار صادر - بيروت. (٣٢/١١).

(٤) ابن فارس سبق الترجمة له ص ٢٧.

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (١٥٨/١-١٦٢).

(٦) يقال له الراغب الأصفهاني وسبق الترجمة له ص ١.

(٧) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٧.

٢. التأويل اصطلاحاً:

يقول الإمام الذهبي^(٧): "التأويل عند السلف له معنيان : (٧)

* **أحدهما**: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أم خالفه، فيكون التأويل والتفسير - على هذا - مترادفين، وهذا ما عناه مجاهد^(٢) من قوله: (إن العلماء يعلمون تأويله) [آل عمران ٧].

يعني القرآن، وما يعنيه الطبري في تفسيره (اختلف أهل التأويل في هذه الآية) أو (القول في تأويله) والمراد التفسير.

* **ثانيهما**: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس المخبر عنه، وبين هذا المعنى والذي قبله فرق ظاهر. ويمكن بيان معنى التأويل عند المتأخرين من أهل التخصص كل حسب تخصصه منهم:

١. المتفقهة.

٢. المتكلمة.

٣. المحدثّة.

٤. المتصوّفة.

والتأويل، عندهم جميعاً، هو صرف اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا التأويل الذين يتكلمون عليه. (٣)

* يقول: د. صلاح الخالدي: "تأويل القرآن علم يتمّ به حسن فهم، وإزالة اللبس والإشكال عن بعض آياته، وذلك بردها إلى الغاية والمراد منها، وحملها على الآيات الأخرى التي لا لبس فيها ولا إشكال". (٤)

* والذي تراه الباحثة أن التأويل هو: القدرة على فهم مراد الله تعالى من خلال ردّ الألفاظ إلى أصلها للوقوف على مرادها.

(١) سبق الترجمة له ص ٣.

(٢) مجاهد هو: مجاهد بن جبر وأبو الحجاج، المكي أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين، قرأ على ابن عباس بضعا وعشرين ختمة ويقال ثلاثين ختمة، كان يسأله عن كل آية. توفي - رحمه الله - سنة ١٠٣هـ. انظر غايّة النهاية (٤١/٢).

(٣) التفسير والمفسرون (١/ ١٥).

(٤) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ص ١٤. تأليف د. صلاح عبد الفتاح الخالدي دار النفائس - الأردن. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الفرق بين التفسير والتأويل :

أثناء الإطلاع والبحث تبين أنّ هناك أقوالاً كثيرة بين التفسير والتأويل، ومنشأ هذا الخلاف هو استعمال القرآن لكلمة التأويل بمعنى التفسير.

* يقول الذهبي: "اختلف العلماء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل، وفي تحديد النسبة بينهما اختلافاً نتجت عنه أقوال كثيرة منها :

١. أن التفسير والتأويل بمعنى واحد .

٢. التفسير أعم من التأويل .

٣. التفسير يتعلق بعلم الرواية .

٤. التأويل يتعلق بعلم الدراية. (١)

* يقول الخالدي: "إنّ التفسير والتأويل بمعنى واحد، فهما مترادفان، وهذا هو الشائع عند

المتقدمين من علماء التفسير". (٢)

* والذي تراه الباحثة أن التفسير والتأويل مصطلحين نحو أنهما، إذا اجتمعا افترقا؛ وإذا افترقا اجتمعا فهما مترادفان لفهم مراد الله ﷻ والوقوف على مقاصد الشريعة الغراء، والله أعلى وأعلم .

المطلب الثالث: علاقة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة

أولاً: القراءات لغة واصطلاحاً :

* قال ابن منظور: " قرأه ، ويقرأه، ويقرؤه، قرءاً، وقراءةً، وقرآنًا، فهو مقروء... ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنًا؛ لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة ١٧] أي: جمعه وقراءته؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة ١٨] أي: قراءته... وقرأت الشيء قرآنًا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنينًا قط، أي: لم ينضم رحمها على الجنين... ومعنى قرأت القرآن : لفظت به مجموعاً " (٣).

(١) انظر: التفسير والمفسرون (١٦/١-١٨).

(٢) التفسير الموضوعي للخالدي ص ١٥ .

(٣) انظر: لسان العرب (٣٥٦٣/٥) . مادة: قرأ.

* ويقال للحمي: قرء؛ وللغائب: قرء؛ وللبعيد قرء. والقرء والقرء: للحيض والطمهر ضد، وذلك لأن القرء الوقت، فقد يكون للحيض وللطهر.

* قال الراغب الأصفهاني: القراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل وليس يقال ذلك لكل جمع؛ لا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم، ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تقوه به قراءة. (١)

* أما القراءات: فهو جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ. (٢)

* والقراءة من قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا فهو قارئ، وهم قرءاء وقارئون. (٣)

يقال ما قرأت هذه الناقة سلى، كأنه يراد أنها ما حملت قط؛ ومنه القرآن، كأنه سمى بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغيره. (٤)

ثانيًا: القراءات اصطلاحاً:

* لعلماء القراءات - رحمهم الله - جملة من التعريفات في حد القراءات جميعها مفادها واحد وإن كان بعضها أكثر شمولاً ووضوحاً من الآخر. (٥)

* وأكثر هذه التعريفات شمولاً ووضوحاً وانتشاراً بين طلبة العلم وهو الأساس لتعريفات بعض من جاء بعده من العلماء هو تعريف ابن الجزري (٦) إذ يقول: "القراءات هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل؛ أما المقرئ: فهو العالم بها رواها مشافهة من شوفه؛ فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً؛ لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسمع والمشافهة". (٧)

(١) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤١٤.

(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (٤٠٥/١).

(٣) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي (١٠١/١). مادة قرأ.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس (٧٩/٥). مادة قرى بهمز.

(٥) هناك تعريفات أخرى منها: انظر تعريف الدميطي في إتحاف فضلاء البشر (ص ٦). وتعريف أبي حيان في البحر المحيط (١٤/١). وتعريف الزركشي في البرهان (٣٩٥/١-٣٩٦). وتعريف محمد سالم محيسن في المغني في تفسير القراءات (٤٥/١).

(٦) ابن الجزري هو: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، أبو الخير، ألف في التفسير والحديث والفقهاء والعربية، له كتب كثيرة، أشهرها كتاب النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء. توفي سنة ٨٣٣هـ انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ابن الجزري (٢٤٧/١).

(٧) انظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين: لابن الجزري ص ٣.

وهذه جملة من التعريفات لبعض العلماء ومنها:

* تعريف شهاب الدين القسطلاني (١) قال في تعريفه لعلم القراءات: "علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة، والإعراب، والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع". (٢)

* تعريف عبد الفتاح القاضي (٣) فقد عرفها بقوله: "علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله". (٤)

* وقد كتب الدكتور محمد بن سالم بن بازمول باعتبار القراءات علم مدون بقوله: "هو مجموع المسائل المتعلقة باختلافات الناقلين لكتاب الله - تبارك وتعالى - من جهة اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل من حيث النقل". (٥)

* وقد كتب د. عبد الرحمن الجمل بعد أن ساق بعض التعريفات وعلق عليها: "وخلاصة القول في ذلك" أن القراءات هي تلك الاختلافات الحاصلة في أداء وتلاوة ألفاظ القرآن الكريم، والتي أنزلها الله ﷻ تيسيراً على الأمة، ورفعاً للحرص عنها، وذلك أن القرآن الكريم نزل لفظه ونصه وكيفية أدائه بالأوجه المختلفة من عند -الله تعالى- وعلمه جبريل ﷺ رسولنا محمداً ﷺ الذي قام بدوره فعلمه بالكيفية نفسها التي تلقاها عن جبريل ﷺ للصحابية الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - وعلموه بالكيفية نفسها التي تلقوه عليها للتابعين، وعلمه التابعون لأتباعهم، وهكذا إلى وقتنا الحاضر". (٦)

-
- (١) القسطلاني هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني الأصل المصري، ولد بمصر ٨٥١هـ ونشأ فيها، كان متعافياً جيد القراءة للقرآن والحديث والخطابة، كان عالماً بالقراءات، له مؤلفات كثيرة منها: الكنز في وقف حمزة وهشام على الهمز، وشرحاً للشاطبية، توفي سنة ٩٢٣هـ. انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. محمد بن علي الشوكاني (١٠٢/١-١٠٣).
(٢) انظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات لشهاب الدين القسطلاني (١٧٠/١).
(٣) عبد الفتاح القاضي، عالم بالقراءات من أهل التدقيق فيها، له كتاب البدر الزاهرة. في القراءات العشر والقراءات الشاذة وتوجيهها من علماء الأزهر، توفي سنة ١٤٠٣هـ.
(٤) البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية. عبد الفتاح القاضي ص ٥.
(٥) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام. (١١٢/١).
(٦) انظر: منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره للدكتور عبد الرحمن الجمل (ص ٤) رسالة ماجستير.
** يظهر من هذه التعريفات أنها قد ركزت على ثلاثة عناصر رئيسة هي:

١. مواضع الاختلاف في القراءات.

٢. النقل الصحيح للقراءات المتواترة والآحاد.

٣. حقيقة الاختلاف بين القراءات.

إنّ هذه الاختلافات التي بين الرواة، في كيفية أداء القرآن الكريم وتلاوته، يعزوها كل راوٍ بسنده عن تلقى عنهم مسلسلاً إلى النبي الكريم ﷺ فكما أن القرآن الكريم من عند الله ﷻ ولا يشك في ذلك إلا معاند ومكابر؛ فكذاك قراءاته من عند الله ﷻ نزل بها الروح الأمين على قلب الرسول الكريم ﷺ هذا أمر لا بد أن نستوعبه ونتفهمه جيداً، وألاً يساورنا فيه أدنى شك؛ لنحض به أباطيل المبطلين ومن سار في فلكهم وحذا حذوهم، واقفياً أثرهم من أبناء العرب والمسلمين الذين زعموا أن القراءات القرآنية ليست توقيفية، وإنما كانت باجتهاد من الصحابة ومن جاء بعدهم، فيما وافق خط المصحف؛ وما أرادوا بذلك إلا فتح باب واسع للطعن في

كتاب الله تعالى الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت ٤٢].

ثالثاً: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن :-

* يقول الزركشي: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان؛ فالقرآن الكريم: "هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز".

* والقراءات القرآنية هي "اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيب وغيرهما". (١)

وتبعه في ذلك الدمياطي، الشهير بالبنا، في كتابه: إتحاف البشر في القراءات الأربعة عشر. (٢)
وأيده على ذلك القسطلاني في كتابه لطائف الإشارات. (٣)

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣١٨/١).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص ٧.

(٣) انظر: لطائف الإشارات في فنون القراءات (١٧١/١).

* يقول الزركشي: القراءات السبعة متواترة عند الجمهور، أما تواترها عنه ﷺ يعني أنها وحي منزل من عند الله ﷻ كما أن القرآن وحي منزل من عند الله ﷻ فإن الوحي نزل بكل وجه من الأوجه المتواترة التي يقرأ عليها القرآن الكريم.

* فإنَّ الوحي نزل بكل وجه من الأوجه المتواترة التي يقرأ عليها القرآن الكريم، فكما أن الوحي نزل بقراءة قوله تعالى: (يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) [الأنعام ٥٧]. وهي من القرآن دون شك، وفقد نزل بقراءة (يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) [الأنعام ٥٧]. وهي من القرآن أيضاً فكل قراءة من القراءات المتواترة تسد مسد آية، كما أنَّ القرآن المقروء من القراءات المتواترة، وهو الوحي المنزل على النبي ﷺ للبيان والإعجاز، كما أنَّ القرآن المقروء من القراءات المتواترة للتيسير والتسهيل ورفعاً للخرج عن الأمة؛ فالقرآن الذي بين أيدينا مكتوب ومقروء على رواية حفص عن عاصم، وهو الوحي المنزل على المصطفى ﷺ وكذلك المصحف الذي في بلاد المغرب مكتوب ومقروء على رواية أو - على قراءة - نافع، من رواية قالون عنه في

تونس، ومن رواية ورش عنه في الجزائر، وهو دون شك الوحي المنزل من عند الله ﷺ وكذلك في باقي الأمصار الإسلامية، فجميع القرآن المقروء والمكتوب هو وحي منزل من عند الله ﷺ على النبي ﷺ.

فالقراءات القرآنية هي بعض القرآن وأجزاؤه، وبعض الشيء وجزؤه لا يقال عنه غيره. وهذا القول يوافق رأي الدكتور. محمد سالم محيسن القائل: "أن القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، يتضح بجلاء من تعريف كل منهما ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات". (١)

* وقد أيد محمد عارف الهرري هذا القول بعدم الفرق بينهما طالما ثبت تواتر القراءات للجمهور. (٢)

* والعلماء مع هذه القضية على قولين متناقضين :

القول الأول: إنَّ القرآن والقراءات القرآنية حقيقتان متطابقتان.

وجمهور العلماء على أنَّ القراءات المشهورة (قرآن).

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر. د. محمد سالم محيسن. (٤٩/١). دار الجيل - بيروت. الطبعة الثانية - ١٤٠٨ هـ.

(٢) انظر: القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليها. تأليف: محمد عارف الهرري ص ١١٠.

القول الثاني: إنَّ القرآن والقراءات القرآنية حقيقتان متغايرتان.

والتغاير في القراءات راجع إلى التفرقة فيما توافرت فيه ما تعرف بأركان القراءة الصحيحة فهو قرآن، بينما ما لم تتوافر فيه هذه الشروط فهو قراءة فقط ولا يعتبر قرآناً. (١)

المطلب الرابع: نشأة القراءات وأقسامها وحكم الاحتجاج بها

أولاً. نشأة القراءات:

* إنَّ القرآن الكريم ما هو إلا هذا التلقي المأخوذ، ثقة عن ثقة، وإماماً عن إمام إلى النبي ﷺ في زمن لم يكن المصحف الشريف هو العُمدة في هذا الباب. فكانت بداية النشأة لعلم

القراءات من عهد رسول الله ﷺ حينما كان يأتيه جبريل ﷺ ليقرئه القرآن، وكان ﷺ يقرئ صحابته. وقد دخلت الإسلام قبائل شتى، لكل منها لغتها الخاصة بها، لذا اختلف أخذ الصحابة - رضوان الله عليهم - عن رسول الله ﷺ فمنهم من أخذ القرآن عنه ﷺ بحرف واحد، ومنهم من أخذ عنه بحرفين، ومنهم من زاد؛ ومن هنا بدأ الاختلاف بين الصحابة في قراءة القرآن، كما حصل الخلاف بينهم وتخاصموا إلى الرسول ﷺ ففصل بينهم بقوله: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه) (٢). ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال، فاختلف (بسبب ذلك) أخذ التابعين عن الصحابة، واختلف تابع التابعين عن التابعين، وهكذا إلى أن وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين، الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات وأمضوا حياتهم في التلقي يضبطونها ويعنون بها وعملوا على نشرها حتى نسبت إليهم. (٣)

*يقول د. أحمد سعد محمد الخطيب: وانطلاقاً من ذلك وبناءً عليه، فإن إضافة هذه القراءات إلى أفراد معينين هي إضافة اختيار ورواية، لا إضافة ابتداع واختراع، أي أنهم حلقة في سلسلة من الرجال الثقات الذين رَووا هذه الروايات ونقلوها عن أسلافهم انتهاءً بالنبى ﷺ الذى تلقى هذه القراءات وحياً عن ربه ﷻ. وإنما نسبت القراءات إلى القراء لأنهم هم الذين اعتنوا بها وضبطوها ووضعوا لها القواعد والأصول. (٤)

-
- (١) انظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف د. عبد الهادي الفضلي ص ٧٠.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. حديث رقم ٤٩٩٢. فتح الباري (٦٤٠/٨).
(٣) انظر: مناهل العرفان (٤٠٥/١-٤٠٦).
(٤) المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات. د. أحمد الخطيب ص ١٦ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir ...net

* روى البخاري في صحيحه: أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية (١) وأذربيجان (٢) مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص (٣) وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (٤) فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن

فاكتبوه بلسان قريش وإنما نزل بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. (٥)

* يقول ابن الجزري: "وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص، وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن. وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله، وثبت تلاوته عن النبي ﷺ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط، وكان من جملة الأحرف التي أشار إليها النبي ﷺ قوله: (إن هذا القرآن أنزل علي سبعة أحرف). (٦)

-
- (١) أرمينية هي: بكسر أوله ويفتح، إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي، جنوبي القوقاز، وعاصمتها: يريفان. وهي اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال. انظر معجم البلدان (١٩١/١).
 - (٢) أذربيجان هي: إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي، تقع على بحر قزوين وحدود إيران، يحدها من جهة الديلم عاصمتها: باكو. انظر المنجد في الأعلام ص ٣٣.
 - (٣) سعيد بن العاص هو: ابن أبي أحيحة بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، الأمي المدني، نشأ في حجر عثمان بن عفان ؓ. توفي سنة تسع وخمسون هـ. انظر سير أعلام النبلاء (٤٤٤/٣).
 - (٤) الحارث بن هشام هو: الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، كنيته أبو محمد من أشرف بني مخزوم، توفي سنة تسع وخمسون هـ. انظر سير أعلام النبلاء (٣٨٤/٣).
 - (٥) صحيح البخاري. كتاب فضائل القرآن. باب جمع القرآن. حديث رقم ٤٩٨٧. فتح الباري (٦٢٧/٨).
 - (٦) النشر في القراءات العشر (١٤/١).

ثانياً: أقسام القراءات من حيث القبول وعدمه:

انقسمت القراءات في عهد عثمان ؓ إلى قسمين:

الأول: ما يقبل ويقرأ به؛ وهو ما وافق خط المصحف المجمع عليه مما نقله الثقات وتلقوه مسلسلاً إلى النبي ﷺ.

الثاني: ما لا يقبل ولا يقرأ به؛ وهو ما خالف خط المصحف المجمع عليه مخالفة شديدة ظاهرة كزيادة كلمة وتبديل كلمة مكان أخرى، ونحو ذلك. (١)

* واستمر الناس يقرأون القرآن تلقياً ومشافهةً، على الحرف الذي جمع عثمان بن عفان ﷺ الأمة عليه، وما يحتمله رسم المصحف من الأحرف الأخرى التي أقرأها النبي ﷺ للصحابة (رضوان الله عليهم) علمها الصحابة ومن بعدهم، ثم كثر عدد القراء بعد هؤلاء، وانتشروا في البلاد، وخلفهم أمم بعد أمم، فقام علماء من جهاذة الأمة، وصناديد الأئمة، على رأسهم العلامة ابن مجاهد فاختر من القراء سبعة، وقد حظوا بالشهرة، ونباهة الشأن، ليسهل حفظ قراءاتهم ووافقهم الناس على ذلك، فأصبحت قراءة هؤلاء السبعة هي المشهورة والمتداولة بين الناس. (٢)

وبعد أن جمع ابن مجاهد - رحمه الله - قراءات الأئمة السبعة. أودعها كتابه السبعة، وأصبح يطلق على ما عداها من القراءات (شاذة)، رغم أن بعضها صحيح منقول عن الثقات.

وقد بين ابن جني (٣) - رحمه الله - ذلك حيث قال: "القراءات على ضربين :

الأول: القراءات الصحيحة التي أجمع عليها أكثر القراء، وهي قراءات الأئمة السبعة.

الثاني: القراءات الشاذة، وهي ما خلا القراءات السبع التي أودعها ابن مجاهد في كتابه السبعة. (٤)

(١) انظر: منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص ١٦.

(٢) انظر: منهج الإمام الطبري في القراءات ص ١١٢-١١٣. وممن رجح هذا الرأي محمد سالم محيسن في كتابه المغني (٩١/١). (٣) ابن جني هو: مكي بن أبي طالب حموش بن مختار القيسي، أبو محمد القيرواني الأندلسي، كان إماماً في وجوه القراءات، متبحراً في علوم شتى منها علوم القرآن، والعربية، والنحو. توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هـ. انظر غاية النهاية في طبقات القراء (٣٠٩/٢).

(٤) انظر: منهج الطبري في القراءات في تفسيره ص ١٨.

ومن الأهمية بمكان أن القراءات التي أطلق عليها ابن جني القراءات الشاذة^(١)، هي التي خرجت عن قراءة القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد على رغم أن كثيراً منها نازع القراءات التي اختارها ابن مجاهد في الصحة والفصاحة، وكان لها دور بارز في التفسير.

* يقول ابن جني: " القراءات ضربان: ضربٌ اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه أبو بكر بن مجاهد كتابه الموسوم بقراءات السبعة ... وضربٌ تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً، أي: خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع

بالتنقة إلى قراءته، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله، أو كثيراً منه، مساوٍ في الفصاحة للمُجمَع عليه " . (٢)

واستمر الناس على القراءة بالقراءات السبع مع قراءات صحيحة أخرى كقراءة يعقوب وأبي جعفر وغيرهما إلى أن جاء مكي بن أبي طالب ، ومن ثمَّ ظهرت تقسيمات جديدة، قسمها مكي بن أبي طالب باعتبار قبول القراءات والقراءة بها، أوردها إلى ثلاثة أقسام: -

القسم الأول: قسم يقرأ به اليوم، وهو قسم اجتمع فيه ثلاث خصال، تعرف بأركان القراءة الصحيحة وهي: -

١. أن ينقل عن الثقات إلى النبي ﷺ .

٢. أن يكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعاً.

٣. أن يكون موافقاً لخط المصحف.

فإن اجتمعت هذه الخصال الثلاث؛ قرئ به وقطع على مغيبه وصحته وصدقه، لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جحد به.

القسم الثاني: وهو ما يحمل الخصال التالية: -

١. صح نقله عن الأحاد.

٢. صح وجهه من العربية.

٣. خالف لفظه خط المصحف.

(١) شدّ: يشدّ، شذوذاً، انفرد عن الجمهور وندر، فهو شاذ. انظر لسان العرب (٤٩٤/٣). والمقصود هنا هي التي خرجت عن قراءة القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد.

(٢) انظر: المحتسب لابن جني في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٣٢/١).

فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين: -

* **إحاديها:** أنه لم يوجد بإجماع، إنما أخذ بأخبار الأحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر

الواحد.

* **ثانيها:** أنه مخالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على مغيبه وصحته، وما لم يقطع على

صحته لا تجوز القراءة به، ولا يكفر من جحد به.

القسم الثالث: وهو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية. فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف. (١)

*ثم جاء ابن الجزري فقسم القراءات إلى قسمين في اعتباره، ويمكن جعلها في ثلاثة أقسام وهي. (٢)

القسم الأول: القراءات المتواترة، وهي كل قراءة وافقت العربية مطلقاً، ووافقت أحد المصاحف ولو تقديراً، وتواتر نقلها، ويلحق بها القراءات الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة المستقبضة، المتلقاة بالقبول، وهي القراءات العشر.

القسم الثاني: القراءات الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة، لكنها لم يستفص نقلها، ولم تتلقها الأمة بالقبول. وهو ما نجده في أكثر القراءات الأربع التي بعد العشرة، وهي قراءة الحسن البصري (٣)، وابن محيصة (٤)، واليزيدي (٥)، والأعمش (٦).

القسم الثالث: القراءات الشاذة: وهي القراءات التي صح سندها، ووافقت العربية، وخالفت الرسم، ومثاله ما ورد بأسانيد صحاح في كتب الحديث من زيادة أو نقص، أو إبدال كلمة بأخرى.

(١) انظر: الإبانة عن معاني القراءات ص ٣٩-٤٠.

(٢) انظر: تقسيم ابن الجزري في منجد المقرئين ص ١٥-١٦.

(٣) الحسن البصري هو: الحسن بن أبي يسار، السيد الإمام، أبو سعيد البصري، أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وأمّه مولاة أم سلمة، كان إماماً لأهل البصرة، وخير أهل زمانه. توفي سنة عشرة ومائة هـ. انظر غاية النهاية (١/٢٣٥).

(٤) ابن محيصة هو: محمد بن عبد الرحمن بن محيصة السهمي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، كان ممن تجرد للقراءة، وقام بها في عصر ابن كثير، مولاهم المكي. توفي ثلاث وعشرون ومائة هـ. انظر غاية النهاية (٢/١٦٧).

(٥) اليزيدي هو: يحيى بن المبارك بن المغيرة، الإمام أبو محمد العدوي البصري المعروف باليزيدي، نحوي مقرئ ثقة، علامة كبير في النحو، والعربية، والقراءة، توفي في خراسان. سنة اثنتين ومائتان هـ. انظر غاية النهاية (٢/٣٧٥).

(٦) الأعمش هو: سليمان بن مهران، الإمام العلم أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي المقرئ الحافظ، أصله من أعمال الري، وكان أبوه من سبي الديلم، قرأ القرآن على يحيى بن وثاب، وزر بن حبيش، وأقرأ الناس ونشر العلم دهرًا طويلاً، وتوفي ثمان وأربعين ومائة هـ. انظر وغاية النهاية (١/٣١٥).

ونحو ذلك. (١)

*وكان هذا التقسيم لابن الجزري للقراءات آخر محطة وقف بها تقسيم القراءات القرآنية، كما ويمثل قاعدة الأساس لتقسيمات العلماء من بعد.

* وهنا لنا وقفة لبيان أنواع القراءات التي اندرجت تحت هذه الأقسام مع التمثيل لها.

ثالثاً: أنواع القراءات وأحكامها:

١. **المتواتر** : وهو ما رواه جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه.

مثاله: ما انفقت الطرق في نقله عن السبعة، وهذا هو الغالب في القراءات.

٢. **المشهور** : وهو ما صح سنده ؛ بأن رواه العدل الضابط عن مثله وهكذا، ووافق العربية، ووافق أحد المصاحف العثمانية، سواء أكان عن الأئمة السبعة، أم العشرة، أم غيرهم من الأئمة المقبولين، واشتهر عند القراء، فلم يعدوه من الغلط، ولا من الشذوذ، إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر.

مثاله : ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض القراءات الثلاث المتممة للعشرة.

* **حكاهما**: هذان النوعان هما اللذان يقرأ بهما، مع وجوب اعتقادهما، ولا يجوز إنكار شيء منهما.

٣. **الأحاديث** : وهو ما صح سنده، وخالف الرسم، أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور.

مثاله : ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن أبي بكر أن النبي ﷺ قرأ (مُتَكَيِّنَ عَلَى رِفَافٍ خُضْرٍ وَعَبَّاقِرِيٍّ حَسَانٍ) [الرحمن ٧٩]. (٢)

حكاه : هذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده .

٤. **الشاذ** : وهو ما لم يصح سنده، كقراءة ابن السَّمِيعِ^(٣) : (فاليوم نُنحِّيكَ بِيَدِنَاكَ) بالحاء المهملة

(١) منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص ٢٣.

(١) انظر: مستدرک الحاكم (٢٧٣١٢)، كتاب التفسير. باب قراءات النبي. حديث رقم ٢٩٨٦. ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. أما القراءة المتواترة فهي: «مُتَكَيِّنَ عَلَى رِفَافٍ خُضْرٍ وَعَبَّاقِرِيٍّ حَسَانٍ» [الرحمن ٧٦].

(٣) ابن السميع هو: محمد بن عبد الرحمن بن السميع، أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة ينسب إليه وشذ فيه. انظر غاية النهاية (١٦١/٢).

(لتكون لمن خَلَّفَكَ آيَةً) بفتح اللام من كلمة (خَلَّفَكَ).

٥. **الموضوع** : وهو ما نسب إلى قائله من غير أصل .

٦- **ما يشبه المدرج من أنواع الحديث** : وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير.

كقراءة سعد بن أبي وقاص (وله أخ أو أخت من أم) بزيادة لفظ (من أم). (١)

* قال ابن الجزري: وربما كانوا يدخلون التفسير في الكلام إيضاحاً؛ لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآناً، فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه. وأما من يقول: إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى. فقد كذب. (٢)

تواتر القراءات السبعة والألف المكملة للعشر والتي هي محور مدار الهمم:

قال أبو بكر بن العربي^(٣): " اتفق الأئمة على أن القراءات التي لاتخالف الألفاظ التي كتبت في مصحف عثمان هي متواترة، وإن اختلفت في وجوه الأداء، وكيفيات النطق، ومعنى ذلك أن تواترها تبع لتواتر صورة كتابة المصحف، وما كان نطقه صالحاً لرسم المصحف ". (٤)

* وهذه المعاني والشروط متوافرة في قراءات هؤلاء الأئمة لأنهم تلقوها عن الصحابة - رضوان الله عليهم - والصحابة بدورهم تلقوها عن رسول الله ﷺ، ورواها عن الصحابة التابعون وأتباع التابعين، ومن هؤلاء أئمة الأداء، وشيوخ الإقراء، ورواها عنهم أمم لا يحصون كثرة وعدداً في جميع العصور والأجيال، لم تخل أمة من الأمم ولا عصر من العصور، ولا مصر من الأمصار إلا وفيه من الكثرة، والجم الغفير من يروي قراءات هؤلاء الأئمة، وينقلها غيره إلى وقتنا هذا.

* أدلة تواتر قراءات الأئمة العشرة كثيرة منها:

أولاً: ما ثبت عن رسول الله ﷺ من نزول القرآن على سبعة أحرف، وهذه الأحاديث تفيد بالأدلة القطعية تواتر القراءات العشر، وبإنزال القرآن على سبعة أحرف؛ وقد ثبت بالدليل نسخ

(١) القراءة المتواترة (وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّنُّ) [النساء ١٢]

(٢) انظر: مناهل العرفان (٤٢٤/١).

(٣) ابن العربي: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد، الإمام أبو بكر بن العربي الأندلسي الإشبيلي، الحافظ، ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها، كان متقدماً في المعارف كلها، متكلماً في أنواعها، ناقداً في جميعها حريصاً على نشرها بلغ درجة الاجتهاد. له تصانيف كثيرة منها العواصم من القواصم وغيرها. توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. انظر طبقات المفسرين للداوودي (١٦٧/٢).

ما عدا القراءات العشر، فبقيت هذه القراءات مقطوع بثبوتها.

ثانياً: أنّ هذه القراءات أبعاض القرآن وأجزاؤه، وقد ثبت بالدليل أنّ القرآن كله بجميع أبعاضه وأجزائه وصل إلينا بطريق التواتر. فيكون كل جزء منه ثابتاً- بطريق التواتر - أنّه قرآن.

ثالثاً: ما نص عليه علماء الإسلام على ذلك، كابن جرير الطبري، والعلامة السبكي وغيرهم، موثقاً في مؤلفاتهم . (١)

المطلب الخامس: الأحرف السبعة معناها وفوائدها وعلاقتها بالقراءات.

أولاً . أحاديث الأحرف السبعة:

* ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسله، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه ". (٢)

* وما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أقرأني جبريل على حرف، فراجعت، فلم أزل أستزيدُه ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف ". (٣)

* وما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار (٤)،

(١) انظر: القراءات أحكامها ومصدرها لشعبان إسماعيل بتصريف ص ٩٩ - ١٠١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن . باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم ٤٩٩٢ . فتح الباري (٦٣٩/٨ - ٦٤٠) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث رقم ٤٩٩١ . فتح الباري (٦٣٩/٨) .
(٤) الأضاة : هو الغدير، والأضاة: الماء المستنقع من سيل أو غيره، والجمع أضوات، وأضا كعصا، وإضاء ، وإضون. انظر لسان العرب (٩٠/١) . وهو مستنقع الماء كالغدير؛ وكان بموضع من المدينة المنورة ينسب إلى بني غفار لأنهم نزلوا عنده. انظر فتح الباري (٦٤٥/٨) .

قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفه. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ؛ فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرفه. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرفه، فأيما حرفه قرأوا عليه فقد أصابوا ". (١)

* وروى الترمذي في صحيحه عن أبي بن كعب قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال: يا جبريل إنني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال يا محمد: إن القرآن أنزل على سبعة أحرفه. (٢)

ثانياً : معنى الأحرف السبعة:

* اختلف كثير من الناس في تحديد المراد بالأحرف السبعة اختلافاً كبيراً، قال ابن العربي: لم يأت في معنى هذه السبع نصّ ولا أثر (٣)، واختلف الناس في تعيينها. حتى إن السيوطي قد وصل اختلافهم إلى أربعين قولاً، عدّ منها خمسة وثلاثين قولاً (٤)، وقال الحافظ بن حبان البستي (٤): اختلف الناس فيها على خمسة وثلاثين قولاً وقد حذا هذا الاختلاف بالعلماء إلى أقوال مما دفع ابن سعدان النحوي (٥) إلى القول بأن حديث (أنزل القرآن على سبعة أحرفه) حديث مشكل لا يدرى معناه. (٦)

وبالوقوف على آراء العلماء نجد أنها تخلص إلى ثلاثة مذاهب هي كالآتي:

المذهب الأول: يرى بأن الأحرف السبعة تتعلق بالألفاظ لا بالمعاني؛ وينقسم أصحاب هذا المذهب إلى فريقين:

-
- (١) صحيح مسلم (٥٦١/١) . كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف. حديث رقم ٨١٩.
 - (٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٩٤/٥) في كتاب القراءات. باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف. حديث رقم ٢٩٤٤ .
 - (٣) انظر: الإتيان في علوم القرآن (١/١٤٥).
 - (٤) البستي هو: محمد بن حبان البستي صاحب الصحيح،كنيته أبو حاتم، توفي سنة أربعة وخمسين وثلاثمائة. انظر شذرات الذهب (١٦٣).
 - (٥) محمد بن سعدان هو: أبو جعفر الكوفي الضرير، مقرئ، نحوي، صنف كتباً في القراءات والنحو وغيرهما، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين هـ. انظر غاية النهاية في طبقات القراء (١٤٣/٢) .
 - (٦) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢١٣/١-٢١٤). انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها. تأليف: حسن ضياء الدين عتر . ص١٠٧- ١٠٩. من هنا كان منشأ الخلاف، فالأحاديث الواردة في ذلك رغم كثرتها جاءت مجتمعة، لا تكشف عن حقيقة المراد بهذه السبعة .

الفريق الأول:

أصحاب هذا الرأي من المتخصصين في العلوم المختلفة الذين يحاولون إسقاط أحاديث الأحراف السبعة على تخصصاتهم باختلافاتها، ومن أمثلتهم:

أهل اللغة يرون أن المراد بها: الحذف والصلة، والتقديم والتأخير، والقلب والاستعارة، والتكرار والكنائية، والحقيقة والمجاز، والمجمل والمفسر، والظاهر والغريب.

أهل النحو يرون أن المراد بها: التذكير، والتأنيث، والشرط والجزاء، والتصريف والإعراب، والجمع والتفريق، والتصغير والتعظيم، واختلاف الأدوات فيما يختلف فيها بمعنى، وما لا يختلف في الأداء واللفظ جميعاً.

وأهل العقيدة يرون أن المراد بها: علم الإثبات والإيجاد، وعلم التوحيد والتنزيه، وعلم صفات الذات، وعلم صفات الفعل، وعلم صفات العفو والعذاب، وعلم الحشر والحساب، وعلم النبوات والإمامات.

ومن الملاحظ، والجدير بالذكر، أن جميع هذه الأقوال متداخلة ومتشابكة، لا تستند إلى دليل شرعي، كما إن أصحابها لا يقدمون لها بحثاً علمياً واضحاً في الوصول إليها، على الرغم أن حوالي عشرين قولاً من الأربعين من أقوالهم (١).

الفريق الثاني:

يرى أصحاب هذا الفريق أن المراد بالأحرف السبعة: سبعة أصناف من المعاني أنزل الله القرآن عليها، وهذه الأصناف هي: (أمر ونهي، ووعد ووعيد، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه وأمثلة). وعدادوا غير ذلك من الأنواع (٢).

وأصحاب هذا الرأي لهم شبه دليل، سواء أكان الاستدلال له بالحديث أو القراءات المأثورة أو اللغة.

* يقول مناع القطان: "ظاهر الأحاديث - أحاديث الأحرف السبعة - يدل على أن المراد بالأحرف السبعة أن الكلمة تقرأ على وجهين أو ثلاثة إلى سبعة، توسعة للأمة. والشيء الواحد لا يكون حلالاً وحراماً في آية واحدة، والتوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا تحليل حرام، ولا

(١) انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ١٢١-١٢٤.

(٢) انظر: الإتيان في علوم القرآن (٤٧/١).

في تغيير شيء من المعاني المذكورة " . (١)

* يقول الرافعي: " وما كان العرب يفهمون من معنى الحرف في الكلام إلا اللغة، وإنما جعلها سبعة رمزاً إلى القوة من معنى الكمال في هذا العدد، وخاصة فيما يتعلق بالإلهيات: كالمسوات السبع، والأرضين السبع، والسبعة الأيام التي برئت فيها الخليفة، وأبواب الجنة والجحيم، ونحوها فهذه حدود تحوي وراءها بالغاً ما بلغ، وهذا الرمز من أطف المعاني وأدقها، إذ يجعل القرآن في لغته وتركيبه كأنه حدود وأبواب الكلام كله". (٢)

وبمثل هذا القول يكون الرافعي قد أراد أن نزول القرآن على سبعة أحرف يجعله بالغاً حداً من السعة والشمول، المراد منها التيسير والتسهيل على الأمة ورفعاً للخرج.

المذهب الثاني: يرى أصحاب هذا المذهب أنّ الأحرف السبعة هي سبعة أوجه من اللغات والقراءات أنزل القرآن عليها.

وقد ذهب إلى هذا الرأي طائفة من العلماء، منهم: أبو حاتم السجستاني^(٣)، ابن قتيبة^(٤)، وأبو الفضل الرازي^(٥)، وابن الجزري، وغيرهم.

ونمثل لهذا المذهب بأكثر المذاهب شمولاً وهو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي؛ إذ يقول: الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف:

الأول: اختلاف أوزان الأسماء من الواحد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والمبالغة وغيرها.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه من ماض ومضارع وأمر ومستقبل ونحوه.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب .

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة .

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ١٥٩ .

(٢) إجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٥٧.

(٣) السجستاني هو: سهل بن محمد السجستاني، كنيته أبو حاتم، صاحب الميرد، توفي بالبصرة سنة خمس وخمسين ومائتين هـ - انظر إنباه الرواة (٥٨/٢)

(٤) ابن قتيبة هو: عبد الله بن مسلم الدينوري، كنيته أبو محمد الشهير بابن قتيبة، كان رأساً في العربية واللغة، ثقة ديناً فاضلاً، له تصانيف كثيرة منها: إعراب القرآن. توفي سنة ست وسبعين ومائتين هـ. انظر طبقات المفسرين. للداوودي. (٢٤٥/١).

(٥) الفضل الرازي هو: عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار بن إبراهيم بن جبريل، أبو الفضل الرازي، الإمام المقرئ، الثقة، مؤلف كتاب جامع الوقوف وغيره. توفي سنة أربعة وخمسين وأربعمائة هـ. انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي (٧١/٥) .

الخامس : اختلاف التقديم والتأخير .

السادس : اختلاف الإبدال في الكلمة إما بالحرف أو بالحركة.

السابع : اختلاف اللغات -يريد اللهجات- كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم ونحو ذلك. (١)

المذهب الثالث: يرى أصحاب هذا المذهب أنّ الأحرف السبعة هي: سبع لغات من لغات العرب.

وينقسم أصحاب هذا المذهب إلى فريقين :

الفريق الأول : يرى أن الأحرف السبعة هي: سبع لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة، تختلف فيها الألفاظ مع اتفاق المعاني، وعدم تناقضها، وذلك نحو : هلم، وتعال، وأقبل، وإليّ، ونحوي، وقصدي، وقربي، فهذه الألفاظ السبعة مختلفة يعبر بها عن معنى واحد وهو طلب الإقبال .

الفريق الثاني: يرى أصحاب هذا الرأي:

أن القرآن نزل على سبع لغات متفرقة فيه، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، أي: الأحرف السبعة متفرقة فيه. يفسر أبو عبيد (٢) أحد القائلين بهذا الرأي معناه حيث يقول: " قوله سبعة أحرف يعني سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا لم نسمع به قط، ولكن نقول: هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فبعضه نزل بلغة قريش ، وبعضه نزل بلغة هوازن، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحدة ". وهناك فرق واضح بين القولين :

والقول الرابع:

إنّ المقصود بالأحرف السبعة هو :

سبع لغات من لغات العرب بما فيها من نواحي الاختلاف الكثيرة ، والتي منها

اختلاف الألفاظ مع اتفاق المعنى، وكذلك الاختلاف في هيئات النطق والأداء.

وهذا ما ذهب إليه د. عبد الرحمن الجمل في رسالته.

يقول مكي بن أبي طالب: "إن الله رَجَّلَ لم يجعل على عباده حرجاً في دينهم، ولا ضيق عليهم

(١) انظر: مناهل العرفان (١/١٤٨). ويمكن الاطلاع على الأمثلة لكل وجه، والذي لم أتطرق لكتابتها مخافة الإطالة وتجنباً للتكرار.

(٢) أبو عبيد هو: القاسم بن سلام ، أبو عبيد الخرساني الأنصاري مولا هم البغدادي، إمام كبير حافظ علامة، صاحب التصانيف الكثيرة في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر وغيرها . توفي بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين هـ. انظر معرفة القراء ص ١٠١-١٠٢.

فيما افترض عليهم، وكانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف ومؤونة شديدة، فيسّر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات في القرآن بمعانٍ متفقة ومختلفة، ليقراً كل قوم على لغتهم وعلى ما يسهل عليهم من لغة غيرهم، وعلى ما جرت به عادتهم... وقرأوا على طبعهم ولغتهم ولغة من قرب منهم، وكان في ذلك رفق عظيم بهم " (١)

ويؤكد ذلك حديث رسول الله ﷺ الذي رواه الترمذي عن أبي بن كعب والذي قال فيه ﷺ لجبريل: " يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط " . (٢)

ومن هنا تظهر الحكمة جليلة واضحة من نزول القرآن على سبعة أحرف، وهو التيسير على المسلمين، ورفع المشقة والحرص عنهم؛ إذ لو حملوا جميعاً على قراءة القرآن على حرف واحد لشق ذلك عليهم، ولوقعوا في حرج شديد، ولكن رحمة الله ﷻ وسعتهم فهم المتعبدون بتلاوة القرآن، وليمكن صاحب كل قبيلة من قراءة القرآن بالحرف الذي يسهل عليهم التلاوة.

ثالثاً: رتبة حديث نزول القرآن على سبعة أحرف:

* لقد احتل حديث " نزول القرآن على سبعة أحرف " مرتبة قيمة فهو من الأحاديث المتواترة التي هي شواهد بارزة، ومنازل هدى، ومصادر إشعاع وضياء، ترشد الحيارى والتائهين إلى الحق والصواب، في بيان معنى الأحرف السبعة، ومن الأدلة على ذلك مايلي :

١- ورود حديث " نزول القرآن على سبعة أحرف " من طرق شتى في أمهات كتب السنة . كما أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، والترمذي في كتاب القراءات، وأبو داود في كتاب الصلاة، والنسائي في كتاب الافتتاح، والإمام أحمد ابن حنبل في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، وغيرهم.

٢- صحة أسانيد هذا الحديث وكثرتها حتى إن بعضها كان من السلاسل الذهبية التي يطمئن إليها القلب، وقال السيوطي في الإتقان: ورد حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة: أبي بن كعب، وأنس، ... وعدهم واحداً وعشرين صحابياً (٣)

(١) الإبانة عن معاني القراءات ص ٩٥ . انظر منهج الإمام الطبري في القراءات ص ٨٧-٩٣.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٣ .

(٣) انظر: الإتيان في علوم القرآن (٦٣/١).

* وقد أورد الدكتور حسن ضياء الدين عتر في كتابه الأحرف السبعة، أحاديث عن ثلاثة من الصحابة لم يذكرهم السيوطي؛ وهم: زيد بن ثابت، وعبادة بن الصامت، وأم أيوب. وبذلك تبلغ عدة من روى الحديث من أصحاب رسول الله ﷺ نحو أربعة وعشرين صحابياً.
* ثم استدرك قائلاً: " إذا كانت زيادة عدة الأسانيد على ثلاثة تجعل الحديث في رتبة المشهور فالحكم على حديث الأحرف السبعة بالشهرة من مسلمات علوم الحديث. لكن استفاضة حديث الأحرف السبعة البالغة، وتعدد أسانيده، وانتشار شهرته، وكثرة روايته بما يستحيل تواطؤهم على الكذب يؤدي إلى الحكم بتواتره " . (١)

رابعاً: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف:

لما كانت الحكمة من نزول القرآن الكريم لهداية الأمة العربية وإرشادها، لتكون حاملة الرسالة الإلهية إلى البشرية جمعاء، ولتنبوء مركز السيادة والريادة في التوجيه والإصلاح، ومما اقتضته الحكمة الإلهية من إنزال القرآن على سبعة أحرف لفوائد جليلة، وحكم بليغة منها:-

١. التخفيف على الأمة الميمونة، وإرادة التسهيل والتيسير لها والتهوين عليها، ورفعاً للحرَج فإنها

كانت قبائل كثيرة بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الأصوات، وطريقة الأداء، فلو أخذت بحرف واحد لشق عليها ذلك.

* يقول ابن الجزري - رحمه الله - : "وأما سبب وروده على سبعة أحرف فلتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفاً لها، وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها " . (٢)

حيث أتاه جبريل عليه السلام فقال: "إن الله يأمرك أن تقرأ أمرك القرآن على حرفه. فقال ﷺ: أسأل الله معافاته ومغفرته، إن أممي لاتطبق ذلك . ثم أتاه الثانية فقال: ... ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرفه " . (٣)

* كما قال ابن قتيبة: " فكان من تيسير الله أن أمر الرسول ﷺ بأن يقرئ كل قوم بلغتهم، وما

(١) انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ١٠٩.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢٥/١).

(٣) صحيح البخاري. كتاب فضائل القرآن. باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. فتح الباري (٦٤١/٨).

جرت عليه عادتهم فالهذلي ... والأسدي ... ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة. فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات، ومتصرفاً في الحركات، كتنسيه عليهم في الدين " . (١)

٢. سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة؛ إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه، وأقرب إلى فهمه، وأدعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة، لا سيما فيما كان خطه واحداً، فإن ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً. (٢)

٣. أعظم برهان وأوضح دليل على صدق من جاء به وهو النبي ﷺ؛ إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف والتنوع في القراءات لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذاك إلا آية بالغة، برهان ساطع على صدق من جاء به، محمد ﷺ قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء ٨٢].

٤. إظهار نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدثها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل. ففي إنزال القرآن على سبعة أحرف إيجاز الإيجاز وذروة الإعجاز، فتبديل لفظة مكان لفظة، يعطى حكماً جديداً يحتاج للتعبير عنه إلى عبارة تامة، وهذا بدوره يحتاج إلى ذلك التطويل الذي عنيينا.

٥. توحيد لغات العرب؛ حيث إن نزول القرآن على سبعة أحرف مرحلة هامة، أسهمت كثيراً في إزالة الحواجز والعقبات اللغوية بين العرب، بسبب اختلاف لغاتهم، بل أدت في خاتمة المطاف إلى الاستقرار على العرضة الأخيرة التي كان معظمها على لغة قريش، وبها استقرت

(١) انظر: تأويل المشكل لأبن قتيبة بتصرف ص ٣٩-٤٠.

(٢) النشر في القراءات العشر (٤٧/١).

وحدة اللسان العربي.(١)

٦. إعظام أجور هذه الأمة؛ من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليلبغوا قصدهم في تتبع معاني القراءات، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج أسرارها، وكشف خفايا إشارات، بالإضافة إلى الأجر والثواب على تلاوته؛ قال رسول الله ﷺ: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن (الف) حرف و(لام) حرف و(ميم) حرف". (٢)

٧. بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، والبحث عن لفظه لفظة لفظة، والبحث عن صيغته صيغة صيغة، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وبيان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطغيان والتطيف.

٨. إظهار ما ادخره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة لهذه الأمة الميمونة، من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السبب الإلهي بسببها خصيصة الله - تعالى - هذه الأمة، وإعظاماً لنقدر أصحاب هذه الحنيفية السمحاء.

٩. سر من أسرار حفظ كتاب الله ﷻ قال ابن الجزري: "منها ظهور سر الله تعالى في تولية حفظه كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتميز، فإن الله لم يخل عصر من الأعصار، ولو في قطر من الأقطار؛ من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله، وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على مر الدهور، وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور". (٣)

١٠. وهنا فوائد جمّة لاختلاف القراءات من الناحية الفقهية والتفسيرية منها:-

أ. بيان حكم من الأحكام الشرعية مجمع عليه :

* نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء ١٢] قرأ سعد بن أبي وقاص (وله أخ أو أخت من أم) بزيادة لفظ (من أم)

فتبين بها أن المراد بالإخوة في هذا الحكم الإخوة للأُم دون الأشقاء ومن كانوا لأب وهذا أمر مجمع عليه.

- (١) انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ٢٢٦.
(٢) أخرجه الترمذي باب فضائل القرآن. باب فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر. (٩/٣) حديث رقم ٣٠٨٧. والحديث صحيح (٣) النشر في القراءات العشر (٤٨/١).

ب. الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين :

نحو قوله تعالى: ﴿ فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة ٢٢٢]. قرأ حمزة والكسائي وخلف وشعبة (يَطْهُرْنَ) بالتشديد في حرف الطاء، وقرأ الباكون (يَطْهُرْنَ) بالتخفيف في حرف الطاء، ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة، ومجموع القراءتين يحكم بأمرين:-

أحدهما: أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر وذلك بانقطاع الحيض، على قراءة التخفيف.

وثانيهما: أنها لا يقربها زوجها أيضاً إلا إذا بالغت في الطهر؛ وذلك بالاغتسال، فلا بد من الطهرين كليهما في جواز قربان النساء . وهو مذهب الشافعي ومن وافقه أيضاً. (١)

ب. الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين :

* نحو قوله تعالى في بيان الوضوء ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة ٦] قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص بنصب اللام في لفظ ﴿ أَرْجُلَكُمْ ﴾ وقرأ الباكون بجرها، فالنصب يفيد طلب غسلها؛ لأن العطف حينئذ يكون على لفظ ﴿ وجوهكم ﴾ المنصوب وهو مغسول، والجر يفيد طلب مسحها؛ لأن العطف حينئذ يكون على لفظ ﴿ رؤوسكم ﴾ المجرور وهو ممسوح، وقد بين الرسول ﷺ أن المسح يكون للابس الخف، وأن الغسل يجب على من لم يلبس الخف.

ث. دفع توهم ما ليس مراداً:

* نحو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة ٩]، وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود في قراءة شاذة (فامضوا إلى ذكر الله) ، فالقراءة الأولى يتوهم منها وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة، ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم؛ لأن المضي ليس من مدلوله السرعة.

(١) انظر: مناهل العرفان (١٣٨/١-١٤٢). انظر النشر في القراءات العشر (١٧١/٢). انظر تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (الفاخرة - البقرة - آل عمران) رسالة ماجستير. إعداد الباحث. عبد الله الملاحي ص ٧٣.

ج. ترجيح حكم اختلف فيه :

* نحو قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ هَلِيكُمُ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [المائدة ٨٩]. وقرئ (أو تحرير رقبة مؤمنة) بزيادة لفظ: (مؤمنة) في كفارة اليمين، فزيادة لفظ (مؤمنة) في بعض الروايات ترجيح لاشتراط الإيمان في الرقبة المعنقة . كما ذهب إليه الشافعي.

ح. بيان لفظ مبهم على البعض :

* نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ [القارعة ٥] فقد جاء في قراءة شاذة (كالصوف المنفوش) فبينت القراءة الثانية أن العهن هو الصوف.

د. تجلية عقيدة ضل فيها بعض الناس :

* نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان ٢٠] جاءت القراءة المتواترة بضم الميم وسكون اللام في لفظ (وملكاً كبيراً) وجاءت قراءة شاذة (وملكاً كبيراً) بفتح الميم وكسر اللام^(٢) في هذا اللفظ نفسه، فرفعت هذه القراءة الثانية نقاب الخفاء عن وجه الحق في عقيدة رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة. (١)

ذ. إثراء المعاني المستنبطة من الألفاظ القرآنية:

* نحو قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ [البقرة ٣٧] ، جاءت القراءة برفع (آدم) ونصب

(كلمات) أما ابن كثير فقد قرأها بنصب (آدم) ورفع (كلمات). فجاءت القراءة الأولى لتبين أن آدم هو الذي تلقى الكلمات من ربه، وهذا يدل على حرصه على التوبة، أما القراءة الثانية

فتفيد أن الكلمات التي ألهم الله بها آدم هي التي تلقته، وفي هذا دلالة على محبة الله لأدم بسبب حرصه على التوبة. (٢)

ر. بيان صحة لغة من لغات العربية:

* نحو قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء ١]، فقد ورد فيها قراءتان متواترتان؛ فقد قرأ حمزة وحده ﴿والأرحام﴾ بالخفض، وقرأها الباقون ﴿والأرحام﴾ بالنصب.

(١) انظر: مناهل العرفان (١٤١/١).

(٢) انظر: القراءات القرآنية وأثرها في التفسير والأحكام د. محمد بازمول (١٨٦/١-١٨٧).

والقراءة المتواترة هي قرآن بإجماع علماء الأمة؛ لذلك فهي حجة على جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة العامل.

خامساً: صلة القراءات بالأحرف السبعة:

* كثيراً ما يلتبس الأمر على بعض العوام، ويظن أن القراءات القرآنية هي الأحرف السبعة؛ ويرجع هذا اللبس إلى ما قام به الإمام الفاضل ابن مجاهد^(١) حينما اختار من القراء الذين انتشروا في عصره سبعة قراء، فوافق عدد القراء الذين اختارهم عدد القراءات السبع، فالتبس الأمر على من لا علم له بأصل المسألة بأن المراد بالقراءات السبع الأحرف السبعة، لاسيما وقد كثر استعمالهم الحرف في موضع القراءة فقالوا: اقرأ بحرف نافع، بحرف عاصم، فتأكد الظن بذلك. (٢)

وقد تباينت آراء القائلين في بيان العلاقة بين القراءات والأحرف السبعة على أقوال:

القول الأول: إن القراءات السبع هي الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن.

القول الثاني: إن القراءات السبع والثلاث المكملة للعشر، وقراءة الحسن البصري واليزيدي وغيرها من القراءات الثابتة كلها ليست إلا حرفاً واحداً من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عليه عثمان رضي الله عنه المصاحف. (٣)

القول الثالث: أن القراءات الثابتة سواء في ذلك العشر وغيرها، هي بمجموعها الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، وهو قول طوائف من أهل الكلام والقراء وغيرهم.

القول الرابع: إن القراءات جزء من الأحرف السبعة لا كلها ولا حرفاً واحداً منها.

ذهب إلى القول بهذا عدد من العلماء منهم : مكي بن أبي طالب، وابن الجزري.(٤)
ولكن لكل من أصحاب هذه الأقوال أدلتهم وحجتهم، إلا أننا آثرنا عدم الخوض فيها مخافة

(١) ابن مجاهد هو: أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي، الحافظ الأستاذ أبو بكر بن مجاهد البغدادي، شيخ الصنعة، وأول من سبع السبعة توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. انظر سير أعلام النبلاء (٢٧٢/١٥).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦٤٩/٨). انظر الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ٣٤٧. انظر منهج الإمام الطبري في القراءات ص ١٠٧. انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٢٧/١). تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم . المكتبة العصرية صيدا- بيروت ١٣٩١هـ-١٩٧٢م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي : البرهان.

(٣) انظر : منهج الإمام الطبري في القراءات ص ١٠٩.

(٤) انظر : الإبانة عن معاني القراءات ص ٢٢.

الإطالة والتكرار، ولكن سنتعرض الباحثة للقول الراجح فيما بعد.

أما القول الراجح:

* فقد قال عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة: " إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا ". (١)

يقول مكي بن أبي طالب - رحمه الله - : " إن هذه القراءات كلها، التي يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الأئمة، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط المصحف، مصحف عثمان ... فالمصحف كتب على حرف واحد، وخطه محتمل لأكثر من حرف؛ إذ لم يكن منقوطةً ولا مضبوطةً، فذلك الاحتمال الذي احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية". (٢)

ومما لا شك فيه فخلو المصاحف من النقط والشكل والألفات المتوسطة جعلها أكثر احتمالاً لتعدد وجوه القراءة فيما لا يخالف خط المصحف، فقرأ كل مصر من الأمصار على ما تلقوه سماعاً من الصحابة متقيدين بذلك بخط المصحف، فتعددت القراءات الموافقة لخط المصحف العثماني والثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت بلا شك من الأحرف السبعة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه، فنشروها في الأفاق، وتناقلتها عنهم الأئمة إلى عصرنا هذا.

وهذا يثبت بشكل واضح أنه قد نُقل إلينا بعض ما في الأحرف السبعة بالقراءات الثابتة الموافقة للخط العثماني. (٣)

ويؤكد هذا المعنى د. عبد الرحمن الجمل في بحثه قائلاً: " فإن الرأي الذي هو أقرب الآراء للصواب، والذي ينص على أن القراءات جزء من الأحرف السبعة. وذلك أن هذا الرأي أقرب

الآراء إلى معنى التيسير ورفع الحرج من القول بأنها ترجع إلى حرف واحد، فإنه يظهر من اختلاف القراءات في هيئات النطق من إمالة وفتح وتخفيف الهمز وتسهيله معنى التيسير، وذلك أن بعض القبائل كانت تنطق بالإمالة وأخرى بالفتح، وهذه بتسهيل الهمز وأخرى بتحقيقه. فإن تكون الاختلافات بين القراءات على هذا النحو دليل على أن القراءات جزء من الأحرف السبعة.

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري. كتاب فضائل القرآن. باب جمع القرآن. حديث رقم ٤٩٨٧. (٦٢٧/٨).

(٢) الإبانة عن معاني القراءات ص ٢٢ - ٢٤.

(٣) انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ٣٥٧.

لا أنها ترجع إلى حرف واحد " (١).

فالأحرف السبعة المنزلة من الله تعالى هي مصدر القراءات المقطوع بصحتها، ولا مصدر لها سواها، فالقراءات المقطوع بصحتها من السبع والعشر وغيرها من الأحرف السبعة قطعاً. وبناء على ما سبق نجد أنّ العلاقة بين الأحرف السبعة والقراءات هي علاقة عموم وخصوص فالقراءات المقطوع بصحتها أخص من الأحرف، والأحرف أعمّ من القراءات.

(١) انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ٣٥٣ - ٣٥٨. الإبانة عن معاني القراءات ص ٢٢ - ٢٤. انظر منهج الإمام الطبري في القراءات ص ١٠٧ - ١١٣.

المطلب الخامس: التعريف بالقراء العشرة ورواتهم.

لا بد قبل الشروع في تفسير القرآن بالقراءات العشر المتواترة من بطاقة تعريف لهؤلاء القراء الذين نسبت إليهم هذه القراءات بسلسلة سند صحيح إلى النبي ﷺ وهم .

الإمام الأول: نافع المدني (٧٠ - ١٦٩) هـ.

هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء كنيته أبو رويم، أحد القراء السبعة الأعلام، ثقة صالح، أصله من أصفهان، كان أسود اللون حالكاً، صبيح الوجه، حسن الخلق، فيه دعابة، أخذ القراءة عن جماعة من سبعين تابعي من أهل المدينة، كان إذا تكلم تُشَمَّ من فيه رائحة المسك، كان عالماً بوجوه القراءات، وأقرأ الناس دهرًا طويلاً، وقد أخذ القراءة عنه خلق كثير، وانتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة، توفي - رحمه الله - في المدينة سنة تسع وستين ومائة للهجرة، أشهر من روى عنه: قالون وورش. (١)

١. قالون: (١٢٠ - ٢٢٠) هـ.

هو: عيسى بن مينا الزرقي مولى بني زهرة بن وردان كنيته أبو موسى، يقال ربيب نافع هو الذي لقبه بقالون وتعني بالرومية (جيد)، لجودته في القراءة، كان أصمَّ لا يسمع البوق، وكان إذا قرأ عليه قارئ فإنه يسمعه، أخذ القراءة عرضاً عن نافع وورش على عيسى بن وردان توفي - رحمه الله - بالمدينة سنة عشرين ومائتين للهجرة. (٢)

٢. وورش: (١١٠ - ١٩٧) هـ.

هو: عثمان بن سعيد بن عبد الله، القبطي المصري وكنيته أبو سعيد، الملقب بورش لشدة بياضه، شيخ القراء المختصين، وإمام أهل الأداء المرتلين، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، كان جيد القراءة، حسن الصوت، لا يمله سامعه، كان يلبس ثياباً قصاراً فشبّهه نافع بالورشان (نوع من أنواع الطير) ثم خفف بورش توفي - رحمه الله - بمصر سنة سبع وتسعين ومائة للهجرة. (٣)

(١) انظر: غاية النهاية (٣٣٠/٢-٣٣١). معرفة القراء الكبار (٦٤-٦٦). النشر في القراءات العشر (٩٢/١-٩٣).

(٢) انظر: غاية النهاية (٦١٥/١-٦١٦). معرفة القراء الكبار (٩٣-٩٤). النشر في القراءات العشر (٩٣/١).

(٣) انظر: غاية النهاية (٥٠٢/١-٥٠٣). معرفة القراء الكبار (٩١-٩٣). النشر في القراءات العشر (٩٣/١). انظر كتاب التذكرة

في القراءات لابن غلبون (٣٨/١).

الإمام الثاني: ابن كثير المكي (٤٥ - ١٢٠) هـ.

هو: عبد الله بن كثير بن عمر بن عبد الله المكي الداري العطار نسبة إلى بيع العطور كنيته أبو معبد، أصله فارسي، وأحد القراء السبعة، أخذ القراءة عن عبد الله بن السائب، إمام أهل مكة في القراءة، ولد بمكة، ولقي بها عدداً من الصحابة منهم: عبد الله بن الزبير،

وأبو أيوب الأنصاري، وروى عنهم. كان فصيحاً بليغاً مفوهاً، عليه السكينة والوقار، عالم بالعربية، توفي - رحمه الله - بمكة سنة عشرين ومائة للهجرة، أشهر من روى عنه: البيهقي وقنبل. (١)

١. البيهقي: (١٧٠ - ٢٥٠) هـ.

هو: البيهقي المكي، أحمد بن محمد بن عبد الله البيهقي بن القاسم بن نافع كنيته أبو الحسن، مقرئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام، كان إماماً في القراءة، فارسي الأصل أستاذاً، محققاً، ضابطاً متقناً، أخذ القراءة بسنده إلى ابن كثير المكي، توفي - رحمه الله - سنة خمسين ومائتين للهجرة (٢)

٢. قنبل: (١٩٥ - ٢٩١) هـ.

هو: محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد المخزومي بالولاء المكي كنيته أبو عمر، الملقب بقنبل، شيخ الإقراء بالحجاز، كان حسن السيرة، إماماً في القراءة، ضابطاً

ثقة، رحل إليه الناس من جميع الأقطار، أخذ القراءة بسنده إلى ابن كثير المكي، توفي -
رحمه الله - بمكة سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة. (٣)

الإمام الثالث: أبو عمرو بن العلاء البصري: (٦٨ - ١٥٤) هـ.

هو: زبان بن العلاء بن عمار بن العريان، التميمي المازني البصري، وأحد القراء السبعة،
أحد أئمة اللغة والأدب، ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات في الكوفة، كان أعلم الناس بالأدب
والقرآن ليس في القراء السبعة من هو أكثر شيوخاً منه، كان صادقاً، ثقة، زاهداً كثير العبادة،
صاحب

(١) انظر: غاية النهاية (٤٤٣/١-٤٤٥). معرفة القراء الكبار (٤٩-٥٠). النشر في القراءات العشر (٩٩/١).

(٢) انظر: غاية النهاية (١١٩/١-١٢٠). معرفة القراء الكبار (١٠٢-١٠٥). النشر في القراءات العشر (٩٩/١).

(٣) انظر: غاية النهاية (١٦٥/٢-١٦٦). معرفة القراء الكبار (١٣٣-١٣٤). النشر في القراءات العشر (٩٩/١).

كرامات، قرأ بمكة، والمدينة، وقرأ بالكوفة والبصرة، على جماعة كثيرة منهم سمع أنس بن
مالك، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعاصم، وابن كثير، ومات - رحمه الله - بالكوفة سنة أربع
وخمسين ومائة للهجرة. أشهر من روى عنه: الدوري والسوسي. (١)

١. الدوري: (ت ٢٤٦) هـ.

هو: حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي، البغدادي، الدوري، النحوي كنيته أبو عمرو،
الضري، بن صُهبان بن عدي، نزيل سامراء، إمام القراءة، وشيخ الناس في زمانه، ثقة،
ثبت، كبير، ضابط، أول من جمع القراءات، قرأ بسائر الحروف السبعة، وبالشواذ، توفي -
رحمه الله - سنة ست وأربعين ومائتين للهجرة. (٣)

٢. السوسي: (ت ٢٦١) هـ.

هو: صالح بن زياد بن عبد الله الرقي كنيته أبو شعيب، المعروف بالسوسي، مقرئ، ضابط،
ثقة، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً، أول من جمع القراءات، وقرأ اليزيدي، وقرأ على حفص
قراءة عاصم، وأخذ القراءة عنه جماعة، توفي - رحمه الله - سنة إحدى وستين ومائتين. (٤)

الإمام الرابع: ابن عامر الشامي: (٨ - ١١٨) هـ.

هو: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي كنيته أبو عمران، وهو من التابعين انتهت إليه مشيخة الإقراء لأهل الشام ، جمع بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء في دمشق كان عالماً ، ثقة متقناً ، وأجمع الناس على قراءته.سمع من جماعة من الصحابة منهم: النعمان بن بشير، ومعاوية بن أبي سفيان، وغيرهم - رضي الله عنهم - وتلقى القراءة عن أبي الدرداء، وعن المغيرة بن أبي شهاب عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي - رحمه الله - بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة للهجرة .أشهر من روى عنه: هشام، وابن ذكوان.(٥)

- (١) انظر: غاية النهاية (٢٨٨/١) . معرفة القراء الكبار (١٠٠/١) . النشر في القراءات العشر (١٣٣/١).
- (٢) انظر: غاية النهاية (٢٨٨/١-٢٩٢) . معرفة القراء الكبار (٥٨-٦٢) . النشر في القراءات العشر (١٠٩/١).
- (٣) انظر: غاية النهاية (٢٥٥/١-٢٥٧) . معرفة القراء الكبار (١١٣-١١٤) . النشر في القراءات العشر (١١٠/١).
- (٤) انظر: غاية النهاية (٣٣٢/١-٣٣٣) . معرفة القراء الكبار (١١٥) . النشر في القراءات العشر (١١٠/١). انظر كتاب التنكرة في القراءات لابن غلبون (٤٠/١).
- (٥) انظر: غاية النهاية (٤٢٣/١-٤٢٥) . معرفة القراء الكبار (٤٦ - ٤٩) . النشر في القراءات العشر (١١٧/١).

١. هشام: (١٥٣ - ٢٤٥) هـ.

هو: هشام بن عمار السلمي الدمشقي كنيته أبو الوليد، إمام أهل دمشق، وخطيبهم، ومقرئهم، ومحدثهم، ومفتيهم، مشهورٌ بالنقل والفصاحة والعلم، والرواية والدراية، أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم التميمي، وعراك بن خالد، وغيرهم، روى القراءة عنه أبو عبيد القاسم بن سلام ارتحل إليه الناس في القراءة، والحديث، توفي - رحمه الله - سنة خمس وأربعين ومائتين للهجرة. (١)

١. ابن ذكوان: (١٧٣ - ٢٤٢) هـ.

هو: عبد الله بن أحمد بن بشير، القرشي الفهري الدمشقي كنيته أبو عمرو، الإمام المشهور، الراوي الثقة، شيخ الإقراء بالشام، وإمام الجامع الأموي، انتهت إليه مشيخة الإقراء. قرأ على الكسائي حين قدم الشام، قال أبو زرعة الدمشقي: لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان. أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم عن يحيى بن الحارث وغيرهم، توفي - رحمه الله - سنة اثنتين وأربعين ومائتين للهجرة. (٢)

الإمام الخامس: عاصم الكوفي (... - ١٢٧) هـ.

هو: عاصم بن أبي النجود، بن بهدلة الحناط الأسدي مولا هم الكوفي كنيته أبو بكر، وهو من التابعين، وأحد القراء السبعة، شيخ الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي، جمع بين الفصاحة والإتقان، والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن. أخذ القراءة عرضاً عن زر بن حبيش، وأبي عبد الرحمن السلمي، قال أبو بكر بن عياش: لا أحصي ما سمعت أبا اسحق السبيعي يقول: ما رأيت أحداً أقرأ للقرآن من عاصم. وروى عنه القراءة خلق كثير منهم: سليمان بن مهران الملقب بالأعمش، وأبو بكر شعبة بن عياش، وحفص بن سليمان، توفي

— رحمه الله — سنة سبع وعشرين ومائة. أشهر من روى عنه: شعبة، وحفص. (٣).

١. **شعبة**: (٩٥ - ١٩٣) هـ.

هو: شعبة بن عياش بن سالم، المعروف بالحناط، الكوفي كنيته أبو بكر، الإمام العلم راوي

(١) انظر: غاية النهاية (٣٥٤/٢-٣٥٦). معرفة القراء الكبار (١١٥-١١٧). النشر في القراءات العشر (١١٧/١).

(٢) انظر: غاية النهاية (٤٠٤/١-٤٠٥). معرفة القراء الكبار (١١٧-١١٩). النشر في القراءات العشر (١١٨/١).

(٣) انظر: غاية النهاية (٣٤٦/١-٣٤٩). معرفة القراء الكبار (٥١-٥٤). النشر في القراءات العشر (١٢٦/١).

عاصم، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، كان إماماً كبيراً وعالمًا عاملاً، من أئمة السنة، ختم القرآن ثماني عشرة ختمة توفي — رحمه الله — سنة ثلاث وتسعين ومائة. (١)

٢. **حفص**: (٩٥ - ١٨٠) هـ.

هو: حفص بن سليمان أبو عمرو الدوري البزار الكوفي، المقرئ الإمام، صاحب عاصم، وكان ربيبه وابن زوجة عاصم، زار بغداد فأقرأ بها وجاور بمكة فأقرأ بها، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم، وكان أعلم من روى عن عاصم بقراءته، وهو في القراءة ثقة ثبت ضابط لها، أقرأ الناس دهرًا. توفي — رحمه الله — سنة ثمانين ومائة. (٢)

الإمام الساجس: حمزة الكوفي (٨٠ - ١٥٦) هـ.

هو: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الكوفي التيمي مولا هم كنيته أبو عمارة، الزيات، الإمام الحبر، وأحد القراء السبعة، وإليه صارت الإمامة في القراءة بالكوفة بعد عاصم، كان ثقة، حجة، مجوداً لكتاب الله، عابداً، قانتاً لله، عارفاً بالفرائض، حافظاً للحديث، أدرك بعض الصحابة، وأخذ القراءة عرضاً عن سليمان الأعمش، وجعفر الصادق، وغيرهما، وروى

القراءة عنه سليم بن عيسى وهو أضيف أصحابه، وسفيان الثوري وغيرهما، توفي - رحمه الله - سنة ست وخمسين ومائة للهجرة. أشهر من روى عنه: خلف وخلاد. (٣)

١. **خلف**: (١٥٠ - ٢٢٩) هـ.

هو: خلف بن هشام بن ثعلب أبو محمد الأسدي البزار البغدادي الإمام العلم، كنيته أبو محمد، أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، كان ثقة، كبير، زاهد، عالم، عابد، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، أخذ القراءة عرضاً عن سليم بن عيسى، وعبد الرحمن بن حماد عن حمزة، وعن أبي زيد مسعد بن أوس الأنصاري، وقد اختار له قراءة انفرد بها، توفي - رحمه الله - سنة تسع وعشرين ومائتين للهجرة. (٤)

(١) انظر: غاية النهاية (٣٢٥/١). معرفة القراء الكبار (٨٠-٨٣). النشر في القراءات العشر (١٢٦/١).

(٢) انظر: غاية النهاية (٢٥٤/١). معرفة القراء الكبار (٨٤-٨٥). النشر في القراءات العشر (١٢٦/١).

(٣) انظر: غاية النهاية (٢٦١/١). معرفة القراء الكبار (٦٦-٧٢). النشر في القراءات العشر (١٣٣/١).

(٤) انظر: غاية النهاية (٢٧٢/١). معرفة القراء الكبار (١٢٣-١٢٤). النشر في القراءات العشر (١٥٣-١٥٢/١).

٢. **خلاد**: (١١٩ - ٢٢٠) هـ.

هو: خلاد بن خالد، الشيباني بالولاء الصيرفي الكوفي كنيته أبو عيسى، إمام في القراءة، ثقة، عارف، محقق، استاذ، أخذ القراءة عرضاً عن سليم بن عيسى، وهو من أضيف أصحابه، وأجلهم روى عنه القراءة عرضاً أحمد بن يزيد الطلواني، والقاسم الوزان، وآخرون توفي - رحمه الله

- سنة عشرين ومائتين. (١)

الإمام السابع: الكسائي الكوفي: (١١٩ - ١٨٩) هـ.

هو: علي بن حمزة بن عبد الله مولاهم الأسدي الكسائي كنيته أبو الحسن، وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في كساء، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة أربع مرات، وعليه اعتماده، روى الحروف عن أبي بكر بن عياش، وآخرين، رحل إلى البصرة، كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن، كان يتخير القراءات؛ فأخذ من قراءة حمزة ببعضها وترك بعضها منها، وكان من

أهل القراءة، فكانت هي علمه وصناعته. له مؤلفات كثيرة منها: معاني القرآن، وكتاب القراءات، توفي - رحمه الله - سنة تسع وثمانين ومائة للهجرة، أشهر من روى عنه: الليث، وحفص الدوري.(٢)

١. الليث: (... - ٢٤٠) هـ.

هو: الليث بن خالد، البغدادي، كنيته أبو الحارث، ثقة، معروف، حاذق، ضابط، من أجل أصحاب الكسائي، روى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول، واليزيدي، روى عنه القراءة عرضاً وسماعاً: سلمة بن عاصم صاحب الفراء. توفي - رحمه الله - سنة أربعين ومائتين للهجرة. (١)

١. حفص الدوري: (... - ٢٤٦) هـ.

سبقت الترجمة له عند الحديث عن أبي عمرو بن العلاء البصري.

-
- (١) انظر: غاية النهاية (٢٧٤/١). معرفة القراء الكبار (١٢٤). النشر في القراءات العشر (١٣٣/١).
(٢) انظر: غاية النهاية (٥٣٥/١). معرفة القراء الكبار (٧٢-٧٧). النشر في القراءات العشر (١٣٨/١).
(٣) انظر: غاية النهاية (٣٤/٢). معرفة القراء الكبار ص ١٢٤. النشر في القراءات العشر (١٣٨/١).

الإمام الثامن: أبو جعفر المدني (... - ١٣٠) هـ.

هو: يزيد بن القعقاع، الإمام المخزومي كنيته أبو جعفر، المدني القارئ، تابعي جليل، وأحد القراء العشرة، أتى به وهو صغير إلى أم سلمة - رضي الله عنها - فمسحت على رأسه، ودعت له بالبركة، كان كثير العبادة؛ صواماً، قواماً، توفي - رحمه الله - سنة ثلاثين ومائة للهجرة.

أشهر من روى عنه: عيسى بن وردان، وسليمان بن جمّاز. (١)

١. عيسى بن وردان: (... - ١٦٠) هـ.

هو: عيسى بن وردان، المدني، الحداء كنيته أبو الحارث، إمام مقرئ حاذق، وراو محقق ضابط، عرض على أبي جعفر القارئ، روى عنه القراءة عرضاً: إسماعيل بن جعفر، وقالون وغيرهما. توفي - رحمه الله - في حدود الستين ومائة للهجرة. (٢)

٢. سليمان بن جمّاز: (... - ١٧٠) هـ.

هو: سليمان بن مسلم بن جمّاز، أبو الربيع الزهري مولاهاً المدني، مقرئ جليل ضابط. عرض على أبي جعفر وشيئة، ثم عرض على نافع، وأقرأ بحرف أبي جعفر ونافع، قرأ عليه عرضاً: إسماعيل بن جعفر، وقتيبة بن مهران، توفي - رحمه الله - بعد سنة سبعين ومائة للهجرة. (٣)

الإمام التامع: يعقوب الحضرمي البصري (١١٧ - ٢٠٥) هـ.

هو: يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي كنيته أبو محمد ، مولاهاً البصري، وأحد القراء العشرة، إمام أهل البصرة ومقرئها، انتهت إليه رئاسة القراءة بعد أبي عمرو بن العلاء، كان إماماً كبيراً ثقة عالماً، صالحاً ديناً، عالماً بالحروف والاختلاف في القراءات وعلله، ومذاهبه، ومذاهب النحو، وأروى الناس لحروف القرآن، وحديث الفقهاء أخذ القراءة عرضاً

(١) انظر: غاية النهاية (٣٨٢/٢). معرفة القراء الكبار (٤٠-٤٢). النشر في القراءات العشر (١٤٣/١).

(٢) انظر: غاية النهاية (٦١٦/١). معرفة القراء الكبار ص٦٦. النشر في القراءات العشر (١٤٣/١).

(٣) انظر: غاية النهاية (٣١٥/١). معرفة القراء الكبار (١١١/١). النشر في القراءات العشر (١٤٣/١).

عن سلام الطويل، ومهدي بن ميمون، وآخرين، وروى القراءة عنه عرضاً زيد ابن أخيه أحمد، وأبو حاتم السجستاني وآخرون. توفي - رحمه الله - سنة خمس ومائتين. أشهر من روى عنه: رويس، وروح. (١)

١. رويس: (... - ٢٣٨) هـ.

هو: محمد بن المتوكل، اللؤلؤي البصري المعروف برويس كنيته أبو عبد الله، مقرئ حاذق، ضابط، قرأ على يعقوب، وهو من أحذق أصحابه، تصدر للإقراء. قرأ عليه محمد بن هارون التمار، وأبو عبد الله الزبيري، توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين . (٢)

٢. روح: (... - ٢٣٤) هـ.

هو: روح بن عبد المؤمن، الهذلي مولاها البصري النحوي كنيته أبو الحسن، مقرئ جليل، ثقة ضابط مشهور، عرض على يعقوب البصري، وهو من أجل أصحابه، كان متقناً مجوداً. روى الحروف عن أحمد بن موسى، وغيره. قرأ عليه أحمد بن يزيد الحلواني، وغيره، وروى عنه البخاري في صحيحه . توفي رحمه الله - سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين للهجرة. (٣)

الإمام العاشر: خلف البزار (١٥٠ - ٢٢٩) هـ.

هو: خلف بن هشام البزار البغدادي. سبقت الترجمة له عند الحديث عن راوية حمزة. فقد روى خلف قراءة حمزة عن سليم، واختار لنفسه قراءة اشتهر بها، أشهر من روى عنه: إسحاق وإدريس.

(١) انظر: غاية النهاية (٣٨٦/٢). معرفة القراء الكبار (٩٤-٩٥). النشر في القراءات العشر (١٤٩/١).

(٢) انظر: غاية النهاية (٢٣٤/٢). معرفة القراء الكبار ص١٢٦. النشر في القراءات العشر (١٤٩/١).

(٣) انظر: غاية النهاية (٢٨٥/١). معرفة القراء الكبار ص١٢٦. النشر في القراءات العشر (١٤٩/١).

٢. إسحاق: (... - ٢٨٦) هـ.

هو: إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله، المروزي كنيته أبو يعقوب، البغدادي الوراق. كان ثقةً قيماً بالقراءة ضابطاً لها، منفرداً برواية اختيار خلف لا يعرف غيره. قرأ على خلف اختياره، ورواه عنه، وقام به من بعده، وقرأ عليه علي بن موسى النخعي، وابنه محمد بن إسحاق، وابن شنبوذ وآخرون.. توفي رحمه الله - سنة ست وثمانين ومائتين للهجرة . (١)

٢. إدريس: (١٩٩ - ٢٩٢) هـ.

هو: إدريس بن عبد الكريم الحداد، البغدادي كينته أبو الحسن، إمام ضابط، متقن. قرأ على خلف بن هشام روايته واختياره، وروى القراءة عنه سماعاً ابن مجاهد، وعرضاً محمد بن أحمد بن شنبوذ، سئل عنه الدار قطني فقال: ثقة، وفوق الثقة بدرجة. توفي - رحمه الله - سنة اثنتين وتسعين ومائتين للهجرة. (٢)

-
- (١) انظر: غاية النهاية (١٥٥/١). معرفة القراء الكبار (١٥٥/١). النشر في القراءات العشر (١٥٣/١).
- (٢) انظر: غاية النهاية (١٥٤/١). معرفة القراء الكبار ص ١٤٥. النشر في القراءات العشر (١٤٥/١).

الفصل الأول

تفسير سورة الأنعام من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين:

*المبحث الأول: بين يدي السورة.

*المبحث الثاني: عرض وتفسير آيات سورة الأنعام
المتضمنة للقراءات .

سورة الأنعام

بطاقة تعريف بالسورة

* سورة الأنعام سورة مكية عدد آياتها مائة وخمس وستون آية بالإجماع ، بل هي ثاني سورة مكية في ترتيب المصحف حيث البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، كلها مدنية أما الأنعام فهي ثاني سورة مكية بعد سورة الفاتحة، وتعتبر من السبع الطوال، فهي تختلف في أهدافها ومقاصدها عن السور المدنية.

* السورة الكريمة نزلت جملة واحدة وشيعتها كوكبة من الملائكة يسد ما بين الخافقين، والسبب في ذلك أنها مشتملة على دلائل التوحيد من عدل، وتوحيد، ونبوة، ووعد، ووعيد، ودحض لحجج المبطلين والملحددين.

*قال القرطبي: " هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين، ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة لأنها في معنى واحد من الحجة ". (١)
* تميزت الفترة التي نزلت فيها السورة الكريمة، بقسوة المشركين وعنفهم في مقاومة الدعوة الإسلامية وإنكارها .

* اعتمدت السورة الكريمة أسلوبين بارزين بإسهاب، لاتكاد تتمتع بهما سورة غيرها وهما : أسلوب التقرير في إثبات الأدلة، وأسلوب التلقين في تعليم الرسول ﷺ تلقين الحجة لقفها في وجه الخصم فتأخذ عليه كل سمعه.

* تضمنت السورة الكريمة الوصايا العشرة التي نزلت في جميع الكتب السماوية السابقة، ودعا إليها جميع الأنبياء السابقين من خلال الآيات (١٥١-١٥٤).

(١) تفسير القرطبي (٧٠٣/٣). لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. راجعه وضبطه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان. دار الحديث القاهرة الطبعة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير القرطبي.

المبحث الأول

بين يدي سورة الأنعام

**** ويتضمن الآتي:**

✓ وجه التسمية.

✓ الحكمة من نزولها ليلاً.

✓ معنى الأنعام .

✓ تاريخ نزول السورة.

✓ مناسبة السورة لما قبلها.

✓ أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة.

✓ أهم ما تميزت به السورة.

المبحث الأول

بين يدي السورة

ومن الجدير ذكره أن سورة الأنعام سورة مكية، وعدد آياتها مائة وخمس وستون آية، وترتيبها السادسة من القرآن الكريم.

ومن خلال البحث والدراسة لاحظت الباحثة أنّ سورة الأنعام هي السورة الوحيدة التي نزلت جملة واحدة كما قال رسول الله ﷺ (نزلت علىّ سورة الأنعام جملة واحدة وشيخها سبعون ألفاً من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد) (١). وورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وابن عباس، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأسماء بنت يزيد بن السكن - رضي الله عنهم أجمعين - وتسميتها في كلامهم أنّ اسمها سورة الأنعام وكذلك ثبتت تسميتها في المصاحف وكتب التفسير والسنة. (٢)

وجه التسمية :

*سميت سورة الأنعام، لأنها هي السورة الوحيدة التي عرضت لذكر الأنعام على تفصيل لم يرد في غيرها من السور، فقد جاءت بحديث طويل عن الأنعام ، بدايته من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام ١٣٦] إلى نهاية قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام ١٥٠]. (٣)

وسميت بسورة الأنعام لما تكرر فيها من ذكر لفظ الأنعام ست مرات. (٤)

*وقد تناول الحديث عن الأنعام، في هذه الآيات من السورة جوانب متعددة، تتصل بعقائد المشركين فبينت السورة ما في عقائدهم من الخلل والفساد؛ إذ كانوا يحرّمون الأنعام على أنفسهم، ويجعلون قسماً من الأنعام لآلهتهم وأصنامهم، وقسماً لله، ثم يجورون على القسم الذي جعلوه لله فيأخذون منه لأصنامهم، وفي التسمية لون من البراعة والإعجاز التي تتمتع به السورة.

(١) الدر المنثور. للسيوطي، وبهامشه تفسير ابن عباس (٢/٣). دار المعرفة والنشر - بيروت لبنان وردت في المراجع اللاحقة.

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٤/١٢١).

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم (١/٧٤). الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الأولى. ١٩٨١م.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢/١١١).

*نزلت جملة واحدة لاشتغالها على أصول العقيدة ممثلة في قاعدتها الرئيسية... الألوهية والعبودية، وما بينهما من علاقة، عن ابن عباس: (نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة ، حولها سبعون ألفاً ملك يجأرون بالتسبيح). (١)

* وقال سفيان الثوري عن ليث عن شهر بن حوشب^(٣) عن أسماء بنت يزيد قالت نزلت: سورة الأنعام على النبي ﷺ جملة وأنا آخذة بزمام ناقة النبي ﷺ إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة.

* وقال شريك^(٣) عن ليث^(٤) عن أسماء قالت: نزلت سورة الأنعام على رسول الله ﷺ وهو في مسير في زجل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والأرض. (٥) وقال السدي^(٦) عن مرة عن عبد الله قال نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفاً من الملائكة وروي نحوه من وجه آخر عن ابن مسعود.

* وقال الحاكم في مستدركه عن جابر قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ ثم قال (لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق) ثم قال صحيح على شرط مسلم. (٧) عن أنس بن مالك قال: قال ﷺ (نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والأرض بهم ترتج ورسول الله يقول سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم).

(١) تفسير القرآن الكريم (٤/٤١٢١).

(٢) شهر بن حوشب هو شهر بن حوشب الأشعري، فقيه، قارئ من رجال الحديث شامي الأصل. سكن العراق كان ينزياً بزي الجند، يسمع الغناء بالآلات، وولي بيت المال مدة، وهو متروك الحديث. انظر الغاية في طبقات القراء. تأليف شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري المتوفي ٨٣٣هـ. (٣٢٩/١). عني بنشره ج. بروجستراسر. الطبعة الأولى. ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م. بيروت - لبنان. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: الغاية في طبقات القراء.

(٣) شريك: هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي، الكوفي أبو عبد الله، عالم بالحديث، فقيه، اشتهر بقوة ذكائه، وسرعة بديهته، استقصاه المنصور العباسي على الكوفة ١٥٣هـ. كان مولده في بخارى ووفاته بالكوفة. انظر الأعلام للزركلي (٣/١٦٣).

(٤) ليث: هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي. بالولاء أبو الحارث إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً، قال الشافعي: (الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به). انظر النجوم الزاهرة (٢/١٠٤).

(٥) كتاب المعجم الصغير (١/٤٥١).

(٦) السدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي، حجازي الأصل سكن الكوفة، قال فيه بن تغري بردي (صاحب التفسير، والمغازي، والسير، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، في الطبقة الثانية من تابعي أهل الكوفة). توفي سنة سبع وعشرين ومائة. انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة (١/٣٩٠). تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي. قدم له وعلق عليه محمد بن حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٧) أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢/١١١).

* عن ابن عمر قال: قال ﷺ (نزلت على الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفاً من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد). (١)

الحكمة من نزولها ليلاً :

* ولنزولها ليلاً دليل على غاية البركة؛ لأنه محل الأنس بنزوله تعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وعلى أن هذا العلم لا يقف على أسراره إلا البصراء الأيقاظ من سنة الغفلات، وأولو الأبواب أهل الخلوات والأرواح الغالية على الأبدان، وهم قليل. (٢)

معنى الأنعام:

* النعم: مختص بالإبل، وجمعه أنعام وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة، لكن الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل. (٣) والأنعام ذوات الخف والظلف^(٤): وهي الإبل والبقر والغنم بجميع أنواعها. (٥)

تاريخ نزول السورة:

* نزلت سورة الأنعام في السنة الرابعة من البعثة المحمدية، أي عقب أمره ﷺ أن يصدع بالدعوة ويعلمها للناس بعد أن أسر بها ثلاث سنين. وتميزت الفترة التي نزلت فيها سورة الأنعام، بقسوة المشركين و عنفهم في مقاومة الدعوة الإسلامية وإنكارها؛ فقد بدأت الدعوة سرّاً ثم جهر النبي بدعوته في مكة، ونزلت السورة بعد الجهر بالدعوة بسنة واحدة، فاستعرضت الأدلة على توحيد الله وقدرته ثم ساقته أدلة المشركين وشبههم وأبطلتها وفندتها. (٦)

* وعن ابن عمر أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره (١١١/٢). ثم ذكر أنه صحيح على شرط مسلم .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥٧٩/٢).

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٢١. للعلامة الراغب الأصفهاني. تحقيق نديم مرعشلي. دار الفكر. للطباعة والنشر. بيروت لبنان.

(٤)الظلف: ظفر كل ما اجتر، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها، والجمع أظلاف. انظر:لسان العرب ٢٢٩/٩. للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. ابن منظور الإفريقي المصري. بيروت-دار صادر.

(٥) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم (٧٥/١).

(٦) انظر تفسير القرآن الكريم (١٢١٤/٤).

وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية نزلت في مدة حياة أبي طالب، أي قبل سنة عشرة من البعثة، وكان ذلك ضابطاً نزول السورة. (١)

* وبذلك استطاعت أن تعلن بعد الخفاء وارتفع صوت الحق، فلم يجد المشركون لهم حيلة إلا المكابرة والمعارضة والاستماتة بالدفاع عن هذه المعتقدات الباطلة وكان جل تفكيرهم فقط في أن هذه الدعوة الجديدة يجب أن تموت في مهدها، ويجب أن تكتم أنفاسها قبل أن تنبعث حرارة هذه الأنفاس إلى البلاد والقبائل والشعوب، فكانت سورة الأنعام مثلاً لتحقيق هذه الدعوة الإسلامية في هذه الفترة الحرجة؛ فقد جمعت تلك العقائد الصحيحة السليمة، وعيّنت بالاحتجاج لأصول الدين، وتفنيد شبه الملحدين، وإبطال العقائد الفاسدة، وتركيز المبادئ الفاضلة. (٢)

مذاهب السورة لما قبلها:

* لما ختم الله ﷻ سورة المائدة بتحميد عيسى عليه السلام لجلاله في ذلك اليوم في ذلك الجمع، ثم تحميد نفسه المقدسة بشمول الملك والقدرة؛ إذ الحمد هو الوصف بالجميل، افتتح ﷻ هذه السورة بالإخبار بأن ذلك الحمد وغيره من المحامد مستحق له سبحانه استحقاقاً ثابتاً دائماً قبل إيجاد الخلق وبعد إيجاد سواه شكره العباد أو كفره، لما له ﷻ من صفات الجمال والكمال.

تضمنت سورتا المائدة والأنعام محاجة أهل الكتاب في مواقفهم وعقائدهم؛ فالمائدة تكفلت بالرد على مشركي العرب واليهود والنصارى مع الإشارة إلى إبطال جميع أنواع الشرك. كما ذكر فيها أحكام المطعومات المحرمة والذبائح، والرد على أهل الجاهلية بتحريم بعض الأنعام تقريباً إلى الأوثان. (٣)

* هذه السورة أصل في محاجة المشركين، وغيرهم من المبتدعين، ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة، لأنها في معنى واحد من الحجة.

أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة:

* هي تركيز العقائد الأساسية الثلاثة التي كان المشركون يومئذ يتنازعون فيها، وهي توحيد

(١) التحرير والتوير (١٢١/٤).

(٢) انظر أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم (١ / ٧٦).

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٧-٨/١٢٧). د. وهبة الزحيلي ٧-٨. دار الفكر المعاصر بيروت لبنان وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: التفسير المنير.

الألوهية، الإيمان بالرسالات السماوية ورد الشبهات التي تثار حول الوحي والرسالة، الإيمان باليوم الآخر وما يتضمنه من البعث والجزاء. (١)

والسورة شأنها شأن السور المكية التي عنيت بأصول العقيدة والإيمان والرد على شبهات المشركين بالأدلة العقلية والعلمية والحسية وقد اعتمدت في ترسيخ العقيدة بهذه الأصول على أسلوب التقرير والتلقين .

١. أما أسلوب التقرير: فهو عرض لأدلة وجود الله وقد بدأت السورة بإشعار الناس بأن الحمد، كل الحمد، ليس إلا الله؛ لأنه مبدع العوالم جواهرًا وأعراضًا، وبإثبات أنه المتفرد بخلق العالم جواهره وأعراضه، وخلق الإنسان ونظام حياته وموته بحكمته تعالى وعلمه، وأن آلهتهم لا تملك نفعاً ولا ضرراً.

* تهربه الله عن صاحبه والولد: قال أبو إسحاق الإسفراييني^(٢): في سورة الأنعام كل قواعد التوحيد. (٣)

٢. وكذلك تعرض السورة الكريمة إلى المسألة الجزئية الخاصة بالتحريم والتحليل :

في الأنعام والنذور، وفي الأنعام والثمار، وفي الأولاد وعلى ما كان متبعاً في الجاهلية يربطها السياق بتلك القضايا الكبيرة بالهدى والضلال، واتباع منهج الله أو اتباع خطوات الشيطان، وهو يستخدم نفس التعبيرات التي استخدمها وهو بصدد القضية الكبرى في محيطها الشامل. (٤)

٣. بيان أن الدين واحد في أصله ووسائله وخطاياه: من لدن آدم عليه السلام إلى عهد محمد ﷺ

فتجزئته، والإيمان ببعضه وترك بعضه، وتفرقة والأراء الشخصية تتنافى مع أصل الدين.

٤. الفوز والخسران يوم القيامة منوط بالأعمال البهريّة: لقوله تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَصَلَٰءَ عَنْهُمْ مَآ كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام ٢٤].

أما عن سبب الخسران، هو تكذيبهم لآيات الله ، وقدحهم في معجزات النبي ﷺ وإنكارهم كون القرآن معجزة قاهرة .

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم .د. عبد الله شحادة (٧٩/١).

(٢) أبو إسحاق الإسفراييني: هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الإسفراييني الأصولي المتكلم الفقيه الشافعي إمام أهل خراسان ركن الدين وهو أول من لقب من الفقهاء . انظر النجوم الزاهرة (٤ / ٢٦٧).

(٤) انظر: النجوم الزاهرة (٤/٢٦٧).

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج(٧-٨/١٢٧).

٥. إقباله صدق القرآن: بأن أهل الكتاب يعرفون أنه الحق، وإنكارهم للبعث علماً بأنه أمر واقع لا محالة، ثم إنهم سيرونه رأى العين، وتنبأ منهم آلهتهم التي عبدها، وستكون عليهم حسرة، كما أنها لا تغني عنهم من الله شيئاً لقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أُوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام ٣١] .

٦. الكون كله يسير وفق سنن الله الثابتة العادلة: ولا تعارض بين إرادة الله وما يكسبه الإنسان؛ لأن قدر الله معناه ربط المسببات بالأسباب، وبهذا يكون تهديداً للمكذبين بأن يحل بهم ما حل بالقرن الأولى من المكذبين من قبلهم والكافرين بنعم الله، فهم لا يضررون إلا أنفسهم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأُوْنُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . [الأنعام ٣٤] .

٧. تنبيه قلب النبي ﷺ وأنه خير مؤاخذ بما يرضى قومه، وأمره بالإعراض عنهم لقوله تعالى: ﴿وَأِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام ٣٥] .

٨. بيان العظمة من إرسال الرسل، وليست وظيفتهم إخبار الناس بما يتطلبون علمه من المغيبات لقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأنعام ٤٨] . (١)

٩. حطه سورة الأنعام بطرده من قصة إبراهيم الخليل ﷺ وأرشد قومه إلى دعوى التأمل كما وأرشدهم إلى طريقة الحوار لإثبات فساد عقائدهم ثم استدراجهم لإقرار الحقيقة ﴿وَأِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ... ﴾ [الأنعام ٧٤] .
ثم إعلان براءته من معبوداتهم وإخلاص العبودية لله ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام ٧٩] . فكان نموذجاً رائعاً للنبي المبتهلى ومشاهد

(١) انظر: في ظلال القرآن سيد قطب (١٠١٨/٢) . طبعة جديدة مشروعة تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف وتنتشر للمرة الأولى . دار الشروق . الطبعة الخامسة عشرة . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

إنسانية لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وقد قطع هذا النموذج الإنساني الرائع من السورة الآيات من ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام ٧٤]. حتى الآية ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [الأنعام ٨٤]. لقد كان جريئاً في إخلاصه لربه، ومجادلة قومه، ونصحه لأبيه وقد أخلص الدعاء له، فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله تبرأ منه، وهكذا كان إبراهيم نموذجاً عملياً في دعوته، وكذا في هجرته وفي عزلته، وقد ظهر إخلاصه واضحاً جلياً، حينما حاج قومه بالطريقة العملية المثلى في إثبات أن هذه المخلوقات لا تضر ولا تنفع عن طريق الاستدراج ثم إعلان البراءة قائلاً: ﴿إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. [الأنعام ٧٩].

١٠. العدل الإلهي، يقتضي التفاوت بين الأمم والأفراد، فيهلك الله الظالمين، وينعم الطائعين، ويمكن

للإصلاح في إرث الحياة. (١)

١١. افتتح الربح الأخير من سورة الأنعام بالدعوة إلى محرم وحايًا مقررًا: في كل رسالة إلهية تبين، أصول الدين والأخلاق والقيم والآداب الاجتماعية وهي النهي عن الإشراك بالله، والأمر بالإحسان إلى الوالدين والنهي عن قتل الأولاد مخافة الحاجة، والنهي عن مقاربة الفاحشة في السر أو العلن، والنهي عن قتل النفس التي حرم الله قتلها ثم الإحسان إلى اليتيم وإتمام الكيل والميزان، كما أمرت بالعدل في كل شيء وأمرت بالوفاء بالعهد والاستقامة على الصراط القويم، وقد قطعت هذه الوصايا الثابتة الراسخة من سورة الأنعام الآيات من [١٥١-١٥٣] من السورة نفسها .

* أهم ما تميزت به السورة:

وقد تضمنت السورة الوصايا العشر التي تميزت بها عن غيرها من سور القرآن وهي :-

** الوصية الأولى :

* وهي الأساس الذي يصلح عليه أمر المجتمع، فالمجتمع الذي يقوم على تطبيق شريعة الله

(١) انظر: في ظلال القرآن سيد قطب (١٠١٩/٢).

وإيثار شرع الله على ما سواه هو المجتمع الفاضل المثالي السعيد، أما المجتمع المشرك بالله، فهو مجتمع منحل، تسيره المادة الصماء التي لا روح فيها ولا صلاح ولا قرار معه، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾. (١)

** الوصية الثانية :

* الإحسان للوالدين فهما سر وجودنا، وسبب وجود الولد في الحياة، فيجب أن يشكرهما، ويحسن إليهما، خصوصاً في حال الكبر والشيخوخة، قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام ١٥١].

** الوصية الثالثة:

* الإحسان إلى الأبناء والعطف عليهما أمر فطري، وشعور إنساني فقتل الأبناء اعتلال في الطبع وخلل في العقل، بضعة من الوالد يضحى من أجله ويتحمل الصعاب في سبيله، وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ: (إن من أكبر الكبائر أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك) (١) قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ . [الأنعام ١٥٣]. (٢)

** الوصية الرابعة:

* اجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال. فالفواحش هي كل فعل تنكره العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والمجتمع السليم الجدير بالنمو والارتقاء عليه اجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن. (٣) قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأنعام ١٥١].

** الوصية الخامسة:

* الإنسان بنيان الله، ومن هدم بنيان الله ملعون مطرود من رحمة الله، ولذا قرر الإسلام عصمة الدم الإنساني إلا بالحق، فمن قتل نفساً بغير حق كمن اعتدى على الإنسانية كلها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام ١٥١].

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير. باب (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) حديث رقم ٤٧٦١. انظر فتح الباري (٨/٣٥٠).
(٢) انظر: تفسير الظلال (٣/١٢٢٩). تأليف سيد قطب - رحمه الله -. طبعة جديدة مشروعة. تتضمن إضافات وتقيحات تركها المؤلف وتنتشر لأول مرة. مع المراجعة الشاملة والتصويب الدقيق. دار الشروق. وحيثما تأتي سأكتفي بقولي: في ظلال القرآن.
(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٧-٨ / ١٢٨).

** الوصية السادسة :

*المحافظة على أموال اليتامى وعدم الاقتراب من ضياعها أو إتلافها؛ فاليتيم ضعيف وهو مظنة القهر واليتيم عارض يعرض في كل مجتمع، ومن شأن المجتمعات الناضجة أن ترعى اليتامى وأن تحافظ على صلاح أنفسهم وأموالهم، وعلى الوصى أن يعامل اليتيم كما لو كان ابناً من أبنائه فيحسن توجيهه وتأديبه حتى يكون عضواً فاعلاً ومواطناً صالحاً قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام ١٥٢].

** الوصية السابعة :

* الوفاء بالكيل والميزان بالقسط.

{وفى}: الوافي الذي بلغ التمام، ويقال: درهم واف، وأوفيت الكيل والوزن، وضده الغدر. (١) فالؤمن عادل في بيعه وفي شرائه، يضبط الكيل ويعطي الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام ١٥٢].

** الوصية الثامنة:

* العدل أساس الملك، والعدل أساس الحكم، فالعدل في الأقوال والأفعال، العدل في الحكم، و العدل في الشهادة، والعدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ . [الأنعام ١٥٢].

** الوصية التاسعة:

* الوفاء بالعهد، الوفاء خلة من الخلال الحميدة، وصفة من الصفات الطيبة، التي يتحقق بها الخير والإصلاح ويستقر عليها أمور الناس، قال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ . [الأنعام ١٥٢]. (٢)

** الوصية العاشرة :

* وهذه هي الوصية الجامعة المانعة لكل ما جاءت به دعوة التوحيد، طريق الحق والقوة والحرية، هو الطريق الأمثل الذي يدعو إلى طاعة الله وامتنال أوامره واجتتاب نواهيه، قال

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٨٧ .

(٢) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ص ٨٨ .

تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

١٢. الإخبار عن المصطفة من إنزال التوراة والإنجيل: وبعد ذكر الوصايا العشر تكلم عن الحكمة من إنزال التوراة والإنجيل وذلك من خلال الآيات من [١٥٤ - ١٥٧] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤ - ١٥٧].

١٣. إخبار أخير للكفار بسوء العذاب: يتوعد الله تعالى الكافرين والمخالفين لرسله والمكذابين بآياته الصادين عن سبيله ولا يؤمنون حتى تأتيهم أمور ثلاثة: وهي مجيء الملائكة، أو مجيء الرب، أو مجيء الآيات القاهرة من الله تعالى.

١٤. اتباع ملة إبراهيم حنيفاً و التبعية المحسية هو الاستطاعة هي الأرض: واشتملت هذه الخاتمة الرائعة للسورة الآيات من [١٦١ - ١٦٥] حيث إن الله يأمر نبيه ﷺ سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم الله عليه من الهداية إلى الصراط المستقيم لاعوج فيه ولا إنحراف وجعل الله الناس خلائف في الأرض، يملكونها ويتصرفون فيها عن أبي هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ: (إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي). (١)

١٥. وهي من أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية: فالسورة تتحدث عن أحوال العرب في الجاهلية، وعن أشدها مقارعة في محاجاتهم وجدالهم العقيم في سفاهة أحوالهم بما أحلوا وحرموا على أنفسهم بما لم ينزل الله به سلطان كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد - باب (سبقت كلمتنا لعبادنا المرسيين). حديث رقم ٧٤٥٣. (٤٤٩/١٣).

وفي صحيح البخاري أنّ ابن عباس قال ﷺ: (إِذَا سُرِكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ)^(٢) ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ وأي سفاهة أفضع من تلك التي تحرم رزق الله.

(٢) أخرجه البخاري .كتاب المناقب . باب قصة زمزم وجهل العرب حديث رقم ٣٥٢٤ . أنظر فتح الباري (٦/٦٣٦).

المبحث الثاني

عرض وتفسير آيات سورة الأنعام بالقراءات العشر

١ - ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام ١٦].

أولاً: القراءات :

١. قرأ حمزة و الكسائي وخلف ويعقوب وأبو بكر (يُصْرِف) بفتح الياء وكسر الراء .
٢. قرأ الباقرن (يُصْرِف) بضم الياء وفتح الراء.(١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

- {صرف}: أى رد الشيء عن وجهه . ويقال صرفه يصرفه صرفاً فانصرف.(٢)
والصرف ردّ الشيء من حالةٍ إلى حالةٍ أو إبداله بغيره ،يقال صرفته فانصرف.(٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية :

تبين الآية الكريمة نعمة من نعم الله ﷻ على عباده يوم القيامة. فمن يصرف عنه: أي العذاب، (يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ) يعني فقد رحمه الله (وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران ١٨٥].
والفوز: حصول الربح ونفي الخسارة، يقول تعالى، مخبراً أنه مالك الضر والنفع وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام ١٧] كقوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ

(١) النشر في القراءات العشر(٢/١٩٣).

(٢) انظر: لسان العرب (٩/١٨٨).

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٨٧.

لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ [فاطر ٢].^(١) فالآية تصوير لحقيقة مشاعر الرسول ﷺ تجاه أمر ربه له، وتجسيم لخوفه من عذابه، والعذاب الذي يعتبر مجرد صرفه عن العبد رحمة من الله وفوزاً مبيناً، ولكنه في الوقت ذاته حملة مزلزلة تصور العذاب في ذلك اليوم العظيم كوحش يطلب الفريسة ويلحق بها ويطاردها، ليأخذ بناصيتها فلا يمنعه عنها إلا القدرة القادرة فتأخذ بخطامه فتلويه عنها، فتخلصها منه. (٢)

يؤكد قول النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده ما من أحد يدخل الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمديني الله برحمة منه وفضل). (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (مَنْ يُصْرِفُ عَنْهُ) العذاب (يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ) أي أَنَّ الله ﷻ هو الرحمة العظمى، والنجاة الكبرى كقولك: إن أطعمت زيداً من جوعه فقد أحسنت إليه: تريد فقد أتممت له الإحسان، أي فقد أدخله الجنة؛ لأن من لم يعذب ليس له إلا الجنة.

وأفادت قراءة (مَنْ يُصْرِفُ عَنْهُ) على البناء للفاعل، أي مبني للمعلوم والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى: من يدفع الله عنه ويحفظه، والمدفوع عنه معلوم، وترك ذكر المصروف لكونه معلوماً، وهو العذاب، وينصب يومئذٍ ببيصرف إنتصاب المفعول به، أي من يصرف الله عنه هول هذا اليوم فقد رحمه. (٤)

(مَنْ يُصْرِفُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ) قرأ حمزة وأبو بكر والكسائي ﴿مَنْ يُصْرِفُ عَنْهُ﴾ مبنياً للفاعل، (فمن) مفعول مقدم والضمير في يصرف عائد على الله، ويؤيده قراءة أبي ﴿مَنْ يُصْرِفُ﴾ الله وفي (عنه) عائد على العذاب والضمير المستكن في (رحمه) عائد على الرب أي: أي شخص يصرف الله عنه العذاب فقد رحمه الرحمة العظمى وهي النجاة من العذاب، ومن

(١) تفسير ابن كثير (١٢٧/٢). للإمام الحافظ عماد الدين، أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤هـ. تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي. إعداد مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي. طبعة جديدة ومنقحة ومصممة. أعدد فهارسها. رياض عبد الله عبد الهادي. الطبعة الأولى. ١٤١٧هـ-١٩٩٧م. وحيثما تأتي سأكتفي بقولي: تفسير ابن كثير.

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٢/ ١٠٥٤).

(٣) أخرجه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار. باب لن يدخل الجنة أحدٌ بعمله بل برحمة الله تعالى. حديث رقم ٧٠٠٧. ص ١٣٨٦.

(٤) انظر: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. (٨٢/٢). تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. شرحه وضبطه وراجعته يوسف الحمادي المستشار الأسبق للتربية الدينية بجمهورية مصر العربية. مكتبة مصر سعيد جودة السحار. وحيثما تأتي سأكتفي بقولي: الكشف.

نُجِّيَ مِنَ الْعَذَابِ دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (مَنْ يُصْرَفُ عَنْهُ) مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ أَيِّ مَبْنِيٍّ لِلْمَجْهُولِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الصَّارِفَ هُوَ اللهُ، فَحُذِفَ لِلْعَلْمِ بِهِ وَلِلْإِجَازِ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الرَّبِّ، وَيَجُوزُ فِي هَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي (يُصْرَفُ) عَائِدًا عَلَى (مَنْ)، وَفِي (عَنْهُ) عَائِدًا عَلَى الْعَذَابِ، أَيِّ: أَيِّ شَخْصٍ يَصْرَفُ عَنِ الْعَذَابِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي (عَنْهُ) عَائِدًا عَلَى (مَنْ) وَالضَّمِيرُ فِي (يَصْرَفُ) عَائِدًا عَلَى الْعَذَابِ أَيِّ: أَيِّ شَخْصٍ يَصْرَفُ الْعَذَابَ عَنْهُ. (١)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بين القراءتين تفسيرية، تفسر إحداها الأخرى، فمن (يُصْرَفُ عَنْهُ) يومئذ فقد رحمه على البناء للمفعول أي: من (يُصْرَفُ عَنْهُ) العذاب يومئذ فقد رحمه الله ﷻ وهذا رأي سيبويه^(٢) أي أن المصروف عن العذاب هو العبد بترك الذنوب والمعاصي. وأما من قرأ (يَصْرَفُ عَنْهُ) فعلى البناء للفاعل فيكون الضمير عائداً على الله ﷻ والمصروف هو العذاب، وقد يكون العبد بأن يصرَف نفسه عن المعصية، ومعنى (يومئذ) يوم العذاب العظيم فقد رحمه الله أي: نجاه وأنعم عليه وأدخله الجنة، والإشارة بذلك من الصرف من العذاب إلى الرحمة. (٣)

وعليه فالفوز كل الفوز في صرف العذاب سواءً صُرِفَ هو من تلقاء نفسه وذلك بترك المعاصي والتزام منهج الله أم صرفه الله بإلهامه الصواب وهنا يتجلى فضل الأعمال الصالحة، أو بصرف العذاب عنه وكله لا يكون إلا برحمة الله - كما في حديث رسول الله ﷺ السابق - (٤) وهنا يتجلى فضل الله على عبده فيدخله الجنة برحمته، وذلك لقوله تعالى: (وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) فالفوز البين الواضح بالنجاة من النار وذلك بصرف هذا العذاب العظيم في ذلك اليوم العظيم وهنا يتجلى عدل الله ورحمته فهو لا يضيع أجر المحسنين؛ حيث قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. [التوبة ١٢٠]

(١) البحر المحيط في التفسير (٤/٤٥٤). تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤-٧٥٤هـ). طبعة جديدة منقحة مصححة. دار الفكر للطباعة والنشر. ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٢) سيبويه: هو استاذ النحاة وهو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب وقيل مولى الربيع بن زياد وقيل إنه توفي في سنة سبع وسبعين وقيل ثمان وثمانين وقيل إحدى وستين وقيل أربع وسبعين ومائة فانه أعلم البداية والنهاية (٦٩/١١) لابن كثير. وحيثما يأتي سأكتفي بهذه الترجمة.

(٣) انظر: تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٢/١٠٤). تأليف: محمد بن علي الشوكاني (وفاته بصنعاء ١٢٥٠هـ) دار الفكر للطباعة والنشر. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: فتح القدير.

(٤) انظر : حديث مسلم ص ٥٩ .

٢ - ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ

تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام ٢٢] .

أولاً: القراءات :

١. قرأ يعقوب بالياء في (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ) ووافق حفص .
٢. وقرأ الباقر (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ) بالنون . (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{حشر}: الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها وسمي يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث ويوم النشر ، ورجل حشر الأذنين أى في أذنيه انتشار وحدة ، كذلك يوم القيامة فيه انتشار للخلق وللأعمال. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية :

تحدث الآية الكريمة عن مشهد عظيم من مشاهد يوم القيامة وهو غاية في الذل والإهانة للذين ظلموا ، كما تتطلب من النبي ﷺ بأن يذكرهم يوم يحشرهم الله وأصنامهم معهم فيحشروا جميعاً للحساب ويقال لهم على رؤوس الأشهاد ﴿أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي: أين آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله ؟ والسؤال هنا للتقريع والتحقير ثم تظهر مذلة الأصنام وعدم جدواها كما يحشر الغالب أسرى قبيلة ومعهم من كانوا ينتصرون بهم، لأنهم لو كانوا غائبين لظنوا أنهم لو حضروا لشفعوا لهم، أو أنهم شغلوا عنهم بما هم فيه من الجلال والنعيم. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٣/٢) .

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٨٧ .

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٧٤/٢) تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ .محمد الطاهر بن عاشور (١٧٤/٤). دار سحنون للنشر والتوزيع. الجمهورية التونسية. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: التحرير والتنوير - انظر صفوة التفسير (٣٨٤/١) تأليف .محمد علي الصابوني الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية. المكتبة الفصلية. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: الصفوة.

أفادت قراءة (وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ) (يحشرهم، ثم يقول) بالياء فيهما ليناسب مع السياق والضمير هنا يعود على الله ﷻ ويقال - هنا - لهم على وجه التوبيخ، ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنه حين لا ينفعونهم، ولا يكون منهم ما رجوا، من الشفاعة فكأنه غيبهم عنهم، يحول بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيهم، ويحتمل أن يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم، ناسب أسلوب الغيب، وهنا تناسب في السياق بين (يحشرهم ويقول)^(١).

وأفادت قراءة (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) أي يوم نحشر الكفار وآلهتهم جميعاً، على اختلاف درجاتهم في ظلم أنفسهم (ثُمَّ نَقُولُ) للتوبيخ والتفريع على رؤوس الأشهاد (لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا) بالله (أَيَّنَ شُرَكَاءُكُمْ) أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه؟ وإضافتها إليهم، لأن شركتها ليست إلا بتسميتهم، وتقولهم الكذب كما ينبيء عنه قوله تعالى: (الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) أي تزعمونها شركاء ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ يفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيهم، الحشر إستلزم لهم ولآلهتهم لذلك جاء بأسلوب العظمة لما يحتاج من الطاقة والقوة وهنا تناسب في السياق بين نحشرهم و نقول. (٢).

خامساً وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بلاغية تضمنت أساليب متنوعة في القول مفادها واحد (فنحشرهم) ، و(يحشرهم) ويؤكد كل منهما الآخر فالحاشر هو الله ﷻ والمحشور هم العابدون والمعبودون يعني: يوم القيامة. وكثرة المحشورين تحتاج إلى العظمة والقدرة المتميزة فناسبتها قراءة (نحشرهم) بنون العظمة، وأكدها لفظ (جَمِيعًا) لتفيد الشمول لحشرهم وما يعبدون من دون الله، والمقصود من حشرهم: المنذلة لعدم جدواها كما في قراءة (يحشرهم) فأسلوب الغيبة الضمير فيها يعود على الله ﷻ فهو الحاشر وحده، كما أن الأسلوب يفيد التحقير والتوبيخ لأولئك المحشورين فوجودهم كعدمه فلو كانوا غائبين لكان أهون على نفوسهم ولظنوا أنهم لو حضروا لشفعوا، فهم محشورون ولكنهم غير شافعين، وهذا ما أفادته كلا القراءتين. والله أعلى وأعلم.

(١) انظر: تفسير الكشاف (٨٥/٢).

(٢) انظر: روح المعاني للأوسى (٧-٨/ ١٢٢). المعروف بروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. للعلامة الأوسى البيهقي المتوفى ١٢٧٠هـ. مكتبة التراث . المركز الإسلامي - القاهرة . وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: روح المعاني. و معالم التنزيل للبيهقي (١٣٥/٣). والمقتطف (١٠/٢).

٣ - ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. [الأأنعام ٢٣]

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي ويعقوب (ثُمَّ لَمْ يَكُنْ) بالياء على التذكير.
٢. قرأ الباقون (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ) بالتاء على التأنيث.
١. قرأ ابن كثير وابن عمر و حفص (فِتْنَتُهُمْ) برفع التاء.
٢. وقرأ الباقون (فِتْنَتَهُمْ) بالنصب.
١. قرأ حمزة و الكسائي وخلف (وَاللَّهِ رَبَّنَا) بنصب الباء.
٢. قرأ الباقون (وَاللَّهِ رَبَّنَا) بالخفض. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{فتن}: معنى الفتنة و الابتلاء والامتحان والاختبار وأصلها مأخوذ من فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد. (٢)

{رب}: من ربه والرب هو الله ﷻ وهو رب كل شىء ومالكة وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأأملاك ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة، ورب كل شىء مالكة ومستحقه وقيل صاحبه. (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية :

تصور الآية الكريمة موقف المشركين يوم القيامة إذا قيل لهم أين شركاءكم، الذين كنتم تزعمون، وهذا سؤال فتنة واختبار لهم؛ فلما وجدوا أن الله يغفر لأهل الإسلام؛ ويغفر الذنوب جميعاً، ولا يعجزه ذنب أن يغفره؛ وأنه لا يغفر شركاً؛ جحد المشركون ما كانوا عليه رجاء أن يغفر لهم فقالوا ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فختم الله على قلوبهم، لأنهم قد أشركوا بالله في الدنيا لمجرد التخلص من موجبات الإيمان، وها هم أولاء في المشهد العظيم، يعرفون قدر كذبهم. (٤)

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٣).

(٢) انظر: لسان العرب (٣١٧/١٣) مادة فتن .

(٣) لسان العرب (٤٦٥/١-٤٦٦) مادة رب.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠٥/٥-١٠٦). انظر: الدر المنثور (٣/ ٢٥٨) تأليف: جلال الدين السيوطي. دار الفكر-بيروت. ١٩٩٣ م.

*قال ابن كثير: " (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ) أي: معذرتهم وحجتهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا تعالوا فلنجحد فقالوا (وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) فحتم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثاً " (١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (ثُمَّ لَمْ يَكُنْ) بالياء أن الفتنة بمعنى الافتتان فجاز تذكره؛ وقرأ الآخرون بالناء (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ) لتأنيث الفتنة ومنهم من قرأ (فِتْنَتُهُمْ) بالرفع جعلوه اسم كان، وقرأ الآخرون بالنصب ، قوله (أن قالوا وفتنتهم) الخبر، ومعنى فتنتهم أي: قولهم وجوابهم، وقال ابن عباس: معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة. وقال الزجاج: في قوله (لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ) معنى لطيف وذلك مثل الرجل يفتن بمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال (لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ) إلا هذا، كذلك الكفار فتتوا بمحبة الأصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها، يقول عز وجل (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ) ومحبتهم للأصنام (إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) قرأ حمزة والكسائي (رَبَّنَا) بالنصب على نداء المضاف، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت (والله) وقيل إنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد قالوا لبعضهم البعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا نجوا مع أهل التوحيد فيقولون (وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) فيختم على أفواههم وتشهد جوارحهم بالكفر. (٢).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما نحوية؛ تصور حال المتكلمين المنكرين لما كانوا عليه من الشرك، حيث إن المولى ﷻ قد جعل فتنتهم بالقول الكذب وجعل قولهم الكذب فتنة لهم يوم القيام ومن ثم أفادت كلا القراءتين معاني سامية فقراءة النصب (وَاللَّهِ رَبَّنَا) فيها الدعاء فهي؛ تظهر معنى الإستكانة والتضرع فتتراءى للقارىء حالهم من التذلل والخضوع والخزي والعار أمام جلال الله ﷻ حينما شهدت عليهم جوارحهم بالكفر وقت لا ينعف الندم أما في حالة من قرأ بالكسر فهي قسم يبين تبرؤهم من الشرك علمهم بنبالوا المغفرة

ولكن أنى لهم ذلك؛ وفي هذا القسم من الذل والاستكانة والخزي والعار ما يبين حالهم فالحال واحد والمقام واحد في كلا القراءتين، فتبارك الله أحسن القائلين.

(١) تفسير ابن كثير (١١٥/٢).
(٢) انظر: تفسير البغوي (١٣٥/٣). المعروف بمعالم التنزيل. للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ستة عشر وخمسمائة. حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر. وعثمان جمعة ضميرية وسبيمان مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. الطبعة الأولى ١٤٠٩ - ١٩٨٩م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير البغوي.

٤ - ﴿ وَكَوْتَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا
وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام ٢٧].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة و حفص ويعقوب (وَلَا نُكَذِّبُ وَتَكُونُ) بنصب الباء والنون، ووافقهم ابن عامر في (وَيَكُونُ).

٢. قراءة الباقون (وَلَا نُكَذِّبُ وَتَكُونُ) بالرفع فيهما. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{الكذب}: ضد الصدق وهو الإخبار عن الشيء لا على ما هو عليه، والكذب ضرب من القول. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآيات عن حال الكفار، إذا وقفوا يوم القيامة على النار، وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال، ورأوا بأعينهم الأهوال والأمور العظام، فعندها لم يملكوا إلا أن يقولوا (يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يتمنون أن يعودوا إلى الدنيا، ليعملوا صالحاً، ولا يكذبوا بآيات ربهم؛ ويكونوا مؤمنين، ولا يشركوا بالله شيئاً، ففي الآيات مواساة لقلب النبي ﷺ من أولئك الجاحدين لنبوته والعاقلين بربهم غيره. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

*لقد أفادت قراءة النصب في معرض التمني (بالييتنا) يكون لنا رد وانتفاء تكذيب وكون من

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٣/٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط ص ١٧٠ مادة كذب.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١٠/٥). وتفسير ابن كثير (١١٦/٢). وتفسير البغوي (٦٨ /١).

المؤمنين، والتمني هو إنشاء والإنشاء لا يدخله الصدق والكذب وقد أخبر الله ﷻ أن سجية هؤلاء

الكفار الكذب فهي إخبار عن حالهم فإذا كانت سجية الإنسان شيئاً ثم تمنى ما يخالف السجية وما هو بعيدٌ أن يقع منها كان ذلك أمراً مستحيلاً، والتمني - هنا - في معرض التحسر و التمني صار بعيداً عنهم أي غير مفيدٍ لهم، ويؤيد ذلك قراءة النصب بمعنى ولا نكذب، أي: إن رددنا لم نكذب والنصب في نكذب ونكون بإضمار أن كما ينصب في جواب الاستفهام والأمر والنهي والعرض، لأن جميعه غير واجب ولا واقع بعد، فينصب الجواب مع الواو كأنه عطف على مصدر الأول، كأنهم قالوا: يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء من الكذب وكون من المؤمنين، فحملاً على مصدر نرد لانقلاب المعنى إلى الرفع ولم يكن بد من إضمار أن فيه فيتم النصب في الفعلين. (١)

قراءة الرفع تفيد التضلع في التمني فهؤلاء القوم يتمنون أن يعودوا إلى الحياة الدنيا ولا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين، ولكنهم لو عادوا فإنهم لكاذبون، كما أخبر ربنا سبحانه تعالى: ﴿ وَكُفُّوا رُءُوسًا لِّعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٨]. فقراءة العامة كلها بالرفع على معنى قوله تعالى فقالوا: يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بالرفع في الأفعال الثلاثة عطفاً، قراءة أهل المدينة والكسائي وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بالضم، ابن عامر على رفع نكذب ونصب ونكون وكله داخل في معنى التمني أي تمنوا الرد وألا يكذبوا وأن يكونوا من المؤمنين. (٢)

واختار سيبويه^(٣) القطع في (وَلَا نُكذِّبُ) فيكون غير داخل في التمني المعنى ونحن لا نكذب على معنى الثبات على ترك التكذيب، أي: لا نكذب رددنا أولم نرد قال سيبويه: وهو مثل قوله دعني ولا أعود أي لا أعود على كل حال تركتني أولم تتركني.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن إحدى القراءتين تؤكد الأخرى وهما: - لا يُردون وإن

رُدوا لا يصدقون فهم كاذبون وللبعث كذلك منكرون، وهم وقف للنار وعليها محبسون.

- (١) انظر: مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرمانى المتوفى (٥٦٣ هـ) دراسة وتحقيق د. عبد الكريم مصطفى مدلج تقديم د. محسن عبد الحميد. دار ابن حزم. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م). وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: مفاتيح الأغاني.
- (٢) انظر: البحر المحيط (٤/٤٧٥).
- (٣) سبق الترجمة ص ٦٠.

٥ - ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِلْدَانُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام ٣٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر ﴿ وِلْدَانُ الْآخِرَةِ ﴾ بلام واحدة وتخفيف الدال بخفض التاء على الإضافة.
٢. قرأ الباقون ﴿ وِلْدَانُ الْآخِرَةِ ﴾ بلامين مع تشديد الدال للإدغام و بالرفع على النعت. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{الدار الآخرة}: {وللدار الآخرة خير} أي الجنة لبقائها، وسميت آخرة، لتأخرها عنا ولأنها بعد الدنيا، والدنيا لدنوها منا وقيل لدناعتها. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآية الكريمة حقيقة هذه الحياة الفانية ثم ترد وتكذب الذين أنكروا البعث بعد الممات في قولهم: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت ٦٤] أي: وما أعمالها إلا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية؛ وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلص منافعها ولذاتها، وقوله تعالى: (لَّذِينَ يَتَّقُونَ) تنبيه على أن ما ليس من أعمال المتقين فهو هراء بل هو لعب ولهو. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ابن عامر (ولدار الآخرة) بلام واحدة والإضافة على تقدير حذف المضاف وإقامة الصفة مقامه والتقدير (ولدار الحياة الآخرة). ويضاف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين،

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٣/٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٧٠/٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١٤/٥). انظر: حاشية الشهاب (٤٠٣/٣).

كقوله تعالى: (وحب الحصيد) وكذلك إضافة الموصوف إلى الصفة كقولهم: مسجد الجامع. وأفادت قراءة الجمهور (وللدار الآخرة) اللام لام الابتداء ورفع الدار بالابتداء وجعل الآخرة نعتاً لها والخبر (خَيْرٌ لِلَّذِينَ) يقويه تلك الدار الآخرة (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) فأنت الآخرة صفة للدار فيهما للذين يتقون أي الشرك. والله أعلم. (١).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بين القراءتين تفسيرية تبين إحداهما حقيقة الدنيا؛ حيث إن الدار محل إقامة الناس، وهي الأرض التي يكون عليها المعاش من مسكن ومأوى واستقرار، وقد يكون فيها الأمن والأمان وقراءة ابن عامر (ولدار الآخرة) بلام واحدة - دار منكورة إلى الآخرة - على تقدير حذف المضاف وإقامة الصفة مقامه والتقدير (ولدار الحياة الآخرة خير).

وقراءة الجمهور (وللدار - بلامين - لام الإبتداء ولام التعريف) تفيد ثبات الدار واستقرارها قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت ٦٤]. وعليه نجد أن الآخرة خير من الدنيا باعتبار ما في الدنيا من نعيم عاجل زائل يلحق معظمه مؤاخذة ومحاسبة؛ وأما - وللدار الآخرة خير - وذلك لثبات وتأکید هذا الخير للدار الخالدة بعينها وكذلك النعيم الدائم فيها، وإنهما أي الدار بعينها والنعيم الذي يملأ تلك الدار، للذين يتقون ربهم لهما خير محض؛ وكلاهما لنعم أجر العاملين. (٢).

٦ - ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[الأنعام ٣٢].

(١) المستنير (١٥٢/١). في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة- الإعراب- التفسير. تأليف د. محمد سالم محيسن الأستاذ المشارك للدراسات اللغوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. دار الجيل- بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م. انظر تفسير معالم التنزيل (١٣٩/٣).
(٢) انظر: التحرير والتنوير (٤/ ١٩٥). انظر: المغني (٤٣/٢).

أولاً: القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر وحفص (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بالتاء.
٢. قرأ الباقون (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) بالياء. (١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{عقل}: العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم، الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل، وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل وأصل العقل الإمساك والاستمساك كعقل البعير بالعقال وغيره. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

فالآية الكريمة تتحدث عن الحياة الدنيا والآخرة، فما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، ثم فناء وزوال، والآخرة نعيم ودوام، فعلى العاقل أن يختار الحياة الباقية، ويترك الحياة الفانية، وذلك بالاستعداد والعمل لذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال، ولا بنون، إلا من أتى بقلب سليم، وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون. (٣)
ودل قوله تعالى: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) على أن الإنسان لا يفكر غالباً تفكيراً يتفق مع حقيقة مصلحته، وإنما قد يرتكب ما يلحق بنفسه الضرر، ودل على أن الزهد في الدنيا، أي عدم استيلاء حبها على قلبه أمر مرغوب فيه. (٤)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة نافع وابن عامر وحفص (أَفَلَا تَعْقُلُونَ) بالتاء خطاب مواجهة لمن بحضرة الرسول من منكري البعث بأن ينعم النظر بأن المعنى أفلا تعقلون أن الآخرة خير من الدنيا.

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٣). انظر الكشف (١/ ٤٢٩).

(٢) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٥٤.

(٣) انظر: المستنير (١/ ١٥٢). انظر: المغني (٢/ ٤٣).

(٤) التفسير المنير (٧-٨/ ١٨٠). انظر: تفسير التحرير والتنوير (٤/ ١٩٣).

وأفادت قراءة الباقرين بالياء عوداً على ما قبل، لأنها أسماء غائبة. وقيل: أفلا يعقلون أن الأمر

هكذا فيزهدوا في الدنيا، نجد أن قراءة الغيبة جاءت متمشية مع السياق. (١)

والاستفهام -هنا- مستعمل في التوبيخ، إن كان خطاباً للمشركين، أو بالتحذير إن كان خطاباً للمؤمنين وقوله تعالى: (أَفَلَا تَعْقُلُونَ) - بقاء الخطاب - على طريقة الالتفات وحرصها التنبيه والتحذير للمخاطبين من الأمر الذي حذر منه الكافرين .

وقراءة من قرأ - بقاء تحتية - وبهذه القراءة فهو عائد لما عادت إليه ضمائر الغيبة قبله، والاستفهام هو للتعجب من حالهم وتأييس للمشركين من نعيم الجنة فهم حتماً صائرون إلى الآخرة لكنها ليست لهم بخير لما كانوا عليه في الدنيا، لذا كان الخطاب لهم مزيداً من التوبيخ والتفريع، فهو بعد حديثه عنهم وجه إليهم الخطاب القاسي مباشرة ليكون أكثر أثراً على أنفسهم .

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بلاغية عن طريق الالتفات؛ يعني يأيها المؤمنون احذروا الدنيا وازهدوا فيها ولا تجعلوها تستولي على عقولكم وقلوبكم، فعلى العاقل أن يختار الحياة الباقية، ويترك الحياة الفانية، لأن الحياة الدنيا ما حقيقتها إلا لعب ولهو وللدنار الآخرة خير للذين اتقوا، أما أنتم أيها الآيسون من الآخرة فهي ليست لكم بخير من باب التوبيخ والتفريع

* من اللطائف والإشارات.

فاسلوب الالتفات فيه مزيد توبيخ وتفريع لأولئك الكافرين؛ وباسلوب الخطاب مزيد تحذير وإنذار لمن سار على دربهم وسلك مسلكهم؛ وبذلك القراءتين نجد أن القرآن هو معجزة

صالحة لكل زمان ومكان لإحياء القلوب والعقول؛ فهو المعجزة الخالدة وحبل النجاة في الدارين والله أعلى وأعلم.

(١) البحر المحيط في التفسير (٤/٤٨٦).

٧ - ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ
اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام ٣٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ نافع (لِيُحْزِنُكَ) حيث وقع بضم الياء وكسر الزاي.
٢. قرأ الباقون (لِيَحْزِنُكَ) بفتح الياء وضم الزاي.
١. قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر (لَا يُكْذِبُونَكَ) بسكون الكاف وتخفيف الذال.
٢. قرأ الجمهور (لَا يُكْذِبُونَكَ) بفتح الكاف وتشديد الذال. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{حزن}: الحزن بضم الحاء وسكون الزاي أوفتحها وضم النون هو خشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم ويضاده الفرح لاعتبار الخشونة بالغم الذي يصيب النفس. (٢)

* وقال القرطبي: "وهما لغتان: حزنني الأمر يُحْزِنُنِي، وأحزنني أيضاً وهي لغة قليلة". (٣)

* وقال ابن كثير: "(لِيُحْزِنُكَ) بضم الياء وكسر الزاي؛ أن بين (أحزنته) و(حزنته) فرقاناً وهو أن (أحزنته) أدخلته في الحزن أي أحاط به، و(حزنته) أوصلت له الحزن". (٤)

{كذب}: الكذب ضد الصدق وهو الإخبار عن الشيء لا على ما هو عليه، والكذب ضرب من القول والكذب يقال في المقال والفعال. ومعنى (لَا يُكْذِبُونَكَ) عند أهل اللغة ينسبونك إلى الكذب، ويردون عليك ما قلت، أي: لا يجدونك تأتي بالكذب، كما تقول: أكذبتك وجدته كذاباً، ويجوز أن يكون المعنى لا يثبتون عليك أنك كاذب. (لَا يُكْذِبُونَكَ) بسكون الكاف وتخفيف الـذال، وحكى الكسائي: عن العرب أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه، وقال الزجاج: وكذبتك إذا قلت له كذبت، وأكذبتك إذا أردت أن ما أتى به كذب. (ه)

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٣/٢).

(٢) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧٣٠/٣).

(٤) تفسير ابن كثير (١١٦/٢) .

(٥) انظر: تفسير التحرير والتنوير (١٩٨/٤) .

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية :

الآية الكريمة استئناف مسوق لتسليّة قلب رسول الله ﷺ عن الحزن الذي يعتريه مما حُكي عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة، كما قال تعالى: مسلماً لنبِيِّهِ ﷺ في تكذيب قومه له

ومخالفتهم إياه (قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ) أي: قد أحطنا علماً بتكذيبهم لك وحزنك وتأسفك لقولهم، قال تعالى: (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات). أي هم لا يتهمونك بالكذب فقط ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون عن يزيد المدني^(١). أن النبي ﷺ: (لقي أباه جمل فطافه قال له رجل ألا أراك تصانع هذا الصابي فقال والله إنه لنبوي ولكن متى كنا لنبوي بمجد مناهه تبعنا).^(٢) وتلا يزيد (فَانَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) .

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وأفادت قراءة نافع وأبي جعفر (لِيُحْزِنُكَ) بضم الياء وكسر الزاي فيها مواساة لقلب النبي ﷺ بأن لا يسيطر عليك الحزن ولا يحيط بك (الذي يقولون) وهو قولهم أنه ساحر كذاب؛ لأن تكذيبك أمر راجع إلى الله ﷻ فإنهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا بطريق التسلي لما يفيد من بلوغه ﷺ في جلاله القدر ورفعته الشأن غاية ليس وراءها غاية حيث نفى تكذيبهم - قاتلهم الله تعالى - عنه ﷻ وأثبتته لآياته، وفيه أيضاً استعظام لجنايتهم منبئاً عن عظم عقوبتهم كأنه قيل لا تعتد بهم ولا تهتم لقولهم، فكلمه إلى الله

تعالى فإنهم - في تكذيبهم ذلك - لا يكذبونك في الحقيقة (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ). (٣)

وأفادت قراءة (لَا يَحْزَنُهُمْ) بفتح الياء وضم الزاي؛ بمعنى أنهم يريدون أن يوصلوا لك أدنى الحزن؛ ليصيبوك به لتحيا معه ولكن في الحقيقة التكذيب لم يكن لك وإنما هو آيات الله ﷻ. وحاصل القراءتين يبين مدى جحود الكفار، فهم يعلمون علماً يقينياً لاشك فيه صدق الرسول ﷺ فهو عندهم الصادق الأمين، ولكن الجحود في قوله تعالى: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ) هنا اللام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله ﷺ لما ناله من الغم والحزن بتكذيب الكفار له و آيات الله ﷻ ودخول قد للتكثير. (٤)

-
- (١) يزيد المدني: هو أبو جعفر القارئ، يزيد بن القعقاع المدني الإمام، أحد العشرة، قرأ القرآن على مولاه عبد الله بن عباس. انظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (١٧٢/١). وسنتوسع في ترجمته، عند الترجمة للقراء للعشر إن شاء الله .
(٢) أخرجه ابن كثير في تفسيره (١١٧/٢). ثم ذكر أنه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٣) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ص ٢٤٦. تحقيق سعيد الأفغاني. مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة الخامسة ١٩٩٧م. انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة (١٥٣/١). انظر: فتح القدير (١١١/٢) .
(٤) روح المعاني (١٣٤/٧).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بين القراءتين هي علاقة لغوية باعتبار أن (يَحْزَنُ)، (يُحْزِنُ) لغتان تؤكد كلاهما معنى الأخرى في تسلية قلب رسول الله ﷺ عما ناله من الغم والحزن بتكذيب الكفار له وآيات الله ﷻ والتي هي معجزته ﷻ وسلاحه في صدق نبوته، فإنهم حريصون بنفوسهم المريضة كل الحرص إما أن يوصلوه للحزن أو يوصلوا الحزن إليه.

٨ - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [الأنعام ٣٧] .

أولاً: القراءات:

١. قراءة ابن كثير (يُنزِل) مخففاً.

٢. قرأ الباقون (يُنزِل) بالتشديد والتخفيف. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{نزل}: النزول في الأصل هو انحطاط من علو، يقال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه، وأنزله غيره، وإنزال الله تعالى إما نعمة أو نعمة على الخلق وإعطائهم إياها إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية :

تبين الآية الكريمة مدى إنكار كفار مكة وتعنتهم لدعوة النبي محمد ﷺ بقولهم هلا نزل عليه معجزة تدل على صدق نبوته كالناقة والعصا والمائدة وغيرها.

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٣/٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط ص ٥٠٩، مادة نزل .

* قال القرطبي: هذا تعنت منهم بعد ظهور كثير من البراهين وإقامة الحجة بالقرآن الذي عجزوا على أن يأتوا بسورة مثله.

فقال تعالى: قُلْ لَّهُمْ يَا مُحَمَّد (إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً) أى أنه سبحانه قادر على أن يأتيتهم بما اقترحوا فيأتيهم بآية تجمعهم على هدى ولن يهتدوا (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أي لا يعلمون أن ما اقترحوه لم يكن سبباً من أسباب الهداية للأمم السابقة إنما كان سبباً من أسباب العقاب والاستئصال، وعليهم أن يعلموا أن تنزيل الآية لا يكون خيراً لهم بل هو شر لهم؛ لأن حكم الله لا يعلمها إلا هو لأنه هو العليم الحكيم. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة التشديد (ينزل) أن في الأمر من الشدة بمكان حيث (قَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ) وأن موقفهم هنا موقف العنت والمجادلة بالباطل وتكذيبهم للنبي ﷺ واضح وظاهر؛ لذا كانت قراءة التشديد تناسب المقام لما أرادوا من زيادة التأكيد والتكرار والتكثير من إنزال المعجزات.

وأفادت قراءة التخفيف التدرج والتكرار وأن الإنزال عام، وقيل: إن ذلك هو الأكثر ولذلك سمي الكتاب تنزيلاً؛ لأنه لم ينزل جملة واحدة بل سورة سورة وآية آية حسب الوقائع والأحداث. (٢)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن القراءتين بينهما توافق، فقراءة التخفيف تفيد التدرج في النزول والتكرار الذي يفيد التقليل حسب ما تقتضيه المصلحة، وأما قراءة التشديد تفيد النزول والتكرار فالنزول الذي يفيد التكرار، وعليه أن ما طلبه رؤساء قريش الذين بلغ بهم الضلال، إلى حيث لم يقنعوا بما شاهدوه من الآيات والمعجزات البيّنات، التي تخرلهاصمُ الجبال^(٣)، لهو دليل واضح على قدرة الله ﷻ الذي لا يعجزه أن ينزل القليل والكثير من الآيات، فقد اقتضت مشيئته ﷻ ألا يجيبهم على مقترحاتهم لحكمة هو يعلمها سبحانه. (٤)

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢١٠/٤). انظر تفسير ابن كثير (٣٨٩/١). وتفسير المراعي ٧-٩/١١٦). وصفوة التفسير (٣٨٩/١).

(٢) انظر: الكشاف (٩١/٢). وروح المعاني (١٤٢/٧).

(٣) صمّ: الصمّ: المحكم، والصخرة الصماء التي ليس فيها خرق ولا صدع. والأصمّ: رجب لعدم سماع السلاح فيه، كان أهل الجاهلية يسمون رجباً شهر الله الأصم. انظر لسان العرب (٣٤٦/١٢). مادة صمّ.

(٤) انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٦٧. فاضل السامرائي دار غمان الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٩- ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام ٤٤].

أولاً: القراءات

١. قرأ ابن عامر (فَتَحْنَا) بتشديد التاء أى مرة بعد مرة .

٢. قرأ الباقر (فَتَحْنَا) بالتخفيف. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{فتح}: الفتح إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان، أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب وفتح القفل، والغلق والمتاع، والثاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو إزالة الغم، والذي نحن بصدده الضرب الأول. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية :

تتكلم الآية الكريمة عن لون من ألوان العقاب الذي ينزله الله ﷻ بالذين نسوا ما ذكروا به، وتركوا العمل بما أمروا به على السنة رسلهم - عليهم السلام - فبسط الله عليها بالرزق وأغدق عليها بالنعم والخيرات استدراجاً لهم؛ (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) وهذا فتح استدراج ومكر، أي: بدلنا مكان البلاء والشدة؛ الرخاء والصحة (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا) وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا، أخذناهم بغتته: فجأة آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا إليهم، فإذا هم مبلسون، آيسون من كل خير أي: فتحنا أبواب كل شيء كان مغلقاً عنهم من الخير، فلما قست قلوبهم ولم يتفطنوا ونسوا ما ذكروا به من الوعظ فتحنا عليهم أبواب الخير والرخاء مكان البلاء والشدة حتى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتته. (٣)

(١) انظر: حجة القراءات ص ٢٥٠ .

(٢) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٤ .

(٣) انظر: تفسير جامع البيان (١٢٣/٥). وتفسير ابن كثير (١١٩/٢). وصفوة التفاسير (٣٩١/١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ابي جعفر وابن عامر (فَتَحْنَا) بالتشديد للتكثير، حتى إذا فرحوا فرح بطر بما أُوتوا من النعم ولم يقوموا بحق المنعم - جل شأنه - أخذناهم وعاقبناهم وأنزلنا بهم العذاب بغتة ليكون أشد وقعاً وأكثر ألماً. (١)

والقراءة بالتشديد - للمبالغة في الفتح بالكثرة، والتثقل مؤذن بالتكثير؛ لأن بعده أبواب كما أفاده قوله تعالى: (أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) فناسب التكثير والتثقل. [الأنعام: ٤٤]. وقراءة التخفيف فمن خفف فلأن الفعل واحد. (٢)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما لغوية تؤكد كل منهما الأخرى، وتحمل في طياتها معنى الاستدراج سواء بالتقليل أم بالتكثير فالنتيجة واحدة وهي الأخذ بغتة ليكونوا عبرة لمن يعتبر .

حيث إن قراءة التخفيف تدل على أن الله يفتح بالنعمة بكميات قليلة. وقراءة التشديد تدل على أن الله يفتح بالنعمة بكميات كثيرة، فهو يبتليهم بالقليل والكثير، والفرح يكون في الحالتين، والنتيجة واحدة فإذا هم ملبسون: آيسون من كل خير والله الحمد والمنة.

١٠ - ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام ٥٢].

أولاً: القراءات :

١. قرأ ابن عامر (بالغُدوة) بضم الغين وإسكان الدال وواو بعدها من غير ألف .
٢. قرأ الباقر (بالغَدَاة) بفتح الغين والدال وألف بعدها من غير واو. (٣)

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٢٣٠/٤). انظر: روح المعاني (٧- ٨ / ١٥٢).
(٢) كتاب معاني القراءات ص ١٥٣. انظر: اللباب (١٥٠/٨) . وتفسير البيهقي (١٤٣/٣).
(٣) النشر في القراءات العشر (٢ / ١٩٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{غدا}: الغدوة والغداة من أول النهار وقوبل في القرآن الغدو بالأصل نحو قوله تعالى: {بالغدو والأصل} [الأعراف ٢٠٥]، وقوبل الغداة بالعشي -كما هنا- في [الأنعام ٥٢]؛ والغادية السحاب ينشأ غدوة، والغداء طعام يتناول في ذلك الوقت، وغداً يقال لليوم الذي يلي يومك الذي أنت فيه. (١).

*قال الراغب: الغدوة والغداة، والغداة من أول النهار، وقوبل الغداة والعشي ومن هذا يتبين أن الغدوة، والغداة لغتان بمعنى واحد، وهو أنهما طرف لأول النهار، والبكرة من صلاة الغداة وطلوع الشمس قال تعالى: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} [الكهف ٢٨]. (٢)
والغدوة معرفة لا تصرف، ولا يدخل فيها الألف واللام إلا على تأويل التنكير، أوليزدوج الكلام كما قال الشاعر:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركاً
شديداً بأحناء^(٣) الخلافة كاهله.

أما الغداة فإنها تصرف ويدخل عليها الألف لأنها نكرة. (٤)

سبب نزول الآية:

عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي: اطرده هؤلاء لا يجترئون علينا، وقال كنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان، لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فأنزل الله (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ).

* وقال سلمان وخباب بن الأرت فينا نزلت هذه الآية جاء الأقرع بن حابس التيمي وعيينة بن حصن الفزاري وذوهم من المؤلفلة قلوبهم فوجدوا^(٥) النبي ﷺ قائدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حولهم حقرهم فأتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت منا هؤلاء وأرواح جبابهم وكان عليهم جباب صوفه لما رائتة لم يكن عليهم خيرها، لجالسناك وأخذنا منك فقال النبي ﷺ لهم ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا: فإننا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرفه به العرب فضلنا فإن

(١) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٧٠ .

(٢) انظر: لسان العرب (٣٢٢٠/٤) مادة غدا.

(٣) أنحاء: جمع حنو، الحنو كل شيء فيه إحناء أو إعوجاج أو شبه إعوجاج، وأحناء الأمور هي أنحاء الأمور: أطرافها ونواحيها. انظر لسان العرب (١٠٣٣/٢).

(٤) الشاعر: هو الرماح بن أبرد، وينسب إلى أمه (ميادة) يمدح بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، انظر مغني اللبيب ص ٧٥. وشرح شواهد ص ٦٠. والرواية فيهما بأعباء الخلافة.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة . صحيح مسلم (١٨٧٨/٤) حديث رقم ٦٣٩٤.

وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترائنا العرب مع هؤلاء الأعمد فإذا نحن جنناك فأقمهم منا فإذا نحن فرحنا فأفعد معهم - إن شئت - قال: نعم قالوا أكتب لنا عليك بذلك كتاباً. قال: فدعنا بالصبيحة ودعنا غلباً ليكتبه قالوا: ونحن تعود في ناحية إذ نزل جبريل بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ إلى قوله بالشاكرين فألقى ﷺ الصحيفة من يده ثم دعانا فأنتينا وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكان الرسول ﷺ يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كانت ركبتنا تمس ركبتة فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية :

تتحدث الآية الكريمة عن أمر الله ﷻ لرسوله الكريم بأن يصبر نفسه على مجالسة الفقراء من المؤمنين المخاصين، وأن لا يترك مجالستهم إرضاءً للسادة والكبراء من ذوي الشرف والغنى.

*قال الجزائري: "أمر الله ﷺ نبيه ﷺ أن يصبر نفسه، أي يحبسها مع أولئك المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، أي أول النهار وآخره، مخلصين له الدين لا يبتغون إلا مرضاة الله ﷻ وقد اقترح عليه ﷺ بعض المشركين أن يبعد من مجلسه فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب حتى يجلسوا إليه ويستمعوا عنه فهم الرسول ﷺ أن يفعل رجاء هداية أولئك، فنهاه أن تتجاوز عيناه ضعفاء المؤمنين وفقراءهم بسبب أن ثيابهم رثة ولها رائحة لأنها كانت من الصوف، محتقراً لهم طامعاً في هداية أهل الغنى والشرف، فنهاه عن طاعة الغافل عن ذكر الله المتبع لهواه، وبالغ في الزجر عن هذا الهم بأنه ليس عليه حسابهم، وهم ليس عليهم تحمل مسؤولياتك وتبعاتك، فلا تفعل، ولن تفعل فحبس ﷺ نفسه عنهم وكان يقول لهم: الحمد لله الذي لم يمتهني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات". (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (بِالْغَدَاةِ) أن الله ﷻ قد أمر نبيه ﷺ أن يصبر نفسه على مجالسة الفقراء من المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة (أول النهار) والعشي (آخر النهار) أي: في كل وقت وحين

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٤٥/٤).

(٢) أيسر التفاسير (٦٤/٢) . وانظر أضواء البيان (٣٧٩/٢-٣٨١). والمقتطف (١٢١/٢-١٢٢).

ابتغاء مرضاة الله ﷻ. (١)

*قال النسفي: "(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) وَأَتَى عَلَيْهِمْ بِأَنْهُمْ يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام، أو معناه: يصلون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس بالغدوة (شامى). ووسمهم بالإخلاص في عبادتهم بقوله: (يريدون وجهه) فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته نزلت في الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم". (٢)

وأفادت قراءة (بِالْغُدُوَّةِ) أن أولئك الفقراء رغم كونهم نكرة في مجتمع السادة والكبراء، إلا أنهم نالوا أعلى المنازل والدرجات عند الله ﷻ فكان يقول لهم النبي ﷺ مرحباً بمن عاتبني بهم ربي، معكم المحيا ومعكم الممات. (٣)

*قال ابن خالويه: "(غداة) نكرة فإذا عرّفت بالألف واللام جاءت مطابقة، لذلك اتفقا في

التعريف بالألف واللام. ومن قرأها بالواو اتبع الخط في السواد بالواو؛ لأنها إنما كتبت كما كتبت (الصلاة) و (الزكاة) و (الحياة) وهذا غير مسلم به؛ لأن (غدوة) إذا أردت بها غدوة يومك

فلا تستعمل إلا معرفة بغير ألف ولام ودخول ألف ولام عليها محال؛ لأنه لا يعرف الاسم من وجهين، وجاز في الغداة؛ لأنه لم يقصد بها قصد غداة بعينها وهذا من لغة العرب وقد جعلها نكرة كقولهم (لن غدوة)". (٤)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن الله ﷻ قد أمر نبيه ﷺ بتصبير نفسه على مجالسة فقراء المؤمنين الذين من صفاتهم طاعة الله وملازمة أمره في كل وقت وحين، فغدوة معرفة وتعريفها (بال) بالغدوة يزيدا معرفة على معرفة، وغداة نكرة وتعريفها (بال) يجعلها معرفة ويظهر من القراءتين بيان من حالهم من الملازمة بما يقتضي الإخلاص؛ فقال بالغدوة والعشي المعرفة وبالغدوة التي زادت معرفة على معرفة أي طرفي النهار مطلقاً أو بصلاتيهما (بالغدوة والعشي) فهو كناية عن الدوام، ثم أتبع ذلك بنتيجته فقال معبراً عن الذات بالوجه؛ لأنه أشرف على ما نتعارفه، وتذكره يوجب التعظيم ويورث الخجل من التقصير، كما ونهاه ﷻ عن مجالسة ذوي الغنى والشرف فهم لا قيمة لهم والمكانة والمنزلة هي لأهل التقوى وهذا الميزان

(١) كتاب التذكرة (٢/٣٩٨).

(٢) تفسير النسفي (١٣/٢). انظر: روح المعاني (٧-٨/١٦٢).

(٣) انظر: المغني (٢/٤٧). وتناسب الدرر (٢/٦٤٢).

(٤) انظر: الحجة (٧٤-٧٥). وحجة القراءات ص ٢٥١.

الرباني للمقاييس قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ خَيْرٌ﴾ [الحجرات ١٣].

١١ - ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ [الأنعام ٥٤]

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿أَنَّهُ مِّنْ عَمَلٍ... فَأَنَّهُ غُفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بفتح الهمزة، فيهما، ووافقهما المدنيان في الأولى.

٢. قرأ الباقون ﴿إِنَّهُ مِّنْ عَمَلٍ... فَأَنَّهُ غُفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بالكسر فيهما. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{إن، وأن}: ينصبان الاسم ويرفعان الخبر، والفرق بينهما أنَّ إنَّ يكون ما بعده جملة مستقلة، وأنَّ يكون ما بعده في حكم مفرد يقع موقع مرفوع ومنصوب ومجرور. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية :

تتحدث الآية الكريمة بعد أن نهى الله ﷻ النبي ﷺ عن طرد المستضعفين من حضرته، استمالة لكسب الكبراء المتكبرين من قومه، وطمعاً في إقبالهم عليه وسماعهم لدعوته - كما اقترحه بعض المشركين - أمره بأن يلقى الذين يدخلون في الإسلام أناً بعد أن عن بيعة وبرهان بالتحية والسلام، والتبشير بالرحمة والمغفرة، ووصفهم بالإيمان، كما وصفهم بالإخلاص، تنبيهاً على إحرازهم العلم والعمل، ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرده، يعز ولا يذل، ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة بالمغفرة والرضوان، فقد كتب ربكم على نفسه الرحمة

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٤).

(٢) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٢.

وأوجبها على ذاته المقدسة، بطريقة التصدق والإحسان على عباده، ومن عمل ذنباً جاهلاً بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد، فإن تاب وجاء بالتوبة على أصولها وشروطها، أي فشأنه سبحانه أنه مبالغ في المغفرة والرحمة له. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿فَأَنَّهُ غُفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أن شأن الله ﷻ وأمره مبالغ في المغفرة والرحمة له فإنَّ وما بعدها خبر مبتدأ محذوف، والجملة خبر من أوجواب الشرط، والخبر حينئذ على الخلاف وقدر بعضهم فله أنه... الخ. أو فعلية أنه... الخ. وحينئذ يجوز الرفع على الابتداء والرفع على الفاعلية. وقيل: إن المنسبك في موضع نصب بفعل محذوف، أي فليعلم أنه... الخ. وقيل: إن هذا تكرار لما تقدم لبعد العهد، وقيل: بدل منه. وقراءة فتح الهمزة، أن تكون أنَّ واسمها في موضع نصب بدل من الرحمة ، وتكون الجملة منتظمة في حيز القول. (٢)

وأفادت قراءة (إِنَّهُ مَن عَمِلَ... فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) على كسر الهمزة ، فالجملة استئنافية، مسوقة لتفسير الرحمة، وتكون الهاء ضمير الشأن اسم إنَّ، ومَنْ اسم شرط جازم أو موصولة؛ وهي مبتدأ على كل حال، وأن المفتوحة الهمزة وما في حيزها خبر لمبتدأ محذوف، أي فأمره ومآله غفران الله له، وغفور رحيم له، و(غفور رحيم) خبران لأن، ومن قرأ بهمزة إنَّ على الاستئناف، (من عمل) خبر إنَّ، وفعل الشرط وجوابه خبر منْ. (٣)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن آيات الله فيها بشرى من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة لمن تاب وأناب وعمل صالحاً، فقد كتب ربكم على نفسه الرحمة الشاملة (أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) فبالفتح يكون أن واسمها في موضع نصب بدل من الرحمة، وفيه تأكيد وجوب الرحمة والمغفرة للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا، وبفتح الأولى وكسر الثانية فإنَّ أمره ومآله غفران الله له ورحمته وكذلك هي واجبة، وأما على قراءة الكسر استئناف لوقوعها بعد الفاء وجملة (من عمل) خبر إنَّ، وفعل الشرط وجوابه خبر مَنْ، وتقديره فأمره غفران الله له. (٤)

(١) انظر: المقتطف (١٢٣/٢).

(٢) انظر: روح المعاني (٧-٨ / ١٦٤).

(٣) انظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه (٣٧٦/٢)، تأليف الأستاذ محيي الدين درويش. دار ابن كثير واليامة - دمشق، بيروت. طبعة منقحة ومصححة ومفهرسة. الطبعة الثامنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٤) انظر: أيسر التفاسير (٦/٢). المسمى أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه (نهر الخبر على أيسر التفاسير) تأليف أبي بكر الجزائري مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: أيسر التفاسير.

وبجميع القراءات يتبين أن رحمة الله فيها بشرى من الله ﷻ بالسلامة في الدنيا، والرحمة في الآخرة لمن تاب وأناب، فهو شديد المغفرة والرحمة، وهي كناية عن وجوب المغفرة لهذا التائب إلى الله

١٢ - ﴿وَكَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام ٥٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة و الكسائي وخلف وأبو بكر (وليسْتَبِينَ) بالياء على التذكير .

٢. قرأ الباقون (وَلِتَسْتَبِينَ) بالتاء على التأنيث أو الخطاب .

١. قرأ المدنيان (سَبِيل) بنصب اللام

٢. وقرأ الباقون (سَبِيل) برفعها. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{وَلِتَسْتَبِينَ} : من التبيين والتوضيح، والتفصيل مشتق من الفصل، وهو تفرق الشيء عن الشيء، ولما كانت الأشياء المختلطة - إذا فصلت - يتبين بعضها من بعض، أطلق التفصيل على التبيين بعلاقة اللزوم، وشاع ذلك حتى صار حقيقة، ومن هذا القبيل أيضاً تسمية الإيضاح تبييناً وإبانة، فإن أصل الإبانة القطع، والمراد بالتفصيل الإيضاح، أي الإتيان بالآيات الواضحة الدلالة على المقصود منها .

{سَبِيل} : هو الطريق الذي فيه سهولة وجمعه سبل، والسبيل يعبر به عن المحجة وسبيل الله طريق الهدى. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآية الكريمة بأن السورة العظيمة تفصل الدلائل والحجج على ضلالات المشركين، مما تبين وتوضح أمور الدين، قال تعالى: (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) أي لتوضح وتظهر طريق المجرمين

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٤).

(٢) انظر: لسان العرب ٣١٩/١١. التحرير والتنوير (٤/ ٢٦٠).

فينكشف أمرهم وتستبين سبيلهم، ولتستوضح يا رسول الله سبيلهم فتعامل كلاً منهم بما يستحقه ولذلك فصلنا هذا التفصيل، ولم يذكر سبيل المؤمنين؛ لأن ذكر أحد القسمين، يدل على الآخر. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وَلِتَسْتَبِينَ) بالفوقية على الخطاب للنبي ﷺ أي لتستبين يا محمد سبيل المجرمين (سَبِيل) منصوب على قراءة نافع، ففي الفعل ضمير المخاطب، وسبيل مفعوله، وهو على قولك

استنبت الشيء. وأفادت قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحفص (سَبِيلُ) بالرفع فالفعل مسند إلى سبيل، وأما (وَلَيْسَتَيْنِ) على التحتية فالفعل مسند إلى سبيل أيضاً. وأفادت قراءة حمزة والكسائي (سَبِيلُ) بالرفع وإذا استبان سبيل المجرمين فقد استبان سبيل المؤمنين. (٢)

وأفادت قراءة حمزة والكسائي وأبو بكر (وَلَيْسَتَيْنِ) بالياء (سَبِيلُ) بالرفع فالفعل مسند إلى السبيل إلا أنه ذكر كما في قوله تعالى: (يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) والمعنى ليستين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين وحذف لأن أحد السبيلين يدل على الآخر. (٣)

وأفادت قراءة الباقرين (وَلَيْسَتَيْنِ) بالتاء (سَبِيلُ) بالرفع أي ليظهر وليتضح، سبيل يذكر ويؤنث، فدل على التذكير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ العُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف ١٤٦] دليل الثأنيته قوله تعالى: ﴿لَمْ تَصُدُّونَ عَنِ اللّهِ مَنَ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران ٩٩]. (٤) وعليه يكون تفصيل الآيات بشأن الطائعين من فقراء المؤمنين، والعاصين من زعماء قريش ليتضح لك يا محمد طريق الفريقين فتعامل كلًا بما يناسبه.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن كلا من القراءتين تفسر إحداهما الأخرى؛ فسبيل المجرمين قد بينت بهذا القرآن، وأن المقصود الأول بهذا البيان هو الرسول ﷺ كأن معناها ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يناسبهم؛ والخطاب للنبي ﷺ ولورثته من المسلمين من بعده، وكما هو معلوم فالعرب تؤنث وتذكر السبيل، ومن إحدى الحكم الكبيرة

(١) المقتطف من عيون التفاسير (١٢٤/٢). انظر: صفوة التفاسير (٣٩٣/١).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (١٢١/٢).

(٣) انظر: المستنير (١٥٦/١). وتفسير البغوي (١٤٩/٣).

(٤) انظر: مجمع البيان (٦٥/٤). المسمى مجمع البيان في تفسير القرآن تأليف أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي. دار الفكر بيروت لبنان. ١٩٩٤م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: مجمع البيان.

لتصريف الآيات في هذا القرآن بهذه الطريقة الرائعة، يعني بيان سبيل المجرمين؛ لأن سبيل المجرمين إذا بانث تجتنب؛ وبذلك تكون قد بانث سبيل المؤمنين فتتبع.

١٣ - ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ
إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام ٥٧].

أولاً: القراءات :

١. قرأ المدنيان وابن كثير وعاصم (يُقْضُ) بالصاد مهملة مشددة من القصص .
٢. وقرأ الباقر (يَقْضُ) بإسكان القاف وكسر الضاد معجمة من القضاء. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{قص}: القص تتبع الأثر، يقال قصصت أثره والقصص الأثر، والقصص الأخبار
المنتبجة، والقص هو البيان، والقص من يأتي بالقصة. (٢)

{قضى}: القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أوفعلاً ويحتمل القضاء بالقول والفعل جميعاً. (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تخاطب النبي ﷺ بأن يقول: لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك بالإشراك إنني
على
بينة من ربي وعلى بصيرة من شريعة الله التي أوحاها الله إليّ وكذبتكم بها، أي بالحق الذي
جاءني من الله، ما عندي ما تستعجلون به، أي من العذاب، إن الحكم إلا لله... ؛ ثم أمره الله
ﷺ أن يقول لهم لو أن عندي ما تستعجلون به أي: ما تطلبون تعجيله بأن يكون إنزاله بكم
مقدوراً لي وفي وسعي لقضي الأمر بيني وبينكم، أي لقضى الله الأمر بيننا بأن ينزله الله ﷻ
بكم

(١) النشر في القراءات العشر (٢/١٩٤).

(٢) انظر: القاموس المحيط ٨٠٩. مادة قص. للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المنوفي سنة ٨١٧هـ. تحقيق
مكتب التراث في مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: القاموس المحيط.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن (٤٢٠/٤٢١).

بسؤالي له، وطلبي ذلك، يرجع أمر ذلك إلى الله ﷻ إن شاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك،
وإن شاء أنظركم وأجلكم لما له في ذلك من الحكمة العظيمة؛ ولهذا قال ﴿يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ

خَيْرُ الْفَاصِلِينَ» أي: هو خير من فصلّ القضايا وخير الفاتحين في الحكم بين عباده ﴿قُلْ لَوْ أَنَّنِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام ٥٨] فلو كان مرجع ذلك إليّ لأوقعت لكم ما تستحقونه من ذلك. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة نافع وابن كثير وعاصم (يَقْصُ) بالقاف والصاد المهملة، الحق هو من يقص القصص الحق أو من قص أثره أي يتبع الحق فيما يحكم به.

وأفادت قراءة الباقرين (يَقْضِي) بالضاد المعجمة، وهو من القضاء أي يقضى القضاء بين عباده، والحق منتصب على المفعولية أو على أنه صفة لمصدر محذوف، أي: يقضى القضاء الحق أو يقص القصص الحق وهو خير الفاصلين، أي: بين الحق والباطل بما يقضى به بين عباده، ويفصله لهم في كتابه. (٢)

(يقص الحق) من قص الحديث أو من قص الأثر أي اتبعه ، وقد سئل أهو يقص الحق أم يقضي الحق؟ فقال: لو كان يقص لقال وهو خير القاصين، والمقام وهو خير الفاصلين فإنما يكون الفصل في القضاء وقد جاء الفصل في القول كذلك كما في قوله تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ). (٣)

وجملة (وهو خير الفاصلين) أي يقص ثم يقضي بالحق، فلا يكون قضاء حق بدون قصص حق، وهو خير من يفصل بين الناس، أو يقضي بالحق. (٤)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما تفسيرية قائمة على الترتيب؛ لأن القص هو خطوة متقدمة عن القضاء فالله ﷻ إنما يقص الحق فيما يخبر به في القرآن العظيم، وأنه يقضي بالحق فيما جاء به الشرع الحكيم، وجاءت القراءتان بمعنيين متتابعين، دون أن يكون بينهما اختلاف أو تناقض، القرآن هو كل خبر فيه حق، وكذلك القرآن هو كل قضاء فيه حق فحسب حقيقة القصة، تكون حقيقة القضاء وهكذا تكون النتائج مترتبة على حسب المعطيات (٥)

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣٥/٥). وتفسير ابن كثير (١٢٣/٢).

(٢) انظر: فتح القدير (١٢٢/٢).

(٣) انظر: البحر المحيط (٥٣١/٤).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٢٦٨/٤).

(٥) انظر: القراءات وأثرها في التفسير (٥٤٦/٢). د. محمد سالم محيسن. دار الجيل - بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٤ - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ

الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام ٦١] .

أولاً: القراءات :

١. قرأ حمزة (تَوَفَّاهُ) بألف مماللة بعد الفاء والواو .

٢. قرأ الباقون (تَوَفَّتْهُ) بتاء ساكنة بعدهما. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{وفى}: الوافي الذي بلغ التمام يقال درهم واف وكيل واف وأوفيت الكيل والوزن ،ويقال: "وفى بعهده، يفي، وفاء وأوفى، إذا أتمَّ العهد ولم ينقض حفظه". (٢)
وتوفية الشيء: بذله وافيًا، واستيفأؤه: تناوله وافيًا. (٣)
ومن المجاز: توفى فلان وتوفاه الله تعالى، أي أدركته الوفاة. (٤)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن عظمة الله ﷻ فهو القاهر فوق عباده والغالب، لا المقهور أو المغلوب ويرسل عليهم حفظة وهم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها ولا يفرطون ولا يضيعون ما أحصوه؛ ويتعاقبونهم ليلاً ونهاراً، ومن رسله ملك الموت وأعوانه أنهم يسلمون الروح من الجسد حتى إذا كان عند ذلك قبضها ملك الموت، وقال الكلبي^(٥): يقبض ملك الموت

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٤/٢).

(٢) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤١٩ .

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن مادة وفى ٥٢٨.

(٤) انظر: أساس البلاغة مادة وفى (٥٠٥/٢). للإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى

٥٣٨هـ. تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود .

(٥) الكلبي هو: عيسى بن سعيد بن سعدان الإمام أبو الأصبع الكلبي الأندلسي القرطبي القرىء؛ ورحل وقرأ القراءات على بن نصر الشذائي، وأبي أحمد السامري، وأبي حفص الكتاني، وأقرأ في مسجد قرطبة. توفي في جمادى الآخرة سنة تسعين وثلاثمائة كهلاً وانقطعت رواياته. انظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار (٧٢٥/٢) تأليف الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ-١٣٤٨م. تحقيق د. طيار آلتى قولاج. الطبعة الأولى - استانبول - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: معرفة القراء الكبار.

الروح من الجسد ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمناً، أو إلى ملائكة العذاب إن كان كافراً، ويقال معه سبعة من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب فإذا قبض نفساً مؤمنة دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالتواب ويصعدون بها إلى السماء وإذا قبض نفساً كافراً دفعها إلى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب ويفزعونها ثم يصعدون بها إلى السماء ثم ترد إلى سبعين وروح^(١)

المؤمن إلى عليين؛ ثم تنبئ عن الأمر العظيم وهو الوقوف بين يدي الله ليحاسبنا على أعمالنا فهي غير مفرط بها ولا مضیعة. (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة حمزة (تَوَفَّاهُ) بألف مماله بعد الفاء والواو، رسلنا يعني أعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه إلى ملك الموت فيقبض روحه كما قال قل يتوفاكم ملك الموت، وقيل الأعوان يتوفونه بأمر ملك الموت فكأن ملك الموت توفاه لأنهم يصدرون عن أمره، وقيل أراد بالرسل ملك الموت وحده فذكر الواحد بلفظ الجمع. (٣)

وأفادت قراءة الباقيين (تَوَفَّتَهُ) بتاء الضمير كما قيل للكل المدلول عليه بأحد وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات والإفراد أولاً والجمع آخرًا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع، وذهب بعض المحققين أن فيه التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة ومن المتكلم إليها، لأن الرد يناسبه الغيبة بلا شبهة، وإن لم يكن الرد حقيقة لأنهم ما خرجوا من قبضة حكمه ﷺ طرفة عين. (٤)

* قال الألويسي: عن قتادة قال: "إن ملك الموت له رسل يبشرون قبض الأرواح ثم يدفعونها إلى ملك وقيل أن ملك الموت هو الذي يلي ذلك ثم يدفع الروح إن كانت مؤمنة إلى ملائكة الرحمة، وإن كانت كافرة إلى ملائكة العذاب والأكثر على أن المباشر ملك الموت وله أعوان من الملائكة وإسناد الفعل إلى المباشر والمعاون معاً مجاز، كما يقال بنو فلان قتلوا قتيلاً والقاتل واحد منهم وقد جاء إسناد الفعل إلى ملك الموت فقط باعتبار أنه المباشر وإلى الله تعالى باعتبار أنه سبحانه الأمر الحقيقي وأن المراد بالرسل هنا الحفظة فيكون المعنى يرسلهم للحفاظ في الحياة

(١) الدر المنثور. جلال الدين السيوطي. دار الفكر بيروت - ١٩٩٣ م. وذكر في المستدرک بمعنى الرواية (٩٣/١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣٩/٥). وتفسير القرطبي (١٠/٤).

(٣) تفسير: معالم التنزيل (١٥١/٣).

(٤) انظر: المستتير (١٥٨/١).

والتوفي عند مجيء الممات. (١)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما علاقة بلاغية تفسيرية بأن الله هو القابض الحقيقي للأرواح وأنه الأمر بقبض الأرواح بيده وحده لا يبيد غيره فله الأمر، وأن ملك الموت يتوفى الروح ثم يسلمها إلى أعوانه من ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب؛ فإن ملك الموت هو الذي يلي ذلك بأمر الله، ثم يدفع الروح إن كانت مؤمنة إلى ملائكة الرحمة، وإن كانت كافرة

إلى ملائكة العذاب، وقد جاء إسناد الفعل إلى ملك الموت باعتبار أنه القابض المباشر؛ وإلى الله تعالى باعتباره الأمر الحقيقي دون تقديم أو تأخير ولو لحظة واحدة... الآية.

١٥ - ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَنْ أُنْجَاكُمْ مِنْ هَذِهِ لَنْ كُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ* قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾

[الأنعام ٦٣، ٦٤].

أولاً: القراءات :

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ) ... (قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ) يقرأان بالتشديد.

٢. قرأ عاصم وحمزة والكسائي (لَنْ أُنْجَاكُمْ) بألف، وغير تاء ولا ياء على لفظ الغيبة... (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ).

٣. قرأ الباقون (لَنْ أُنْجَيْتَنَا) بياء تحتية ساكنة بعد الجيم، وبعدها تاء فوقية مفتوحة، على الخطاب خفيفة... (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ). (٢)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(١) تفسير روح المعاني (٧- ٨ / ١٧٧).

انظر: المقتطف (١٢٨/٢). المسمى المقتطف من عيون التفاسير لفضيلة الشيخ مصطفى الحصن المنصوري. حققه وخرج أحاديثه. محمد علي الصابوني. دار السلام للطباعة القاهرة. الطبعة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: المقتطف.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٤). انظر: كتاب معاني القراءات ص ١٥٦ .

{نجا}: أصل النجاء الخلاص من الشيء، والانفصال منه؛ ومنه نجا فلان من فلان وأنجيتَه ونجيتَه. (١) (أنجيتا) وفي قراءة (أنجانا): أي الله. (٢)

واللآ: المعنى الإجمالي للآية :

الآية الكريمة تذكر هؤلاء المنكرين لنعم الله ﷻ بالنجاة من الظلمات والشدائد وكفرهم لهذه النعم، فإن خفتم الهلاك دعوتموه فإذا نجاكم كفرتموه، وهذا تقرير وتوبيخ فبعد معرفتكم لهذا كله

وتحققه لكم تشركون ولا تؤمنون!

* يقول الله ﷻ ممتناً على عباده، في إنجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر، أي الحائرين الواقعين في المهامة البرية، وفي اللجج البحرية، إذا هاجت الرياح العاصفة، فحينئذ يفردون الدعاء له وحده لأشريك له، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لئنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. [يونس ٢٢]. الآية، (بريح طيبة) الآية، وقوله تعالى في الآية الكريمة: (قُلْ مَنْ يُنَجِّيْكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) أي: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة من ينقذكم ويخلصكم في أسفاركم من شدائد وأهوال البر والبحر؟ (تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) أي: تدعون ربكم عند معاينة هذه الأهوال مخلصين له الدعاء مظهرين الضراعة جهراً وسراً، تضرعاً بالسنتكم وخفية في أنفسكم، قال ابن عباس: المعنى تدعون ربكم علانية وسراً قائلين (لئنِ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) أي: لئن خلصتنا من هذه الظلمات والشدائد لنكونن من المؤمنين الشاكرين والغرض: إذا خفتم الهلاك دعوتموه فإذا نجاكم كفرتموه (قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيْكُمْ مِنْهَا) أي: بعد هذه النعم، (تُشْرِكُونَ) أي: تدعون معه في حال الرفاهية آلهة أخرى. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (قُلْ مَنْ يُنَجِّيْكُمْ) بالتشديد من الظلمات الكثيرة القبر والبحر، أي: من شدائدهما وأهوالهما كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم فذلك قوله تعالى: (تدعونه تضرعاً وخفية) أي: علانية وسراً.

(١) انظر: لسان العرب (٣٠٤/١٥) مادة نجا.

(٢) انظر: تفسير الجلالين ص ١٧٢.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٢٥/٢). وصفوة التفاسير (٣٩٦/١).

وأفادت قراءة (لئن أنجيتنا) على الخطاب لئن أنجيتنا، أي: يقولون لئن أنجيتنا وقراءة أهل الكوفة لئن أنجانا الله من هذه يعني: من هذه الظلمات لنكونن من الشاكرين والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها. (١)

أفادت قراءة (لئن أنجانا) بألف - من هذه - يعني: من هذه الظلمات لنكونن من الشاكرين؛ حيث الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى في دعائهم إياه عند الشدائد (ينجيكم) بالتشديد للتكثير من ظلمات كثيرة، يعني ظلمة البر، وظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة الغيم، وقيل التشديد للتكثير.

* وقراءة الكوفيين (لئن أنجانا) واتساق المعنى بالتاء كما قرأ أهل المدينة وأهل الشام قوله تعالى: (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب)، وقراءة الكوفيين (ينجيكم) بالتشديد والباقيين بالتخفيف، قيل معناهما واحد مثل نجا وأنجيتته ونجيتته وقيل التشديد للتكثير. الكرب الغم يأخذ بالنفس، يقال: رجلٌ مكروب والكرب الغم يأخذ بالنفس يقال منه رجل مكروب قال عنتره:

ومكروب كشفت الكرب عنه بطعنة فيصل^(٢) لما دعاني.

والكربة مشتقة من ذلك. (٣)

قال الألويسي: "قراءة يعقوب ينجيكم بالتخفيف من الإنجاء والمعنى واحد وقوله تعالى: تدعونه في موضع الحال من مفعول ينجيكم كما قال أبو البقاء: والضمير ان أي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له وجوز أن يكون حالاً من فاعله أي من ينجيكم منها حال كونه مدعواً من جهتكم (تضرعاً وخفية) أي: إعلاناً وإسراً كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عنهما والحسن فنصبها على المصدرية وقيل بنزع الخافض، والإعلان والإسرار يحتمل أن يراد بهما ما باللسان، ويحتمل أن يراد بهما ما باللسان والقلب وجوز أن يكونا منصوبين على الحال من فاعل (تدعون) أي معلنين ومسررين، وقوله لئن أنجيتنا في محل النصب على المفعولية لقول مقدر وقع حالاً من فاعل تدعون أيضاً أي قائلين لئن أنجيتنا والكوفيين يحكون بما يدل على معنى القول كتدعون من غير تقدير والصحيح التقدير وقيل إن الجملة القسمية تفسير للدعاء فلا محل لها، وقرأ أهل الكوفة

(١) انظر: تفسير البغوي (٣ / ١٥٢). المسمى معالم التنزيل. للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة عشر وخمسائة هـ. حققه وخرج أحاديثه محمد بن عبد الله النمر، وآخرون، دار طيبة - الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٩٨ م، وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير البغوي.

- (٢) فيصل: الفيصل صفة للسيف لأنه يفصل الرأس عن الجسد. انظر شرح ديوان عنتر بن شداد ص ١٤٢ .
 (٣) انظر شرح ديوان عنتر بن شداد .شرح وتعليق عباس إبراهيم .دار الفكر العربي - بيروت . قافية النون .تحت عنوان (ألا يادهر يومي مثل أمسي) ص ١٤٢ .

أنجانا بلفظ الغيبة مراعاة لتدعونه دون حكاية خطابهم في حالة الدعاء، غير أن عاصما قرأ بالتفخيم والباقون بالامالة. (١)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما تفسيرية بلاغية وهما لغتان أنجيتيه ونجيتيه ومن قرأ بالإمالة فهو يصورتلهم وانكسارهم وإمالة نفوسهم عند التضرع لله بالنجاة في حال الشدة تضرعاً وخفية، يقسمون على أنفسهم أي: سراً وعلانية فحسن أن يُقرعوا ويُوبخوا على مكانتهم تلك وإن كانوا مشركين قبل النجاة، ثم جاء الخبر تشركون بصيغة المضارعة المشعرة بالاستمرار والتجديد في المستقبل لما كانوا عليه فيما مضى فكل من القراءات الثلاثة تتم عن رحمة الله التي أدركتهم من ظلمات كثيرة طال معها مبنى الكلمة، وشدد اللفظ لشدة الكربات، وأنجيتنا بالخطاب حكاية لخطابهم في حالة الدعاء، وخفف لسرعة النجاة، والقراءات فيها بيان صورة تضرعهم وانكسار حالهم.

١٦ - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَتَعَدُّ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
 [الأنعام ٦٨].

أولاً: القراءات :

١. ابن عامر ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ بتشديد السين .
٢. قرأ الباقر ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ بتخفيفها . (٢)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{نسي}: النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه، وإما من غفلة وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره، يقال نسيته نسياناً. (٣)

(١) تفسير الألويسي (٧-٨/١٧٩).

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٥).

(٣) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥١٢ .

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة توجه الخطاب للنبي ﷺ أن إذا رأيت يا محمد، وكل سامع مسلم، الذين يخوضون في آيات القرآن بالتكذيب والاستهزاء، فانصرف عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في غير حديث الكفر والاستهزاء والتكذيب، فمنهم من يخوض في القرآن بتأويله تأويلاً باطلاً نابعاً من البدع والأهواء والآراء الفاسدة؛ فلا تجالسهم واتركهم، أما إن أنساك الشيطان النهي عن مجالستهم فجالستهم ثم تذكرت، فلا تجلس إلى أولئك الكفرة الفساق الذين يهزؤون بالقرآن والدين، فقم إذا ذكرت النهي ولا تقعد مع المشركين، واعلم أنه ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفار على استهزائهم وإضلالهم إذا هم تجنبوهم ولم يجالسوهم. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة ابن عامر ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ بتشديد السين على التكرير، يقال نسي وأنسى بمعنى واحد لغتان، المعنى: يا محمد إن أنساك الشيطان أن تقوم عنهم فجالستهم بعد النهي فلا تقعد بعد الذكرى، أي: إذا ذكرت فلا تقعد مع القوم الظالمين، يعني: المشركين، والذكرى: اسم للتذكير. (١)

وقرأ ابن عامر: ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ بالتشديد تقول نسيت الشيء، وأنساني غيري، ونسائي أيضاً، وحجة ما جاء في الحديث: (لا يقول أحدكم نسيت آية كذا وكذا، بل هو نسي). (٢)

وأفادت قراءة الباقرين: ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ بالتخفيف من أنساني غيري، وحجتهم قوله: فأنساه الشيطان ذكر ربه، ولم يقل فنسأه. (٣)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما تفسيرية، حيث إن إحداهما تؤكد الأخرى فالتشديد والتخفيف كلاهما ينهى عن مجالسة أهل الاستهزاء بآيات الله ﷻ والطعن فيها، بالإعراض عنهم، وعدم مجالستهم والقيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، سواء أنساك أيها الناسي الشيطان إنساءً شديداً أم خفيفاً فلا تقعد بعد الذكرى أي بعد أن ذكرناك قبح مجالسة هؤلاء المستهزئين. فإذا ما أنساك الشيطان حالهم وجلست إليهم، ثم تذكرت طبعهم فانصرف عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في غير حديث الكفر والاستهزاء والتكذيب، ومن ثم فينبغي عليك أن تترك مجالستهم حالاً والحديث لك ولأمتك يا محمد من بعدك تعظيماً وتقديساً لكلام الله

- (١) انظر: تفسير المنير (٧ - ٨- ٢٤٧) . وتفسير القرطبي (١٠/٤-١١) .
(٢) انظر: حاشية الشهاب (١٢٣/٤) . وتفسير القرطبي (١٠/٤) .
(٣) انظر: حجة القراءات ص ٢٥٦ .

والمعنى أن مقاطعة الأشرار واجبة.

١٧ - ﴿قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يُدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ اثْنًا قُلْ إِنْ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ [الأنعام ٧١] .

أولاً: القراءات :

١. قرأ حمزة (استهواه) بألف مماله بعد الواو .(١)
٢. قرأ الباقون بتاء (استهوته) ساكنة بعد الواو من غير ألف، على تأنيث الفعل ، وجاز تذكر الفعل وتأنيثه لأن الفعل جمع تكسير.(٢)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{هوى}: الهوى ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وسمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى كل هاوية، والهوي سقوط من علو إلى سفل. (٣)

واستهواه من قولهم: هوى من شاقق (الجبل المرتفع) إذا تردى منه ويشبه به الذي زلّ عن الطريق المستقيم.(٤)

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

* الآية الكريمة توجيه رباني من الله ﷻ بأن يوجه الاستفهام الإنكاري والتوبيخ للكفار، فقل لهم يا محمد أعبد ما لا ينفعنا إن دعوانه، ولا يضرنا إن نحن تركناه؟ من أصنام

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٥/٢).

(٢) انظر: المستنير (١/١٦٠).

(٣) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٤٥.

(٤) انظر: مجمع البيان (٨١/٤).

لنرجع ونرد إلى الضلال بعد الهدى، بعدما أن هدانا الله للإسلام وتذوقنا حلاوة الإيمان، فيكون مثلنا كمثل الذي اختطفته الشياطين وأضلته، وسارت به في المفاوز والمهالك فألقته في هوة سحيقة، فأصبح متحيراً لا يدري إلى أين يسير إلى طريق الهدى أم إلى طريق الضلال، ثم أخبرهم أن ما نحن عليه هو طريق الهدى وحده وما دونه ضلال، وما أمرنا إلا لنخلص له العبادة في جميع أحوالنا وأمورنا. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ) أي هوت به، والكاف في كالذي إما نعت مصدر محذوف أي نرد على أعقابنا رداً كالذي أو في محل نصب على الحال من فاعل نرد أي نرد حال كوننا مشبهين للذي استهوته الشياطين أي ذهبت به مرده الجن بعد أن كان بين الإنس.

(اسْتَهْوَتْهُ) أي زينت له هواه بالوسوسة والغلبة. (٢)

وأفادت قراءة حمزة (اسْتَهْوَاهُ) على تذكير الجمع، بمعنى استهواه الشيطان. (٣)

ومعنى استهواه الشيطان: استخفه حتى هوى به، أي أسرع إلى ما دعاه إليه، وهذا من هَوِيَ يَهْوَى، لا مِنْ هوى يهوي - بمعنى يسقط - (٤).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة بينهما تفسيرية، فقراءة استهواه الشيطان

تبين أن أول الهاوية زلة شيطان رجيم، مثل الرجل الذي استتبعه الشيطان يهوي به في الأرض حيران تائهاً. ومن ثم أصبح تتلقفه الشياطين (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ) فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ أي كالذي ذهبت به الغيلان ومرده الجن، وقد اعتسف المهمة تابعاً للجن لا يجيبهم ولاياتهم وهذا مبني على ما يقال إن الجن تستهوي الإنسان والغيلان عليه، فيكون ضحية الزلة الأولى للشيطان الذي استهواه؛ وهنا تحذير من الذلة الأولى إذ الحسنة تدعو إلى الحسنة والسيئة إلى السيئة. (٥)

(١) انظر: التحرير والتوير (٣٠٣/). و تفسير ابن كثير (١٣٠/٢). صفوة التفاسير (٣٩٨/١).

(٢) انظر: الحجة ص ٧٦.

(٣) انظر: تفسير روح المعاني (٧-١٨٩/٨).

(٤) انظر: معاني القراءات ص ١٥٧.

(٥) انظر: تفسير المراعي (١٦٥/٧). و تفسير النسفي (١٨/٢).

١٨ - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَسْرَأُ اتَّخَذُ أَصْنَامًا آلهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿ [الأنعام ٧٤] .

أولاً: القراءات :

١. قرأ يعقوب (آزَر) برفع الراء.

٢. قرأ الباقر (آزَر) بنصبها. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

آزَر: اسم أعجمي علم ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة الشخصية. (٢)

قال محمد بن إسحق آزر اسم لأبي إبراهيم وهو تارخ أيضاً مثل إسرائيل ويعقوب .

وقال سليمان التميمي^(٣) هو سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج، وقيل معناه الشيخ الهرم

بالفارسية. وقال مجاهد آزر اسم صنم فعلي. (٤)

وآزر بزنة آدم علم أعجمي لأبي إبراهيم عليه السلام وكان من قرية من سواد الكوفة، وهو بدل من

إبراهيم أو عطف بيان. (٥)

قال الجوهرى^(٦): "آزر اسم أعجمي وهو مشتق من آزر فلان فلاناً إذا عاونه فهو مؤازر قومه

على عبادة الأصنام". وقال ابن فارس^(٧) : إنه مشتق من القوة، وقيل: هو اسم والد إبراهيم

تارخ

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٥/٢).

(٢) انظر: البحر المحيط (٤/٥٥٩) .

(٣) سليمان التميمي: هو سليمان بن علي مُشَرَّف التميمي عالم الديار النجدية في عصره، ولد في العينية في اليمامة وكان عليه

اعتماد الحنابلة في المناسك، وله فتاوى تبلغ مجلداً ضخماً، وهو جدّ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابية. انظر معرفة

القراء الكبار (٣/١٣٠).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٣/١٥٨).

(٥) تفسير: القرطبي (٤/٢٤) .

(٦) الجوهري هو: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر أول من حاول الطيران ومات في سبيله، لغوي من الأئمة أشهر كتبه الصحاح، أصله من فارس، دخل العراق صغيراً وسافر إلى الحجاز، هومن فرسان الكلام، وممن أتاه الله قوة بصيرة، وحسن سريرة وسيرة، كان يؤثر السفر على الوطن، والغربة على السكن والمسكن ومات ثلاث وتسعين وثلاثمائة هـ. انظر أنباه الرواة على أنباه النحاة، تأليف: الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القطفي المتوفى سنة أربع وعشرين وستمائة هـ. (٢٢٩/١). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

(٧) ابن فارس هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي، أبو الحسين، كان إماماً في علوم شتى خصوصاً في اللغة فإنه أتقنها، وأبدع فيها فألف كتابه المتميز المجمل في اللغة، توفي رحمه الله في الري سنة تسعين وثلاثمائة. انظر شذرات الذهب (١٣٢/٣).

والذي في القرآن يدل على أنّ اسمه آزر، وقد تعقب في دعوى الاتفاق. وقال مقاتل^(١): آزر لقب وتاريخ اسم وقال سليمان التميمي: إنّ آزر سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج وقال الضحاك^(٢): معنى آزر الشيخ لهم بالفارسية. وقال الفراء^(٣): هي صفة ذم بلغتهم كأنه قال يا مخطئ. وقال مجاهد: هو اسم صنم وعلى هذا إطلاق اسم الصنم على أبيه إما للتعبير له لكونه معبوده، أو على حذف مضاف، أي قال لأبيه عابد آزر أو أتعبد آزر على حذف الفعل. (٤)

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

تتحدث الآية الكريمة عن الحوار الذي ذكر من أجل الإتيان بالحجج الدامغة الدالة على التوحيد وبطلان عبادة الأصنام، وكلها جاءت على التوحيد الخالص الذي يتنافى مع الإثراك بالله، ثم ذكر شرف الرسل من أبناء إبراهيم عليه السلام وأمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بالاقداء بهديهم الكريم؛ أي وانكر يا محمد لهؤلاء الكفار بعد أن أنكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع ولا ضرر وحققت لهم هدى الله تعالى، وقت قول إبراهيم عليه السلام للذين يدعون أنهم على ملته موبخاً لأبيه آزر على عبادة الأصنام فإن ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم. (٥)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة آزر بالرفع يعني آزر، على تقدير منادى يا آزر، وقراءة النصب وهو اسم أعجمي لا ينصرف فينصب، وفي موضع الخفض وقال مجاهد: آزر اسم صنم فعلي هذا يكون في محل النصب تقديره أتخذ آزر إلهاً أي (أصناماً آلهةً إنني أراك وقومك في ضلال مبين) أي في خطأ بين واضح. (٦)

(١) مقاتل هو: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، بالولاء من أعلام المفسرين أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، دخل بغداد وكان من المحدثين والقراء وله عدة مؤلفات منها كتاب القراءات، وتوفي بالبصرة سنة مائة وخمسين للهجرة. انظر: الفهرست للنديم.

- (٢) الضحاك هو: ابن سفيان بن عوف بن كعب الكلابي، أبو سعيد، شجاع، كان نازلاً بنجد، صحابي ولاء الرسول ﷺ على من أسلم هناك من قومه، وله شعر قيل استشهد في قتال أهل الردة من بني سليم. انظر الأعلام للزركلي (٢١٤/٣).
- (٣) الفراء هو: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الكوفي النحوي من أجل وأعظم أصحاب الكسائي، كان رأساً في النحو واللغة قيل لولاه لما كانت عربية، فهو الذي ضبطها وهذبها توفي سنة سبع ومائتين. انظر شذرات الذهب (١٩١/٢-٢٠).
- (٤) انظر فتح القدير (١٣٣/٢).
- (٥) انظر تفسير القرطبي (٢٤/٤).
- (٦) اللباب (٢٣٢/٨). المسمى اللباب في علوم الكتاب. تأليف الإمام المفسر أبي حفص عمر بن الخطاب علي بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى ثمانين وثمانمائة. تحقيق وتعليق. عادل الموجود وعلي معوض. دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. وحينما يأتي سأكتفي بقولي: اللباب.

* ومن قرأ بالضم جعله منادى مفرداً وتقديره يا أزرُ (أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً) استفهام

توبيخ واستهزاء. (١)

* قال القرطبي: "وقرئ أزرُ أي يا أزرُ، على النداء المفرد، وهو يقوي قول من يقول إن أزر اسم أب إبراهيم (أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً) مفعولان لتتخذ وهو استفهام فيه معنى الإنكار". (٢)

أفادت قراءة: (أزر) عطف بيان لأبيه أو بدل منه واختلف في وزنه فقيل فاعل (وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر) بالفتح إذا أزرَ بدلاً، من أبيه وقد قرئت رفعاً على النداء، كأنه قال يا أزرُ. (٣)

* قال د. وهبة الزحيلي: (لأبيه أزر) أزر: بدلاً مجرور من أبيه، كأنه اسم له، وهو ممنوع من الصرف للعجمية والتعريف. (٤)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الخطاب لأزر سواء كان هو الأب الحقيقي لإبراهيم عليه السلام أم هو المبدل من هذا الأب (أي يا عابد أزر) فالخطاب في كليهما فيه إنكار وتوبيخ لأبيه وقومه (إني أراك وقومك في ضلال مبين) وذلك من خلال السجود للأصنام وعبادة غير الله ﷻ أي اذكر يا رسول الله لهؤلاء الكفار، وقت قول إبراهيم عليه السلام للذين يدعون أنهم على ملته، موبخاً لأبيه أزر على عبادة الأصنام، فإن ذلك ينادي بفساد طريقتهم.

١٩ - ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ

بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ٨٠] .

أولاً: القراءات :

١. قرأ أهل المدينة وابن عامر ﴿أُتَحَاجُّونِي﴾ بتخفيف النون .

٢. وقرأ الباقر ﴿ أَتَحَاجُونِي ﴾ بالتشديد. (٥)

- (١) انظر: الفريد ص ١٧٤. المسمى الفريد في إعراب القرآن المجيد. تأليف حسين بن أبي العز المتوفى ثلاث وأربعين وستمائة، تحقيق د. فهمي حسن النمر ود. فؤاد علي مخيمر. الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: الفريد.
- (٢) انظر تفسير القرطبي (٢٥/٤).
- (٣) انظر: روح المعاني (٧-٨ / ١٩٤). وتفسير البغوي (١٥٨/٣).
- (٤) انظر: التفسير المنير (٧-٨ / ٢٦٠).
- (٥) النشر في القراءات العشر (١٩٥/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{حجّ}: احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب وحجَّ خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاحة، وسلك المحجَّة، وعليكم بالمناهج النيرة، والمحاج الواضحة. (١)

{ } :المجادلة والمغالبة في إقامة الحجة، والحجة تطلق على الدلالة المبينة للمقصد، وتارة على ما يدل به أحد الخصمين في إثبات دعواه أو رد دعوى الخصم، وبهذا تنقسم إلى حجة دامغة يثبت بها الحق، وحجة داحضة يموه بها الباطل، المحاجَّة أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته. (٢)

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

الآية الكريمة مشهد من مشاهد المناظرة بين إبراهيم عليه السلام في شأن التوحيد، حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد وناظروه بشبهه؛ حيث قال عليه السلام: (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ) وأنه لا إله إلا هو وقد بصرتني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف أتفتت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة، ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئاً وأنا لا أخافها ولا أباؤها فإن كان لها كيد فكيدوني بها ولا تنتظرون بل عاجلون بذلك قال تعالى: (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً) استثناء منقطع، أي لا يضر ولا ينفع إلا الله عز وجل (وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً) أي أحاط علمه بجميع الأشياء فلا يخفى عليه خافية أفلا تتذكرون. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (أتحاجوني) بنون واحدة خفيفة، وذلك لأن أصل الفعل "أتحاجوني" بنونين: الأولى

علامة رفع الفعل، والثانية نون الوقاية، وهي فاصلة بين الفعل والياء، وحذفت نون الوقاية استخفافاً لاجتماع المثليين^(٤)، ولم تحذف الأولى لأنها علامة الرفع فلو حذفت لاشتبه المرفوع بالمجزوم والمنصوب. (٥)

(١) أساس البلاغة ص ٧٤.

(٢) انظر: لسان العرب (٢/٢٢٦).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٣٦/٢. صفوة التفسير (٤٠٢/١). التحرير والتنوير (٣٢٧/٤).

(٤) المتماثلين هما: الحرفان اللذان اتحداً اسماً ورسماً ومخرجاً وصفة التاء مع التاء، والنون مع النون. بغية عباد الرحمان لتحقيق تجويد القرآن في رواية حفص بن سليمان من طريق الشاطبية تأليف محمد بن شحادة الغول. دار بن القيم للنشر والتوزيع ص ٢٨٥.

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٤/٢٩).

وأفادت قراءة ﴿أُتْحَاجُونِي﴾ بتشدد النون على الأصل (أتحاجونني) بنونين، أدغمت إحداهما في الأخرى وشدتت وهما لغتان. (١).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين تبين أنّ القراءتين كل منهما تأتي بمعنى جديد يتناسب وحال القوم؛ فقومه لما أنقلوا عليه بالمحاجة استنكر عليهم محاجتهم الشديدة عليه (بالتشديد) وهي كذلك تصور الحالة النفسية المثقلة بالحجة فقال: (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي) وهو قد شدد النون؛ والأصل (أتحاجونني) (بنونين) أدغمت إحداهما في الأخرى وشدتت لشدة تأثيرها على النفس من كثرة المجادلة والمحاجة، وأما من خفف فقد استنكر عليهم محاجتهم عليه القليلة (بالتخفيف) فنظراً لأن هذا يدينهم في المحاجة والمجادلة العقيمة فهو لم يكثر بهم فرد عليهم بالخفيفة وفي كلا القراءتين دليل على أنهم كانوا يستعملون أساليب متنوعة ووسائل متعددة في محاجته .

٢٠ - ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءِ إِنَّ رَبَّكَ

حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿ [الأنعام ٨٣].

أولاً: القراءات :

١. قرأ الكوفيون ﴿ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ ﴾ بالتثوين ووافقهم يعقوب على التثوين .
٢. قرأ الباقون ﴿ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ ﴾ بغير تثوين. (٢)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{درج} : الدرجة نحو المنزلة لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على

- (١) انظر: كتاب معاني القراءات ص ١٥٩. للشيخ العلامة أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة هـ. حققه وعلق عليه الشيخ أحمد فريد المزدي وقدم له د. فتحي حجازي. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٢) النشر في القراءات العشر (١٩٥/٢).

البيسط كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة، والدرجة المرقاة، وهي واحدة الدرجات، وهي الطبقات من المراتب، ودرجات الجنة: منازل أرفع من منازل. (١)

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

الآية الكريمة هي إشارة لما تقدم من الآيات الباهرات التي أيد الله بها خليفه ﷺ من الآيات الكونية التي أرشده الله ﷻ لتكون له بها الحجة الدامغة على قومه، ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ أي رتباً عظيمة عالية، من العلم، والحكمة وما تستدعيه المصلحة (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ) في كل ما فعل من رفع وخفض (عليم) بحال من يرفعه. (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

*أفادت قراءة عاصم وحمزة والكسائي: ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ بالتثوين جعلوا المرفوع هو الإنسان وحثهم في ذلك أن الله قد بين معنى هذا الكلام في غير موضع من القرآن، فجعل المرفوع هو الإنسان، وبين فضل من أحب أن يفضله بأن يرفعه فقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة ١١] وقال تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [النساء ٩٥] فجعلهم هم المرفوعين دون الدرجات ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ قرأ الكوفيون بالتثوين وقرأ الباقون بغير تثوين. وحجة من نون أنه أوقع الفعل على (من) لأنه المرفوع في الحقيقة ليست الدرجات هي المرفوعة في الحقيقة، ليست الدرجات هي المرفوعة والمقصود

إليها بالرفع، إنما المرفوع صاحبهما فهو ﴿تَلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ
اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة ٢٥٣]. (٣)

وأفادت قراءة الباقيين ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ بغير تنوين، أن الدرجات إذا رفعت فصاحبها
مرفوع إليها، وحجة من لم ينون أنه جعل الرفع للأعمال دون الإنسان، والذي يدل على هذا
قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ أي في العلم. لأن الدرجات إذا رفعت فصاحبها مرفوع إليها،
ودليله قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [غافر ١٥]
فأضاف الرفع إلى الدرجات، وهو لإله إلا هو الرفيع المتعال في شرفه وفضله (٤)

(١) انظر: لسان العرب (٢/٢٦٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/١٣٦). والتحرير والتنوير (٤/٣٣٥).

(٣) التماسب البياني في القرآن ص ٦٩.

(٤) انظر: حجة القراءات ص ٢٥٨.

*قال الطاهر بن عاشور في بيان إعراب درجات في قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ
نَشَاءُ﴾ [الأنعام ٨٣] حال من ضمير الرفع من آتينا أو مستأنفة لبيان أن مثل هذا الإتيان تفضيل
للمؤتى وتكرمة له، ورفع الدرجات تمثيل لتفضل الشأن، شبهت حال المفضل على غيره بحال
المرتقي في سلم إذا ارتفع من درجة إلى درجة، وفي جميعها رفع فالتفضيل يشبه الرفع،
والفضائل المتفاوتة تشبه الدرجات". (١)

*قال صاحب نظم الدرر: "ولما أشار إلى رفعته يعني إبراهيم عليه السلام بأنه بصّره بالحجة
حتى كان على بصيرة من أمره، وأنه علا على المخالفين برفع الدرجات، وأتبع ذلك ما دل
عليها وعلى حكمته بعلمه بالعواقب، فقال معلماً أنه جعله عزيزاً في الدنيا لأن أشرف الناس
الأنبياء والرسول، وهم من نسله وذريته". (٢)

ورفع الدرجات يعني المراتب والمنازل ورفعها إما بالعلم، أو بالرسالة، أو النبوة، أو بحسن
الخلق، أو بالإخلاص في العمل في الدنيا، أو بالثواب الجزيل والدرجات العالية يوم القيامة
وعلى هذا من رفعت درجاته رفع هو، ومن رفع هو إرتفعت درجاته.
وهذا ما يعرف بالتعبير الكنائى؛ إذ كُنِيَ عن رفعة الإنسان ذاته برفع درجته. (٣)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن كلا القراءتين تؤكد الأخرى وتوضح معناها فالعلاقة
تفسيرية في ثناياها بشرى لمن رفعت درجاته أو رفع هو فرَفَعَتْ هي رَفَعَةً لدرجاته؛ ورفعته

درجاته هي رفعة له في الجنة حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على أن ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الأخيار.

(١) التحرير والتوير (٤/ ٣٣٥).

(١) نظم الدرر (٢/ ٦٦٤).

(٢) انظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ص ١٤٦. د. أحمد سعد محمد. مكتبة الآداب. ٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة. الكتاب رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها (تخصص البلاغة والنقد الأدبي). الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م - الطبعة الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢١ - ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [١]

الأعام ٨٦].

أولاً: القراءات :

١. قرأ حمزة و الكسائي وخلف (الْيَسَعَ) بتشديد اللام وإسكان الياء .
٢. قرأ الباقر (الْيَسَعَ) بإسكان اللام مخففة وفتح الياء. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{وَالْيَسَعَ}: هو اسم أعجمي، والألف واللام زائدتان، وليستا للتعريف ولا اشتقاق له. ويقال إنه يوشع بن نون وقيل إنه منقول من مضارع وسع، واللام زيادة كما في اليزيد. (٢)

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

(وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا) إسماعيل هو ابن إبراهيم ، ولوط هو ابن أخ إبراهيم (وَكُلًّا فَضَّلْنَا) بعضهم على بعض بالنبوة (عَلَى الْعَالَمِينَ) وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق، وقد ذكر الله تعالى أربعة عشر نبياً، لم يرتبهم حسب تاريخهم؛ لأنه تعالى أنزل كتابه هدى وموعظة، لالسررد أخبار التاريخ والأحداث. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة حمزة، والكسائي وخلف العاشر واليسع في السورتين (الأنعام، ويونس) بلام مشددة مفتوحة وبعدها، ياء ساكنة، على أن أصله (ليسع) على وزن (فيعل) وهو اسم أعجمي علم على نبي من الأنبياء عليهم السلام، وهو معرفة بدون اللام، فقدر تنكيهه لأن الأعلام لا يصح دخول الألف واللام للتعريف عليها ثم أدغمت اللام في اللام، وقلنا بتقدير تنكيهه؛ إذ يتعرف الاسم من وجهين، وقيل: إن الألف واللام زائدتان وليستا للتعريف. وأفادت قراءة الباقيين (واليسع) بلام ساكنة، خفيفة، وبعدها ياء مفتوحة، على أن أصله (يسع)، على وزن يضع ثم دخلت عليه الألف واللام كما دخلت على يزيد كما في قول ابن ميادة:

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٥/٢).

(٢) تفسير: أبي السعود (٢٤٤/٢). وتفسير النسفي (٢١/٢).

(٣) انظر: المقتطف (١٤٠/٢).

(الرماح ابن أبرد ابن ثوبان) يمدح (الوليد بن يزيد).

رأيت الوليد بن يزيد مباركاً شديداً بأعباء الخلافة كاهله. (١)

قال النحويون: دخول الألف واللام على يزيد يحتمل أمرين :

- الأول: أن تكون للتعريف ويكون ذلك على تقدير أن الشاعر قبل أن يدخل آل

قدر في يزيد التنكير فصار شائعاً شيوع رجل ونحوه من النكرات .

- الثاني: أن تكون آل زيدت فيه للضرورة. (٢)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين لم أفق على علاقة تفسيرية بينهما فهما لغتان من لغات

العرب بمعنى واحد. ويقال الليسع واليسع بتشديد اللام وتخفيفها بمعنى واحد. (٣)

٢٢ - ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ

أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا

وَتَخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ

يَلْعَبُونَ ﴿ [الأنعام ٩١] .

أولاً: القراءات :

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ يَجْعَلُونَهُ ﴾ بالغيب .

٢. قرأ الباقر ﴿ تَجْعَلُونَهُ ﴾ بالخطاب. (٤)

-
- (١) انظر: مغني اللبيب ص ٧٧. وشرح شواهد ص ٦٥. والرواية فيهما بأعباء الخلافة.
(٢) انظر: الدر المصون (١١٦/٣). المسمى الدر المصون في الكتاب المكنون. تأليف الإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف ابن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمن الحلي. تحقيق وتعليق جماعة. وقدم له وقرظه د. أحمد محمد صيرة. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: الدر المصون. وانظر اللباب (٢٦٦/٨). و القراءات وأثرها في علوم العربية (٣١٥/١-٣١٦).
(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج. (٢٦٩/٢). وبلاغة الكلمة والجملة والجمل ص ٣٧.
(٤) النشر في القراءات العشر (١٩٥/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{جعل}: لفظٌ عام في الأفعال كلها وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها ويتصرف على

خمس أوجه: الأول : يجرى مجرى صار وطفق ولا يتعدى .

والثاني : يجري مجرى أوجد فيتعدى إلى مفعول واحد .

والثالث : في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه ويتعدى إلى مفعولين .

الرابع : في تصيير الشيء على حالة دون حالة .

الخامس : الحكم بالشيء على الشيء حقاً كان أو باطلاً. (١)

سبب نزول الآية:

عن سعيد بن جبیر أن (مالك بن الصيغ) من اليهود جاء يخاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض العبر السمين؟^(٢) وكان هو حبراً سميناً فغضب وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من الشيء.^(٣) فأنزل الله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقًّا

قَدَرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ... الآية).^(٤) قال ابن عباس: أي قراطيس مقطعة تبدون منها ما تحبون وتخفون كثيراً من نعت محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة.

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

الآية الكريمة تتحدث عن طبيعة هؤلاء المنكرين الذين ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه؛ حينما ينكرون الوحي وبعثة الرسل، وهذه مبالغة في إنكار نزول القرآن على النبي ﷺ أي قل يا محمد لهؤلاء المعاندين من إنزال التوراة على موسى نوراً يستضاء به، ويهتدى بها من ظلام الشبهات، ثم تجعلون جملتها قراطيس أي: قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتحرفون منها ما تحرفون وتبدلون وتتأولون وتقولون هذا من عند الله أي في كتابه المنزل وما هو من عند الله ولهذا قال (تَجْعَلُونَهُ قَرَاتِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً) فمن أنزل

(١) انظر: معجم مفردات القرآن ص ٩٢

(٢) الحبر: العالم وجمعه أحبار لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحسنة المقتدى بها. انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٠٤

(٣) انظر: صحيح مسلم . كتاب الحدود . باب رجم اليهود أهل الذمة بالزنى. حديث رقم ٤٣٣١ ص ٨٥٥.

(٤) انظر: تفسير البغوي (١٦٦/٣). تخريج الحديث: انظر: صحيح مسلم (٣/١٣٢٧) حديث رقم ١٧٠٠.

القرآن الذي علمكم الله فيه من خير ما سبق، ونبأ ما يأتي (وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ)

ثم (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) وفي الآية تهديد ووعد على إجرامهم، أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين فسوف يعلمون أن لهم العاقبة أم لعباد الله المنقين. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (تَجْعَلُونَهُ) بقاء الخطاب أن يكون كله لليهود ويكون معنى وعلمتم ما لم تعلموا أي وعلمتم ما لم تكونوا تعلمونه أنتم ولا آبائكم على وجه المن عليهم بإنزال التوراة وجعلت التوراة صحفاً فلذلك قال قراطيس تبديونها أي تبدون القراطيس وهذا لهم يعني لليهود. (٢)

وقيل الخطاب للعرب، وقيل الخطاب لمن آمن من اليهود، وقيل لمن آمن من قريش، وهذا ما يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس٦] فيكون الخطاب بطريقة

الالتفات من طريق الغيبة الذي هو مقتضى المقام إلى طريق الخطاب تعريضاً باليهود وإسماً لهم وإن لم يكونوا حاضرين (٣).

أفادت قراءة (بِجْعَلُونَهُ) بياء المضارعة للغائب، ويكون الخطاب عن المشركين؛ ومعنى كونهم يجعلون كتاب موسى قراطيس يبدون بعضها ويخفون بعضها أنهم سألوا اليهود عن نبوءة محمد ﷺ فقرأوا لهم ما في التوراة من التمسك بالسبب أي دين اليهود، وكنتموا ذكر الرسول ﷺ الذي يأتي من بعد، فأسند الإخفاء والإبداء إلى المشركين مجازاً؛ لأنهم كانوا مظهراً من مظاهر ذلك الإخفاء والإبداء، ولعل ذلك صدر من اليهود وهم يهود أهل الزمان الذين عرفوا بذلك بعد أن دخل الإسلام المدينة وأسلم من أسلم من الأوس والخزرج.

*قال الطاهر ابن عاشور: "من قرأ (تجعلونه - وتبدون - وتخفون) بقاء الخطاب إما أن يكون الخطاب لغير المشركين إذ الظاهر ليس لهم عمل في الكتاب الذي أنزل على موسى ولا بأشروا إبداء بعضه وإخفاء بعضه فتعين أن يكون الخطاب بطريقة الالتفات من طريق الغيبة الذي هو مقتضى المقام إلى طريق الخطاب تعريضاً باليهود وإسماً لهم وإن لم يكونوا حاضرين وأما من قرأ (تجعلونه = تبدونها = وتخفون) ذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؛ حيث إنَّ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٣٩/٢).

(٢) انظر: صفوة التفاسير (٤٠٤/١).

(٣) انظر: الكشف (٤٤٠/١). المسمى الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. تأليف أبي مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق د. محيي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة الخامسة. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: انظر الكشف. وتفسير القرطبي (٣٤/٤).

صدر الآية (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ... الخ) حيث السياق يقتضى الغيبة لكنه التفت إلى الخطاب اهتماماً بشأن المخاطبين". (١)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما تكامل واستمرارية في نفس المنهج لمن لم يقدروا الله حق قدره فهم يجعلونه على صيغة الغيبة وأنتم كذلك تجعلونه على صيغة الخطاب، ويظهر هنا كذلك تكاملاً في بيان الحكمة الجليلة ممن حملوا الرسالات السماوية؛ وتكلفوا تبليغها فعليهم أن يبلغوها كاملة تامة من غير تحريف أو إخفاء بعض أو إظهار بعض وهذا ما فعله اليهود حينما جعلوه قراطيس وورقات ليتمكنوا مما راموا إليه وهذا ما يؤيده قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة ٨٥] وفي جميع القراءات خطاب

لجميع أصحاب الشرائع السماوية للالتزام بتبليغها كاملة من غير تبديل ولا تعطيل كما وإن هناك تهديداً ووعيداً لمن يسلك هذا النهج بالتلاعب بكتاب الله، وبتعاليم الشرائع السماوية في إيداء بعض أخبارها وأحكامها، وإخفاء بعضها الآخر وهذا ناتج عن الهوى واتباع الشهوات وتحقيق المصالح والرغبات.

٢٣ - ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام ٩٢].

أولاً: القراءات :

١. قرأ أبو بكر ﴿وَلِيُنذِرَ﴾ بالغيب .
٢. قرأ الباقر ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ بالخطاب. (٢)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{نذر}: كلمة تدل على تخويف أو تخوُّف منه، الإنذار: الإبلاغ ولا يكاد يكون إلا من التخويف وتتاذروا: خوف بعضهم بعضاً. ومنه النذر، وهو أنه يخاف إذا أخلف. قال ثعلب: نذرتُ بهم

(١) التحرير والتنوير (٣٦٥/٤).

(٢) النشر في القراءات العشر (١٩٥/٢).

فاستعددت لهم وحذرت منهم، والنذير: المنذر، والجمع النذر. (١)

(وليُنذِر) أي لتنذر به يا محمد أهل مكة ومن حولها وهم سائر أهل الأرض. (٢)

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة مازال السياق يتحدث عن العادلين بربهم أصنامهم وأوثانهم فقد أنكر تعالى عليهم إنكارهم للوحي وتكذيبهم بالقرآن ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ﴾ لهذا حدد الله مهمة القرآن؛ وهذا كتاب أنزلناه يهدي إلى الحق وإلى سواء السبيل ، كما أنزلنا من قبله التوراة على موسى، وقد جعلناه كثير البركة والخير، لا ينتهي خيره ولا يقل نفعه، مصداقاً لما

تقدمه من الكتب كالتوراة والإنجيل، ومهيماً عليها، أنزلناه ليؤمنوا به ﴿وَلْتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي أهلها

ومن حولها من المدن والقرى القريبة والبعيدة ولتنذرهم عاقبة الكفر والضلال فإنها الخسران التام والهلاك المبين، وقد ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: (أعطيت خمساً لم يعط من أحد من الأنبياء قبلي...) (٣). وذكر منهم (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة). ثم يخبر بأن الذين يؤمنون بالآخرة أي: بالحياة الآخرة يؤمنون بهذا القرآن وهم على صلاتهم يحافظون، وذلك مصداق إيمانهم وثمرته التي يجنيها المؤمنون الصادقون. (٤)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (ولتنذر) بالتاء - النقط من فوقه - على الخطاب لرسول الله ﷺ لأنه هو المنذر في الحقيقة، ويعضده ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ [الأنبياء ٤٥] و﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ خَشَاهَا﴾ [الرعد ٧].

وأفادت قراءة (ولينذر) بالياء بالنقط من على أن المنذر هو الكتاب، والذي جوز ذلك كون الإنذار فيه كقولهم: نهارك صائم، وليلك قائم وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يخوفهم به في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء ٤٥] وإذا كان كذلك فلا شبهة

(١) معجم المقاييس في اللغة (٤١٤/٥).

(٢) انظر: صفوة التفسير (٤٠٥/١).

(٣) ثبت في الصحيحين عن جابر قال: قال ﷺ (أعطيت خمساً لم يعط من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للناس كافة). أخرجه الإمام أحمد في مسنده. مسند ابن عباس حديث رقم ٢٢٥٦. ص ١٩٥. انظر تفسير ابن كثير (٤٤٩/٢).

(٤) انظر: التفسير المنير (٧-٨/ ٢٩٢).

في جواز إسناد الإنذار إليه. (١)

* قال الطبرسي: "من قرأ بالتاء يؤيد قراءة قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ [الأنبياء ٤٥] (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ خَشَاهَا) [الرعد ٧]؛ ومن قرأ بالياء جعل المنذر هو الكتاب ويؤيده قوله: ﴿وَلْيُنذِرُوا بِهِ﴾ و﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ فلا يمتنع إسناد الإنذار إليه على وجه التوسع. (٢) وقوله (ولتنذر) عطف على محذوف دل عليه نعت الكتاب، كأنه قيل: أنزلناه للبركات وتصديق ماتقدمه من الكتب والإنذار". (٣)

*قال الزمخشري" (ولتُنذِر) معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب، كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار، قرىء بالياء والتاء". (٤)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن كلا منهما تفسر الأخرى بل وتكمل المعنى والمهمة التي جاء بها، ومن أجلها الرسل، فالنبي هو المنذر بصيغة الخطاب (ولتُنذِر)، والقرآن هو الدستور ومنهج الإنذار بصيغة الغيبة (وليتنذر) وفي بيان مثل هذا المعنى قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) [الأحزاب:٥٤] فالنبي من خلال هذا الكتاب الذي جاء بالحق والبركة والخير الذي لا ينقطع والذي حمل في طياته معالم التبشير والإنذار استطاع أن ينذر فالنبي هو المنذر والكتاب هو المنذره لقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [الإسراء ٩].

٢٤ - ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ . [الأنعام ٩٤].

-
- (١) انظر: أيسر التفاسير (٩٠/٢). وصفوة التفاسير(٤٠٥/١). وتفسير ابن كثير (١٤٠/٢).
(٢) مجمع البيان (١٠٤/٤).
(٣) الكشاف (١٠٨/٢). المسمى الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تأليف. أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، شرحه وضبطه وراجعه. يوسف الحمادي مكتبة مصر وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: الكشاف.
انظر الفريد (١٩٠/٢-١٩١).
(٤) الكشاف (١٠٩/٢) .

أولاً: القراءات :

١. قرأ المدنيان والكسائي وحفص ﴿تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بنصب النون .
٢. قرأ الباقرن ﴿تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ برفعها . (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{قطع}: القطع فصل الشيء مدركاً بالبصر كالأجسام أو مدركاً بالبصيرة كالأشياء المعقولة ومن ذلك قطع الأعضاء. (٢)

{بين}: البين في كلام العرب جاء على وجهين: البين بمعنى الاجتماع، وبمعنى الافتراق. (٣)

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

تحدثنا الآية الكريمة عما هو كائن يوم القيامة لهؤلاء العادلين به الآلهة والأنداد، يخبر عباده أنه

قائل لهم عند ورودهم عليه: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتَكُمْ) حفاة عراة، كما ولدتكم أمهاتكم، لاشيء عليكم ولا شيء معكم كما كنتم تتباهون في الدنيا قالت السيدة عائشة حينما تلت هذه الآية واسوأناه إن الرجال والنساء يحشرون جميعاً! فقال ﷺ (لعل أمرى منهم يومئذ شأن يغنيه، لا ينظر الرجال إلى النساء ولا ينظر النساء إلى الرجال شغل بعضهم من بعض) (٤)، بل تركتم وخلفتكم أيها القوم ما مكانكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به فيها خلفكم في الدنيا فلم تحملوه معكم وهذا تقريع وتوبيخ من الله ﷻ قال ﷺ (يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيته أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمصيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس) (٥) وقال الحسن البصري: (يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذخ) (٦) فيقول الله ﷻ أين ما جمعت؟ فيقول يارب جمعته وتركته أوفر ما كان، فيقول له يا ابن آدم أين ما خدمت لنفسك؟ فلا يراه قدم شيئاً وتلا) (٧) هذه الآية (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوْلَّ

(١) النشر في القراءات العشر (٢١٩/٥) .

(٢) معجم مفردات الفاظ القرآن ص ٤٢٣ .

(٣) انظر: لسان العرب ٦٢/١٣ مادة بين .

(٤) سنن الترمذي - تفسير القرآن حديث رقم ٣٦٥٢ . وفي مسند الإمام أحمد حديث رقم ٢٥٣٢٥ .

(٥) مسند الإمام أحمد . حديث مطرف بن عبد الله . حديث رقم ١٦٧٦٠ . أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٤٠/٢) قائلاً ثبت في الصحيح (يقول ابن آدم مالي مالي) .

(٦) بذخ: أي الحمل الضعيف من ولد الضأن .

(٧) انظر: سنن الترمذي - صفة القيامة - حديث رقم ٢٦١٤ .

مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) وهذا تعبير وتأنيب على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان ظانين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم، إن كان ثم معاد فإذا كان يوم القيامة تقطعت بهم الأسباب، وانزاح الضلال وضل عنهم ما كانوا يفترون. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) بأن وقع التقطع بينكم، كما تقول: جمع بين الشيئين تريد: أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل، ومن رفع فقد أسند إلى ظرف. (٢)

كما تقول : قوتل خلفكم وأمامكم وفي قراءة عبد الله : لقد تقطع ما بينكم. وحجة من رفع أنه جعل (البين) اسماً غير ظرف، فأسند الفعل إليه، فرفعه به. ويقوي جعل (بين) اسماً دخول حرف الجر عليه في قوله: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت هـ] وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف ٧٨] ولا يحسن أن يكون مصدرًا، وترفعه بالفعل، لأنه يصير المعنى، لقد تقطع افتراقكم، وإذا انقطع افتراقهم لم يفترقوا، فيحول المعنى وينقلب المراد، وإنما تم على أنهم تفرقوا، وأصل (بين) أن تبين عن الإفتراق، وقد استعملت في هذا الموضع وغيره، إذا ارتفعت بمعنى الوصل والمعنى لقد تقطع وصلكم، وإذا تقطع وصلهم افترقوا وهو المعنى المقصود إليه، وإنما استعملت بصد ما بنيت عليه، بمعنى الوصل، وتقول بيني وبينه شركة، بيني وبينه رحم وصدقة، فلما استعملت في هذه المواضع بمعنى الوصل جاز استعمالها في الآية كذلك. (٣)

وأفادت قراءة (تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) بالنصب هو تقطع وصلكم بينكم؛ وحجة من نصب أنه جعله ظرفاً، والتقدير قد تقطع وصلكم بينكم، ودل على حذف القول قوله تعالى: (وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ) فدل هذا التقاطع والتهاجر بينهم وبين شركائهم، إذ تبرؤوا منهم ولم يكونوا معهم، وتقاطعهم لهم هو ترك وصلهم لهم، فحسن إضمار الوصل بعد (التقطع) وهو ما كأنه قال: لقد تقطع الوصل بينكم، والبين هنا الوصل وهو من الأضداد، وفي قراءة ابن مسعود (لقد تَقَطَّعَ مَا بَيْنَكُمْ) وهذه تعضد قراءة النصب. (٤)

والقراءة بالنصب كالقراءة بالرفع على أن (بين) اسم لما كثر استعماله على أنه ظرف منصوب

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٨٤). وتفسير ابن كثير (٢/ ١٤٠).

(٢) انظر: الكشف (١/ ٤٤١).

(٣) تفسير الكشاف (٢/ ١١١).

(٤) انظر: الفريد (٢/ ١٩٥).

جرى إعرابه على الفتح، وهو موضع الرفع وهو مذهب الأخفش. (١) فقال ﴿بَيْنِكَ﴾ بالرفع فأسند القطع المبالغ فيه إلى البين، وإذا انقطع البين تقطع ما كان فيهم من الأسباب التي كانت تسبب الإتصال، ولم يبق لأحد منهم من الإتصال بالآخر. ولما كان (بَيْنَكُمْ) بالنصب على

الظرفية، ورجع المعنى إلى تقطع الوصل، بين سبب ذلك، وهو زوال المستند الذي كانوا يستندون إليه. (٢)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن كلتا القراءتين تزيد المعنى تأكيداً في تقطيع جميع الأواصر بينهم؛ وهو دلالة على التقطع والهجران، أي لقد تقطع وصلكم، ووقع التقطع بينكم (وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ) أي ذهب زعمكم أنها تشفع لكم، ومعنى الآية في كلا القراءتين أبلغ وأوقع في الحيرة والدهشة، وزيادة في تقطيع الأواصر، وحقيقة الأمر فلا اتصال ولا تواصل بينهم فالعلاقات مقطعة والأواصر ممزقة فيما بينهم يوم القيامة؛ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

٢٥ - ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ

الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام ٩٦].

أولاً: القراءات :

قرأ الكوفيون ﴿ وَجَعَلَ ﴾ بفتح العين واللام من غير ألف وبنصب اللام من ﴿ اللَّيْلِ ﴾ .
وقرأ الباكون ﴿ وَجَاعِلُ ﴾ بالألف وكسر العين ورفع اللام، وخفض ﴿ اللَّيْلِ ﴾ . (٣)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(١) الأخفش: هو الكبير شيخ العربية أبو الخطاب البصري، يقال اسمه عبد الحميد ابن عبد الحميد تخرج به سيبويه وحمل عنه النحو، ولولا سيبويه لما اشتهر أخذ عنه عيسى بن عمر النحوي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما. انظر سير لأعلام النبلاء (٢) انظر نظم الدرر (٦٧٦/٢). المسمى نظم الدر في تناسب الآيات والسور. للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر القاعي المتوفى خمس وثمانين وثمان مائة هـ. خرج آياته وأحاديثه. عبد الرزاق المهدي. دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: نظم الدرر.
(٣) النشر في القراءات العشر (١٩٦/٢).

{جَعَلَ}: أنشأ وأبدع. (١)

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

تحدث الآية الكريمة عن معجزة من معجزات الله ﷻ في الخلق فكيف ننصرف عنه ﷻ وهو شاقّ الضياء من وسط الظلام، فيشق عمود الصبح وسط ظلمة الليل وسواده.

قال ابن كثير: "كما قال تعالى: في أول السورة وجعل الظلمات والنور أي فهو ﷻ يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضيء الوجود ويستتير الأفق ويضمحل الظلام ويذهب الليل ويبدد ظلام رواقه ويجيء النهار بضيائه وإشراقه كقوله تعالى: (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف ٥٤] فبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه فذكر

أنه فالق الإصباح وقابل ذلك بقوله وجعل الليل سكناً أي ساجياً لتسكن فيه الأشياء". (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكْنًا) بغير ألف، ونصب الليل حملاً على معنى (فالق) لأنه بمعنى فلق، لأنه أمرٌ قد كان فحمل على المعنى، وأيضاً فإن بعده أفعالاً ماضية وهو قوله تعالى: (وَجَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ) و(وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) فحمل أول الكلام على آخره، يقوى ذلك إجماعهم على نصب الشمس والقمر على إضمار فعل، ولم يحملوه على فاعل فيخفضوه، قاله مكي -رحمه الله - (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكْنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) بالخفض عطفاً على اللفظ .

وأفادت قراءة يعقوب (وَجَاعَلَ اللَّيْلَ سَكْنًا) وأهل المدينة (وَجَاعَلَ اللَّيْلَ سَكْنًا) أي: محلاً للسكون وفي الموطأ عن يحيى بن سعيد، أنه بلغه أن رسول الله ﷻ كان يدعو فيقول (اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل والشمس والقمر حسباناً اقض بحني الدين وأحنني من الفقر وأمتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك). (٣)

(١) سبق التعرض لها ص ١٠٥. انظر: كلمات القرآن ص ٧٢. المسمى كلمات القرآن تفسير وبيان للشيخ .حسنين محمد مخلوف دار القلم -بيروت. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: كلمات القرآن .وللمزيد من المعلومات انظر ص ١٠٤.

(٢) تفسير ابن كثير (١٤١/٢).

(٣) انظر: موطأ مالك .باب ما جاء في الدعاء.(٢٤٢/١). حديث رقم ٦١٥. والحديث من البلاغات واختلف العلماء في الحكم عليه.

فإن قيل: كيف قال وأمتعني بسمعي وبصري؟ واجعله الوارث مني وذلك يفنى مع البدن، قيل له في الكلام تجوز والمعنى اللهم لا تعدمه قبل، والمراد بهما الجارحتان ومعنى حسبنا أي بحساب يتعلق به مصالح العباد. (١)

* قال صاحب اللباب في بيان قوله تعالى: (وَجَعَلَ اللَّيْلَ قَرَأَ الكُوفِيُونَ: (وَجَعَلَ) فعلاً ماضياً، والباقون بصيغة اسم الفاعل والرسم يحتملها (اللَّيْلَ) منصوب عند الكوفيين بمقتضى قراءتهم، ومجرور عند قراءتهم له فعلاً مناسبة ما بعده أفعالاً ماضية نحو (وَجَعَلَ لَكُمْ) (وهو الذي أنشأ) إلى آخر الآيات ويكون سكناً، إما مفعولاً ثانياً على أن الجعل بمعنى التصيير، وإما حالاً بمعنى الخلق، وتكون الحال مقدرة، وأما قراءة غيرهم (فجاعل) يحتمل أن يكون بمعنى الماضي، ويؤيده قراءة الكوفيين، والماضي عند البصريين لا يعمل إلا مع (ال) خلافاً في منع إعمال المعرف بها. (٢)

* إن المتأمل في استعمال القرآن الكريم لبنية الكلمة القرآنية يجدها في غاية الدقة والجمال، فهو يستعمل الفعل للتجدد والحدوث، كما ويستعمل الاسم ليدل على الثبوت والاستقرار. (٣)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن القراءتين تضيفان معاني جديدة في استقرار وثبات سنن الله في الكون (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) فاستعمل الفعل الماضي جَعَلَ مع الحيوية والتجدد والحركة الدائمة، فهو جعل في الماضي والحاضر وسيجعل في المستقبل وما زال يجعل إلى أن يرث الأرض ومن عليها في حين أن قراءة جاعل تناسب السياق (فالق، مخرج، جاعل) والاسم يدل على الثبات والاستقرار فهو جاعل في الماضي والحاضر وسيجعل في المستقبل على سبيل اللزوم والثبات والاستقرار وبهذا وذلك نجد أن جَعَلَ بمعنى جاعل كما أن فلق بمعنى فالق، والله أعلى وأعلم.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٤/٤٣). وتفسير البيضاوي ص ١٨٥. المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل. الإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله الشيرازي البيضاوي دار الفكر. الطبعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير البيضاوي.

(٢) انظر: اللباب (٨ / ٣٠٨).

(٣) انظر بلاغة الكلمة ص ٢٣.

٢٦ - ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ﴾ [الأنعام ٩٨].

أولاً: القراءات :

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ بكسر القاف.

٢. قرأ الباقر ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ بفتحها. (١)

وانفقوا على فتح الدال من ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ لأن المعنى أن الله استودعه فهو مفعول .

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{قر}: قرَّ في مكانه يقر قراراً إذا ثبت ثبوتاً جامداً، وأصله من القر وهو البرد ويقتضي السكون، والحر ويقتضي الحركة، وجملة الأمر أن كل حال ينقل عنها الإنسان فليس بالمستقر التام والإقرار إثبات الشيء، ويضاد الإقرار الإنكار؛ فمستقر في الأصلاب، وقيل في الأرحام، ونحوها. (٢)

{ومستودع}: المستودع في الأرحام ونحوها وقيل في الأصلاب، المستودع المكان الذي تجعل فيه الوديعة. (٣)

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

(هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يعني آدم ﷺ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف ١٨٩] وقوله فمستقر ومستودع اختلفوا في معنى ذلك فعن ابن مسعود وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهم فمستقر أي في الأرحام وأكثرهم مستودع أي في الأصلاب، وعن ابن مسعود وطائفة فمستقر في الدنيا ومستودع حيث يموت وقال سعيد بن جبيرة فمستقر في الأرحام وعلى ظهر الأرض وحيث يموت وقال الحسن البصري المستقر الذي قد مات فاستقر به عمله، وعن ابن مسعود ومستودع في الدار الآخرة والقول الأول أظهر والله أعلم والذي تميل إليه الباحثة. (٤)

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٦/٢).

(٢) انظر: معجم مفردات القرآن ص ٤١٢.

(٣) انظر: لسان العرب ٣٨٦/٨. مادة ودع.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٢/٢). وتفسير القرطبي (٤٤/٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ بكسر القاف، والتقدير فيمن كسر القاف فمنها مستقر .

وأفادت قراءة ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ والفتح بمعنى لها مستقر، قال عبد الله بن مسعود فلها مستقر في الرحم ومستودع في الأرض التي تموت فيها وهذا التفسير يدل على الفتح؛ وقال الحسن (فمستقر) في القبر وأكثر أهل التفسير يقولون المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب رواه سعيد بن جبير، وعن ابن عباس أيضاً (مستقر) في الأرض و(مستودع) في الأصلاب.

وروي عن ابن عباس أيضاً أن المستقر مَنْ خُلِقَ والمستودع مَنْ لَمْ يُخْلَقْ. (١)

*قال مكي بن أبي طالب : (فَمُسْتَقَرٌّ) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف جعلاه اسماً غير ظرف على معنى، فمستقر في الأرحام، بمعنى قرّ في الأرحام، لأن (قرّ واستقر) بمعنى لا يتعديان، ورفع بالابتداء والخبر محذوف، أي فمنكم مستقر، أي فمنكم قارّ في الأرحام، أي بعضكم قارّ في الأرحام، وبعضكم مستودع في الأصلاب وقيل في القبور وهذا المستودع وفي قراءة من كسر القاف: هو الإنسان بعينه فتعطف اسماً على اسم، ومن قرأ بفتح القاف، جعلوه اسم مكان، ورفع أيضاً بالابتداء، والخبر محذوف كالأول، والتقدير: فلکم مستقر، أي مقر، أي مكان تقرون فيه، وتسكنون فيه، ويكون (مستودع) أيضاً اسم مكان وعلى معنى؛ فلکم استقرار مكان استيداع (فمستقر) في قراءة من فتح القاف، ليس هو الإنسان، إنما هو اسم لمكان الإنسان والمعنى؛ فلکم مستقر في الأرحام ومستودع في الأصلاب، على معنى استقرار ومكان استيداع فتعطف مكاناً على مكان وهو الاختيار لأن أكثر القراء عليه. (٢)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ المعانى تزداد تأكيداً واستقراراً في النفس فهو إما بكسر القاف فهو (مستقر) في، وهو اسم فاعل، يعني الإنسان بعينه مستقرّ فيه، ومن قرأ بفتح القاف (مستقر)، فقد جعلوه اسم مكان وهو اسم مفعول يعني الأرحام هي له مستقرّ، والظاهر أن ابن آدم هو مستودع في ظهر أبيه، وليس بمستقر فيه؛ لأنه ينتقل لا محالة منه ثم ينتقل إلى الرحم، ثم ينتقل منه إلى الدنيا، ثم ينتقل منها إلى القبر، ثم ينتقل منه إلى الحشر، ثم ينتقل منه إلى الجنة أو النار، وهو في كل رتبة بين هذين الطرفين مستقر بالإضافة إلى التي قبلها ومستودع

(١) تفسير النسفي (٢٥/٢).

(٢) الكشف عن وجوه القراءات (٤٤٢/١).

بالإضافة إلى التي بعدها، فعلى هذا فالقراءتان تؤكد كل منهما الأخرى وتزيد المعنى وضوحاً فهو إما مستقر في أو مستقر فيه.

٢٧ - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نَخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام ٩٩].

أولاً: القراءات :

١. قرأ حمزة و الكسائي وخلف ﴿إِلَى ثَمْرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ بضم الثاء والميم.

٢. قرأ الباقون ﴿ثَمْرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ بفتحها. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{ثمر} : الثمر اسم لكل ما يتطعم من أحمال الشجر، الواحدة ثمرة والجمع ثمار وثمرات. (٢)
والثمر: قيل هو الثمار، وقيل هو جمعه ويكنى به من المال المستفاد وثمر الله ماله، ويقال لكل نفع يصدر عن شيء ثمرة العلم العمل الصالح، وثمره العمل الصالح الجنة، وثمره السوط عقدة أطرافها تشبيهاً بالثمر في الهيئة والتدلي عنه: الثمر عن الشجر، والثميرة من اللبن ما تحبب من الزبد تشبيهاً بالثمر في الهيئة وفي التحصيل عن اللبن. (٣)

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٦/٢).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٩٢.

(٣) انظر: الحجة للقراء (١٤٣/٥).

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

تتحدث الآية الكريمة عن إخلاص العبودية لله ﷻ الذي أنزل من السماء ماء، فأخرج به نبات من جميع الأصناف ففكروا في قدرة خالقها من العدم إلى الوجود، بعد أن كانت حطباً، صارت عنباً ورطباً، وغير ذلك من الألوان والأشكال والطعوم والروائح.

قال الطبري: "أي أخرجنا به ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويصلح." فأخرج منه الحب المترابك بعضه فوق بعض كسنابل القمح والشعير، وأخرج منه طلع النخيل، وعناقيد العنب، أي أخرج من هذا الماء البساتين والحدائق وأعناب وزيتون ورمان. فقال (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) أي انظروا نظرة استبصار واعتبار إلى ثمر ما ذكر إذا أخرج ثمره، وكيف يخرج ضئيلاً لا يكاد ينتفع به، وإلى ينعه ونضجه، وكيف أنه يصير ضخماً ذا نفع عظيم، ولذة كاملة، ثم وازنوا بين صفاته في كل من الحالتين يستبين لكم لطف الله وتدبيره وحكمته في تقديره، وغير ذلك مما يدل على توحيده فهو الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا ولد". (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة إلى (ثمره) بفتح الثاء والميم، وهو اسم جنس كشجرة وشجر والثمر حتى الشجر وما يطلع وإن سمي ثمرًا فمجازاً وقرأه بعض قراء أهل مكة. فمن فتح الثاء والميم من ذلك وجه معنى انظروا إلى ثمر هذه الأشجار التي سمينا من النخل والأعناب والزيتون والرمان إذا أثمر وأن الثمر جمع ثمرة كما القصب جمع قصب والخشب جمع خشبة.

وأفادت قراءة الكوفيين إلى (ثمره) فمن ضم الثاء والميم وجه ذلك إلى أنه جمع ثمار كما الحمر جمع حمار والجرب جمع جراب وعن مجاهد أنه كان يقرأ إلى ثمره يقول هو أصناف المال وقال الثمر هو المال والثمر ثمر النخل. الثمرة بضم الثاء والميم لأن الله -جل ثناؤه- وصف أصنافاً من المال كما قال يحيى بن وثاب^(٢): وكذلك حب الزرع المترابك وقنوان النخل الدانية والجنات من الأعناب والزيتون والرمان فكان ذلك أنواعاً من الثمر فجمعت الثمرة ثمرًا ثم جمع الثمر ثماراً ثم جمع ذلك فقيل انظروا إلى ثمره. (٣)

*قال أبو حيان: انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه النظر نظر رؤية ولذلك عداه بإلي لكي يترتب

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/١٩٤-١٩٥). وتفسير ابن كثير (٢/١٤٢).

(٢) يحيى بن وثاب: هو يحيى بن وثاب الأسدي بالولاء، الكوفي إمام أهل الكوفة في القرآن تابعي ثقة قليل الحديث، من أكابر القراء توفي سنة مائة وثلاثة للهجرة. انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين. تأليف خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين - بيروت. الطبعة الخامسة ١٩٨٠م. (ج٨/ص١٧٦). وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: الأعلام.

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (٤/٦٠٠).

عليه الفكر والاعتبار والاستبصار، ونبه على حالين: وهو وقت ابتداء والاستدلال على قدرة باهرة تتقله من حال إلى حال، ونبه على حالة الابتداء والانتهاه وهو وقت نضجه أي كيف يخرج ضئيلاً ضعيفاً لا يكاد ينتفع به وكيف يعود نضجاً مشتملاً على منافع. فمن قرأ (ثمره) بضم الثاء والميم فهي أصناف الأموال يعنى الأموال التي تتحصل منه.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن الله ﷻ يلفت أنظار عباده إلى تلك النعم التي يمنها على

عباده حيث إن من قرأ (ثمره) بفتح الثاء والميم من ذلك وجه معنى انظروا إلى ثمر هذه الأشجار التي سمينا من النخل والأعناب والزيتون والرمان إذا أثمر و... غيره، فهي ثمار كثيرة مما أنعم الله على عباده، لتكون آية نظر واعتبار؛ وأما في قراءة (ثمره) بضم الثاء والميم لأن الله جل ثناؤه وصف أصنافاً من المال (يعني ذهب وفضة وأثاث وغيره...) ومن المجاز (الثمر) أنواع المال المثمر؛ يعني المال الذي تتحصل منه الخيرات وهذا يدل على كمال القدرة وعلى كمال التفاوت وهذا نسق قرآني عجيب يرتاد هذا الوجود كأنما نهبط إليه أول لحظة، فيوقفنا أمام معالمه، ويفتح أعيننا على مشاهدته الباهرة، الدالة على وجود القادر الحكيم؛ فإن وجود الأصناف المتفرقة والأجناس المختلفة من جنس واحد، لا يكون إلا من صنع قادر حكيم، وهنا في القراءات زيادة إمعان في نعم الله، من الخير الوفير وتنوعه.

٢٨ - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقْتَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَنِسَاءً بغيرِ عِلْمٍ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام ١٠٠].

أولاً: القراءات :

١. قرأ المدنيان ﴿وَحَرَّقُوا﴾ بتشديد الراء .
٢. قرأ الباقون ﴿وَحَرَّقُوا﴾ بالتخفيف. (١)

(١) النشر في القراءات العشر بتصرف ١٩٦/٢ .

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{خرق}: الخرق أصله قطع الشيء، والشقّ على سبيل الفساد من غير تدبر ولا تفكر؛ وهو ضد الخلق والخلق هو فعل الشيء بتقدير ورفق، والخرق بغير تقدير. (١)

وجاء في التاج: خرق الثوب (يخرقه ، ويخرقه) بكسر الراء وضمها (مزقه) شوّهه وخربه. (٢)

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

الآية الكريمة تصور ضرباً من ضروب الشرك التي قال بها العرب، وقالت بها كثير من الأمم، وهو اتخاذ شركاء لله مما خلق وبرا، وعلى هذا فهو ﷻ المستقل بالخلق وحده فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له، ومثل هذه المعتقدات ضلال في وصفه تعالى بأن له ولداً كما يزعم من قاله من اليهود في (عزيز) ومن قال من النصارى في (عيسى) ومن قال من مشركي

العرب في الملائكة أنها بنات الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم إياهم وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا ناصر ولا ظهير؛ وخرقوا له بنين وبنات بغير علم بحقيقة ما يقولون ولكن جهلاً بالله وبعظمته فإنه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات وصاحبة ولا أن يشركه في خلقه شريك ولهذا قال ﷻ (عما يصفون) أي تقدس وتنزه وتعظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأنداد والنظرء والشركاء. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة نافع (وَحَرَّقُوا) بالتشديد على التكثر؛ لأن المشركين ادعوا أن الملائكة بنات الله والنصارى ادعوا أن المسيح ابن الله، واليهود ادعوا أن عزيزاً ابن الله فكثرت ذلك من كفرهم فشدد الفعل لمطابقة المعنى. (٤)

وأفادت قراءة (وَحَرْقُوا) بالتخفيف وقرئ (حرفوا) من التحريف أي زوروا، قال أهل اللغة معنى خرقوا اختلقوا وافتعلوا وكذبوا يقال اختلق الإفك واخترقه وخرقه أو أصله من خرق الثوب إذا

(١) انظر: معجم مفردات القرآن ١٤٦ / ٢.

(٢) انظر: تاج العروس (٣٢٧/٦) مادة خرق.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩٨/٥). وتفسير ابن كثير (١٤٣/٢). وتفسير المراعي (٧-٢٠٣/٩).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٥٠/٤).

شقه أي اشتقوا له بنين وبنات، قوله (بِغَيْرِ عِلْمٍ) متعلق بمحذوف هو حال أي كائنين بغير علم بل قالوا ذلك عن جهل خالص ثم بعد حكاية هذا الضلال البين والبهت الفظيع من جعل الجن شركاء لله وإثبات بنين وبنات له نزه الله نفسه فقال ﷻ (عما يصفون). (١)

* قال الشوكاني: في بيان معنى قوله تعالى: " (وَحَرْقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ) قرأ نافع بالتشديد على التكثير؛ لأن المشركين ادعوا أن الملائكة بنات الله والنصارى ادعوا أن المسيح ابن الله واليهود ادعوا أن عزيزاً ابن الله فكثرت ذلك من كفرهم فشدد الفعل لمطابقة المعنى وقرأ الباقر بالتخفيف وقرئ حرفوا من التحريف أي زوروا ". (٢)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية فقراءة التخفيف تفيد التخريب والإتلاف بأقل درجاته؛ وقراءة التشديد تفيد التخريب بأعلى درجاته، فقد أفادت القراءتان بأن المشركين ادعوا أن الملائكة بنات الله، والنصارى ادعوا أن المسيح ابن الله، واليهود ادعوا أن عزيزاً ابن الله، فخرقوا الحقائق وشوهوها فشددوا في التخريب؛ فكثرت ذلك من كفرهم؛ وقراءة التخفيف تفسر أقل إدعاء لهؤلاء جميعاً، وتكرار فعلهم هذا في اتخاذهم، كل الأساليب في قلب الحقائق وتزويرها وذلك من خلال التخريب بأدنى درجاته وأعلاها؛ كما تضمنت القراءات استهجان وإبطال جعلهم الجن شركاء لله تعالى مع أنه خلقهم، فكيف يكون المخلوق شريكاً للخالق؟ وهنا تشويه للحقائق وخرق لها وتخريب بالافتراء والتزوير.

٢٩ - ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأأنعام ١٠٥].

أولاً: القراءات :

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ دَارَسْتُ ﴾ بألف بعد الدال وإسكان السين وفتح التاء .
٢. قرأ ابن عامر ويعقوب ﴿ دَرَسْتُ ﴾ بغير ألف وفتح السين وإسكان التاء .
٣. قرأ الباقون ﴿ دَرَسْتُ ﴾ بغير ألف واسكان السين وفتح التاء. (٣)

(١) انظر: القراءات وأثرها (٥٤٨/٢).

(٢) فتح القدير (١٤٧/٢).

(٣) النشر في القراءات العشر (١٩٦/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{درس}: دَرَسَ الكتابَ يَدْرُسُهُ دَرَسًا؛ ودراسةً ودارسه، ومن ذلك أنه عانده حتى انقاد لحفظه، وقد قرئ بهما: وليقولوا درست، وليقولوا (دارست)، وقيل درست قرأت كتب أهل الكتاب ودارست: ذاكرتهم، وقرئ: (دَرَسْتُ) و(دُرِسْتُ) أي هذه أخبار قد عفت وامحّت، ودرُسْتُ أشدّ مبالغة. (١)

والدراسة: تعني القراءة بتمهل للحفظ أو الفهم؛ وسمي بيت تعلم اليهود بالمدرّاس؛ وسمي البيت الذي يسكنه التلامذة ويتعلمون فيه المدرسة. أي للدرس تكرار المعالجة، وتتابع الفعل على الشيء حتى يذهب به أو يصل إلى الغاية منه. (٢)

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

الآية الكريمة دعوة للنبي ﷺ أن اتبع ما أوحى إليك من ربك؛ ولا تشغل قلبك وعقلك بما زعموا أن هذا ليس بوحى منزل كما تزعم وإنما هو إفك وزور؛ وزعموا أنه تعلمه من يسار وجبر كانا عبدين ممن سبي الروم، كان أحدهما يصنع السيوف بمكة وكان يختلف إليه كثيراً؛ فعليك ألا تلتفت إليهم وتشتغل نفسك بعبادة ربك، قال تعالى: (وَكذلك نَصْرَفُ الآياتِ) نبيها على كل وجه من التصريف البديع لإثبات أصول العقيدة وتهذيب النفوس والأخلاق فنحولها من حال إلى حال، مع مراعاة الفوارق والتفاوت في العقول والأفهام (وليَقُولُوا دَرَسْتُ وَنُبَيِّئُهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) وقيل اللام عاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا درست أي قرأت على غيرك وقيل قرأت كتب أهل الكتاب، كقوله تعالى: ﴿فَالنَّقْطَةُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٨] ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك ولكن أراد أن عاقبة أمرهم أن كان عدوا لهم، كما أن الآية وضحت أن الناس في شأن كتاب الله فريقان، فريق فسدت فطرتهم، لم يبق لديهم استعداد

لهداية، ولا للعلم بما فيه من تصريف الآيات ومن ثمّ كان نصيبهم منه الجحود والإنكار،
وفريق اهتدى واتبع طريق الهدى. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة ابن كثير وأبي عمرو (دَارَسَتْ) بالألف بفتح السين وسكون التاء أي هذه الأخبار

(١) انظر: لسان العرب (٧٩/٦) مادة درس.

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٤٢٢/٤).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٥/٢). وتفسير المراعي (٧-٢١٠/٩).

التي تتلوها علينا قديمة قد درست وانمحت من قولهم درس الأثر يدرس دروساً، وقيل بمعنى
قارأت وتعلمت من أهل الكتاب وذاكرتهم في علمهم. أي يعني يا محمد دارست أهل الكتاب
ودارسوك أي ذاكرتهم وذاكروك، فهذا ليس من عند الله. (١)

وأفادت قراءة أهل المدينة والكوفة وليقولوا (دَرَسَتْ) يعني قرأت أنت يا محمد، وروي عن
قتادة أنه كان يقرؤه (دَرَسَتْ) بمعنى قرئت وتليت أي بمعنى انمحت وعفا عليها الزمن.

وأفادت قراءة (دَرَسَتْ) بصيغة الماضي وتاء التأنيث أي الآيات أي تكررت، أي هذا الذي
تتلوه علينا قد تناول ومر بنا وامتحى أثره من قلوبنا، فهي (تكررت) كما تدرس الآثار. (٢)

*قال الشوكاني: وفي (درست) قراءات قرأ أبو عمرو وابن كثير (دارست) بألف بين الدال
والراء كفاعلت وهي قراءة علي وابن عباس وغيره وأهل مكة وقرأ ابن عامر (دَرَسَتْ) بفتح
السين وإسكان التاء من غير ألف كخرجت وقرأ الباقون (دَرَسَتْ) كضربت فعلى القراءة
الأولى المعنى دارست أهل الكتاب ودارسوك أي ذاكرتهم وذاكروك ويدل على هذا ما وقع في
الكتاب العزيز من إخبار الله عنهم بقوله (وأعانه عليه قوم آخرون) أي أعان اليهود النبي ﷺ
على القرآن ومثله قولهم (قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اِكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
(الفرقان)) وقولهم إنما يعلمه بشر والمعنى على القراءة الثانية قَدِمَتْ هذه الآيات وعفت وانقطعت
وهو كقولهم (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) والمعنى على القراءة الثالثة مثل المعنى على القراءة الأولى
قال الأخفش هي بمعنى دارست. (٣)

**خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية يفسر بعضها بعضاً بل ويؤكد موقف
جماعة فسدت فطرتهم وتعفت نفوسهم، حيث إنهم ارتكبوا صنوفاً شتى من العناد، والكفر**

بالرسول ﷺ فاتهموه بالإفتراء بعد افلاسهم من مواجهة الإعجاز الذي تحداهم جميعاً وبدأ يظهر فشلهم فقالوا إن الإعجاز والوحي الذي أتيت به ليس من عند الله وإنما ذاكرته وقرأته على علماء اليهود والنصارى وهو أمر دارس وقديم قد إنتهى وعفا عليه الزمن، أي هو متكرر ومكرر ولسنا بحاجة له. (٤)

وعليه فجميع القراءات يوجد بينها تكامل في المعنى، وجميعها تبين ما قاله الكافرون في حق

(١) انظر: تفسير البغوي (١٧٥/٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠٤/٥).

(٣) تفسير فتح القدير (١٤٩/٢).

(٤) انظر: حجة القراءات ص ٢٦٥. انظر معاني القراءات ص ١٦٤.

النبي ﷺ في تكذيبه والتجني عليه بل ويؤكد تمسكهم بالباطل وإدحاض الحق بكل الوسائل والأساليب والحجج. (١)

٣٠ - ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ

زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام ١٠٨].

أولاً: القراءات :

١. قرأ يعقوب ﴿عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بضم العين والdal وتشديد الواو .

٢. قرأ الباقون ﴿عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بفتح العين وإسكان الdal وتخفيف الواو. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{عدوا}: بفتح العين وسكون الdal وتخفيف الواو هو مصدر بمعني العدوان والظلم. (٢)
والعدو التجاوز ومنافاة الالتئام فتارة يعتبر بالقلب فيقال له العداوة والمعاداة، وتارة بالمشي فيقال له العَدُو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له العدوان والعدو؛ والعدو ضربان أحدهما: بقصد من المعادي والثاني: لا بقصده بل تعرض له حالة يتأذى بها كما يتأذى مما يكون من العدى. (٣)

سبب نزول الآية:

* عن ابن عباس رضي الله عنه قال الكفار،^(٤): (يا محمد لتنتهين عن سبك آلمتنا أو لنعيبون ربك فنمى الله أن يسبوا أو ثابهم فيسبوا الله محمداً بغير علم) وقال قتادة: كان المسلمون يسبون

(١) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٥٥١/٢).

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٦/٢).

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٤٣٢/٤).

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٣٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي. انظر: الدر المنثور (٣/٣٨). وأخرجه ابن أبي حاتم (١٣٦٧/٤) حديث رقم ٧٧٦٢.

او ثاب الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ). (١).

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

الآية الكريمة هي عبارة عن توجيه رباني للنبي صلى الله عليه وسلم بالنهاي عن سب آلهة المشركين، لأنهم إذا شتموا أو تعرضوا إلى السب، فربما غضبوا، وذكروا الله بما لا يليق ولا ينبغي من القول. والمعنى لاتسبوا الذين يدعون من دون الله يعني الأوثان (فيسبوا الله عدواً) أي اعتداء وظلماً فيتجاوزوا الحد في السباب والشتم ليغضبوا المؤمنين وقوله بغير علم أي بجهالة بما يليق بجلال الله، وبما يجب أن يذكر به. (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (عَدُوًّا) بفتح العين وضم الدال بمعنى عدو وهو واحد يؤدي عن جمع كما قال (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ) [الشعراء ٧٧] وقال تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون ٤] وهو منصوب على المصدر أو على المفعول من أجله. (٣) أفادت قراءة يعقوب عَدُوًّا يقال عدا فلان عدواً وعدواً وعداء وعدواناً.

* قال ابن الجوزي: ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام ١٠٨] أي ظلماً بالجهل، وقرأ يعقوب (عَدُوًّا) بضم العين والدال وتشديد الواو والعرب تقول في الظلم عدا فلان عدواً وعدواً وعدواناً و عدا أي ظلم. وعَدُوًّا بفتح العين وتخفيف الدال؛ وهو مصدر وفي انتصابه ثلاثة أوجه :

أحدها: هو مفعول له.

والثاني: مصدر من غير الفعل لأن السب عدوان في المعنى .
والثالث: هو مصدر في موضع الحال، وهي حال مؤكدة، ويقرأ عُدُوًّا بضم العين والذال
وتشديد الواو، وهو واحد في معنى الجمع: أي أعداء، وهو حال بغير علم؛ وهو مصدر على
فعل كالجوس والقعود. (٤)

-
- (١) انظر: أسباب النزول وبهامشه النسخ والمنسوخ. ص ١٦٩. تصنيف الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي
النيسابوري. تأليف: الشيخ الإمام المحقق أبي القاسم. هبة الله ابن سلام أبي النصر. عالم الكتب بيروت.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٦/٢). وتفسير المراعي (٧-٩/٢١٤). وتفسير البيهقي (١٧٥/٣).
(٣) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن (٥٦/٤).
(٤) انظر: تفسير زاد المسير (١٠٨/٣).

(عُدُوًّا) بفتح العين وسكون الذال وتخفيف الواو في قراءة الجمهور، وهو مصدر بمعنى
العدوان، وهو منصوب على المفعولية المطلقة ليسبوا؛ لأن العدو هنا صفة للسب، فصح أن
يحل محله في المفعولية المطلقة بياناً لنوعه، وقرأ يعقوب (عُدُوًّا) بضم العين والذال وتشديد
الواو وهو مصدر كالعُدُو، و(عُدُوًّا) هو العدوان والظلم. (١)

**خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن الآية الكريمة لون من ألوان التربية الإسلامية،
فالتربية**

الإسلامية العظيمة؛ تقيم النفوس البشرية وقد تضمنت هذه الآية نهي المسلمين عن سب الكفار
والمشركين، كي لا يسبوا المولى ﷺ حيث قال: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [إل عمران ١١٨]. (٢)
ومن خلال الجمع نلاحظ أن من قرأ (عُدُوًّا) فهو من باب الاعتداء الخفيف من الواحد
أو الاثنين من هؤلاء الكفار والمشركين بسب الله تعالى؛ ومن قرأ (عُدُوًّا) بالتشديد حيث إن
التشديد هو زيادة في المبنى أدت إلى زيادة المعنى؛ لذا قد يكون الاعتداء من الدول
والجماعات والفرق، وفي القراءتين اعتداء على الله بالقلّة والكثرة من أولئك الحاقدين.

٣١ - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ

اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لِأَيُّمُنُونَ﴾ [الأنعام ١٠٩].

أولاً: القراءات :

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (إنها) بكسر الألف.

٢. قرأ حفص عن عاصم والباقون (أنها) بفتح الألف.

١. قرأ ابن عامر وحمزة (لَا تُؤْمِنُونَ) بالخطاب.

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٤/٤٣٢). انظر: تفسير ابن أبي زمنين (١/٢٣٩).

(٢) انظر: إملاء ما من به الرحمن (١-٢/٢٦٤). والمستنير (١/١٦٩).

٢. قرأ الباقر (لَا يُؤْمِنُونَ) بالغيب. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{أن، إن}: ينصبان الاسم ويرفعان الخبر والفرق بينهما (أن ، إن) إن يكون مابعد جملته مستقلة وأن يكون ما بعده في حكم مفرد يقع موقع مرفوع ومنصوب ومجرور. (٢)

{أمن}: أصل الأمن طمأنينة النفس ونقيض الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان، وقيل كلمة التوحيد؛ وقيل العدالة. (٣)

سبب نزول الآية:

* قال الواحدي: "إن قريشاً قالت يا محمد تخبرنا بأن موسى ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقة، فأتنا ببعض هذه الآيات حتى نصدقك فقال: أي شيء تمبون؟ قالوا: اجعل لنا الصفا ذهباً، فوالله إن فعلته لنتبعنك أجمعون، فقام رسول الله ﷺ يدعمه فجاهه جبريل ﷺ فقال إن شئتم أصبح الصفا ذهباً ولنن أرسلك الله آية ولم يصدقوا فعدنا ليعذبنهم فأتهم حتى يتوبوا فقال رسول الله ﷺ بل يتوبوا فانهم) (٢) فنزلت هذه الآية". (٤)

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية :

الآية الكريمة تتحدث عن طبيعة كفار مكة بحلفهم بأشد الأيمان وأغلظها، لئن جاءتهم معجزة أو آية أو أمر خارق لنؤمنن به ولكن بينت الآية حقيقتهم ودينتهم، وما جبلوا عليه.

*قال الطبري: "حلف بالله هؤلاء العادلون بالله جهد حلفهم وذلك أكد ما كانوا عليه من الأيمان وأصعبها وأشدّها لئن جاءتهم آية قالوا نقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدق ما تقول يا محمد مثل الذي جاء من قبلنا من الأمم (لنؤمنن بها)، يقول قالوا لنصدقن بمجيئها بك وأنتك رسول

-
- (١) النشر في القراءات العشر (١٩٦/٢).
- (٢) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ١ ص ٢١.
- (٣) انظر: لسان العرب (٢٢/١٣) مادة أمن.
- (٤) الحديث ورد في مسند الحميدي (٢٣٢/١) حديث رقم ٧٠٠. وضعفه الألباني. انظر: أسباب النزول ص ١٦٦. وتفسير القرطبي (٥٧/٤)،

مرسل وأن ما جئتنا به حق من عند الله، وإنما الآيات عند الله وهو القادر على إتيانكم بها دون أحد من خلقه وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون". (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (إنها)...مكسورة على الاستئناف والإخبار عن حالهم، فحذف المفعول والمعنى: لو جاءت الآية التي اقترحوها، لم يؤمنوا فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين؛ ثم ابتداء فأوجب فقال

(أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) ولو قال: (وما يشعركم) أنها إذا جاءت لا يؤمنون؛ كان ذلك عذراً لهم. أفادت قراءة (إنها) بفتح الألف فعلى هذا، المخاطب بقوله: (وما يشعركم) ﷺ وأصحابه ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما وما يدريكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون وفي قراءة، أبي لعلها إذا جاءت لا يؤمنون والعرب تجعل أن بمعنى لعل يقولون أنت السوق أنك تشتري لنا شيئاً أي لعلك. والثاني: أن المعنى وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون وتكون لا صلة كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف ١٢]. (٢)

أفادت قراءة (يؤمنون) بالياء فلأن الذين أقسموا غيب. أفادت قراءة (تؤمنون) فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب على الخطاب للمشركين .

قال البغوي: "قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم إنها بكسر الألف على الابتداء وقالوا: تم الكلام عند قوله (وما يدريكم) فمن جعل الخطاب للمشركين قال: معناه: (وما

يشعركم) أيها المشركون؟ أنها لوجاعت آمنتهم؟ ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال: معناه: (وما يشعركم) أيها المؤمنون؟ أنها لوجاعت آمنوا؟ لأن المسلمين كانوا يسألونه ﷺ أن يدعو الله حتى يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم بقوله: (وما يشعركم) ثم ابتداءً فقال -جل ذكره- إنها جاءت لا يؤمنون وهذا في قوم مخصوصين (حكم عليهم بأنهم لا يؤمنون) وقرأ الآخرون أنها بفتح الألف وجعلوا الخطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله لا يؤمنون فقال الكسائي^(٣) (لا) صلة، ومعنى الآية وما يشعركم أيها المؤمنون إذا جاءت أن المشركين يؤمنون". (٤)

(١) تفسير الطبري (٢٠٩/٥).

(٢) انظر: تفسير زاد المسير (٣/١٠٤ - ١٠٥). الدر المصون (٣/١٥٤).

(٣) الكسائي هو: الإمام ابو الحسن علي بن حمزة (بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسيدي مولا هم الكوفي المقرئ النحووي المشهور بالكسائي أحد الأعلام) المتوفى سنة ١٨٩ هـ . أنظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. تأليف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٨ م. (١/٢٩٦). تحقيق الدكتور طيار آل قولاچ. استانبول ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م. الطبعة الأولى. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: معرفة القراء الكبار. وتفسير البيهقي (٣/١٧٨). وتفسير النسفي (٢/٢٨).

(٤) انظر: القراءات وأثرها (٢/٨٥٨).

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن كل قراءة تؤكد الأخرى فقراءة (إنها) بكسر الهمزة، الكلام فيها للمخاطب، فتكون جملة (إنها إذا جاءت) خطاباً موجهاً إلى المشركين والكفار والمعنى ما يدريك أيها الكفار المقترحون مجيء الآية الدالة على نبوة محمد ﷺ أنها إذا جاءتكم تؤمنون، فالله ﷻ طبع على قلوبكم؛ وهي مكسورة على الاستتاف والإخبار عن حالهم وهذا

يتناسب مع السياق. أما قراءة (أنها) بفتح الألف بمعنى لعل؛ وعلى ذلك فالمخاطب رسول الله ﷺ وأصحابه؛ وفي قراءة (أبي) لعلها إذا جاءت لا يؤمنون أي ما يدريك أيها المؤمنون أن لو أنزل الله الآية التي طلبها الكفار أنهم لا يؤمنون؛ وهنا جاء الالتفات من الخطاب إلى الغيبة للتأكيد على عدم الإيمان، فالآية بالقراءتين مقطوع بها في عدم إيمانهم؛ لأن الله ختم على قلوبهم.

٣٢ - ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا

مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يُجْهَلُونَ﴾ [الأنعام ١١١].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن عامر ﴿قُبُلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء .

٢. قرأ الباقون ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء (١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{قبل} : قبل يستعمل في التقدم المتصل والمنفصل ويضاده بعد، وقيل يستعملان في التقدم المتصل ويضادهما دبر ودبر هذا في الأصل وإن كان قد يتجاوز في كل واحد منهما، فقبل يستعمل على أوجه؛ الأول: في المكان بحسب الإضافة فيقول الخارج من أصبهان إلى مكة إلى أصبهان: الكوفة قبل بغداد والثاني: في الزمان... والثالث: في المنزلة... والرابع: في الترتيب الصناعي نحو تعلم الهجاء قبل تعلم الخط (٢).

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٦/٢).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٠٦.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تتحدث عن طبيعة من عميت بصيرته، حتى لو أتتهم الآيات تباعاً، ولو أننا أتيناهم

ما اقترحوا فنزلنا إليهم الملائكة، وأحيينا لهم الموتى يشهدون عياناً بصدقك، وزدنا على ذلك فجمعنا لهم جميع الخلائق من السباع والدواب والطيور مقابلة ومعاينة حتى يواجهوهم، يشهدون لك بالرسالة، أو كفلاء بصدقك؛ ما استقام لهم الإيمان لسوء استعدادهم وفساد فطرهم، علماً بأن هذا ما اقترحوه.

*قال القرطبي: "ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة فرأوهم عياناً وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم وحشرنا عليهم كل شيء سألوهم من الآيات قبلاً أي مقابلة ومعاينة لما آمنوا، أي (مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ولكن إن شاء ذلك لهم، وقيل الاستثناء لأهل السعادة الذين سبق لهم

في علم الله الإيمان، وفيها تسلية للنبي ﷺ (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ) أي يجهلون الحق ولا يجوز لهم أن يقترحوا الآيات بعد أن رأوا آية واحدة. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (قَبْلاً) بكسر القاف وفتح الباء من المقابلة والمعانية. وقرأ آخرون بضمهما، قيل معناه من المقابلة والمعانية أيضاً، كما رواه ابن عباس وقال مجاهد (قَبْلاً) أي أفواجاً قبيلاً قبيلاً أي تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فيخبرونهم بصدق الرسل. (٣) وأفادت قراءة (قَبْلاً) بضمّتين أرادوا به أصناف العذاب كله جمع قبيل نحو سبيل وسبيل؛ مذهب الفراء أن (قَبْلاً) جمع قبيل أي متفرقا يتلو بعضه بعضاً، ويجوز عنده أن يكون المعنى عياناً. (٣)

*قال أبو السعود: " (قَبْلاً) بضمّتين وقرئ بسكون الباء أي كفاء بصحة الأمر وصدق النبي على أنه جمع قبيل بمعنى الكفيل كـرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الأنسب بقوله تعالى: (أوتائي بالله والملائكة قبيلاً) أي لو لم تقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بأن أحضرنا لديهم كل شيء يتأتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية أو لكل الإفرادي أو مقابلة وعياناً على أنه مصدر نحو (قبلاً)؛ وانتصابه على الوجهين: على أنه مصدر في موقع الحال أي بمعنى الجهة، كما في قولك: لي قبل فلان حق، وأن انتصابه على الظرفية. (٤)

(١) تفسير القرطبي (٦١/٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٨/٢).

(٣) انظر: القراءات وأثرها (٦٠٤/١).

(٤) (٢٦٩/٢).

جماعات: وهو الأوفق لعموم كل شيء وشموله للأصناف والأصناف أي حشرنا كل شيء نوعاً نوعاً وصنفاً صنفاً وفوجاً فوجاً وانتصابه على الحالية، وجمعيته باعتبار الكل المجموع باللازم *قال ابن الجوزي: في بيان معنى (قَبْلاً) بكسر القاف وفتح الباء قال ابن قتيبة^(١): "معناها معانية، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي قبلاً بضم القاف والباء وفي معناها ثلاثة أقوال: أحدها أنه جمع قبيل وهو الصنف، فالمعنى وحشرنا عليهم كل شيء قبيلاً قبيلاً قاله مجاهد: والثاني: أنه جمع قبيل أيضاً إلا أنه الكفيل فالمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء فكفل بصحة ما تقول اختاره الفراء، وهو أن يقال إذا لم يؤمنوا بانزال الملائكة وتكليم

الموتى فلا يؤمنوا بالكفالة التي هي قول أولى فالجواب أنه لو كفلت الأشياء المحشورة فنطق ما لم ينطق كان ذلك آية بينة. والثالث: أنه بمعنى المقابل فيكون المعنى وحشرنا عليهم كل شيء فقابلهم ويقال لقيت فلاناً (قَبَلًا وَقَبَلًا وَقَبَلًا وَقَبَلًا وَقَبَلًا وَمَقَابِلَةً وَكُلَّهُ وَاحِدٌ وَهُوَ لِلْمَوَاجِهَةِ" (٢).

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية تبين استحالة إيمان المشركين حيث إنَّ النتيجة واحدة سواء تم عرض الآيات بكل الأساليب والطرق ووجهاً لوجه، أو مجتمعين فوجاً بعد فوج، أو تعددت صنوف الآيات فلا داعي لهذه الآيات لأنها لم تغير من موقفهم شيئاً كما هو في علم الله المسبق، والمعنى أنهم لو عاينوا ذلك معاينة ما آمنوا إلا أن يشاء الله.

٣٣ - ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾
[الأنعام ١١٤].

(١) ابن قتيبة هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد الشهير بابن قتيبة، كان رأساً في العربية والأخبار، وأيام الناس ثقة، ديناً، فاضلاً، له مصنفات كثيرة منها إعراب القرآن، ومعاني القرآن وغيرهما. توفي سنة ست وسبعين ومائتين هـ. انظر طبقات المفسرين للداوودي (٢٥١/١).

(٢) انظر: تفسير زاد المسير بتصرف (١٠٧/٣).

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحفص (مُنزَّلٌ) بتشديد الزاي .

٢. قرأ الباقر (مُنزَّلٌ) بالتخفيف. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{نزل}: النزول في الأصل هو انحطاط من علو، يقال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه، وأنزله غيره، وإنزال الله تعالى إما نعمة أو نعمة على الخلق وإعطائهم إياها إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن وإما بإنزال أسباب الهداية إليه. (٢)

سبب نزول الآية:

حينما طلب مشركو قريش من رسول الله ﷺ أن يجعل بيننا وبينك حكماً إن شئت من أحوار اليهود والنصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزلت الآية: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ). (٣)

المآل: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة من باب التهبيح والاستفزاز كما هي ردٌ على المشركين الذين طلبوا من محمد ﷺ أن يجعل بينهم وبينه حكماً من أحوار اليهود أو النصارى ليخبرهم بما في كتبهم من أمره فقال لهم: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا) وهل هناك أصدق منه ﷺ الذي أنزل لكم القرآن بأوضح بيان، مفصلاً بين الحق والباطل، موضحاً بين الهدى والضلال؛ كما إن علماء اليهود والنصارى هم الذين يعلمون علم اليقين أن القرآن حق لتصديقه ما عندهم؛ فلا تكونن من الشاكين المترددين، والخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة. (٤)

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٠٩.

(٣) انظر: أسباب النزول ص ١٦١. بهامشه الناسخ والمنسوخ تصنيف الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. تأليف الشيخ المحقق أبي القاسم. هبة الله ابن سلام أبي النصر. عالم الكتب بيروت.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٩ / ٢). وتفسير المراغي (٩/٨). وصفوة التقاسير (٤١٤/١). وتفسير البيضاوي ١٨٨.

رابعا: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (مُنَزَّلٌ) بالتشديد جعله من (نَزَلَ)؛ ويقال نَزَلَ وأنزَلَ، لكن في التشديد معنى التكرار.

وبالتشديد من نزل ينزل جمعاً بين اللغتين كما في قوله (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً) ولم يقل وهو الذي نزل.

أفادت قراءة (مُنزَلٌ) بالتخفيف وجعلوه من (أُنزِلَ)؛ وتعني النزول على مراحل. (١)
*قال الطاهر بن عاشور: "وقرأ الجمهور (مُنزَلٌ) بتخفيف الزاي وقرأ ابن عامر وحفص بالتشديد والمعنى متقارب أو متَّحد كما سبق ذكره في سورة [آل عمران ١٢٥]". (٢)

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة تفسيرية فقراءة التضعيف تفيد إنزال القرآن على مراحل، وقراءة التخفيف تدل على إنزاله مرحلة واحدة؛ كما أن التضعيف يفيد إنزاله أكثر من مرة، والتخفيف إنزاله مرة واحدة وعلى كلا القراءتين فالمعنى فيه تثبيت لقلوب المؤمنين على الحق؛ والخطاب للنبي ﷺ ولأمته على وجه التعريض، فلا يريكم جحود أكثرهم وكفرهم؛ وبإنكار هؤلاء المشركين أن يكون القرآن حقاً وقد كذبوا به.

٣٤ - ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[الأنعام ١١٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ الكوفيون ويعقوب (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ) بغير ألف على التوحيد .
٢. قرأ الباقون (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ) على الجمع. (٣)

(١) انظر: الكشف (٤٤٩/١). وحجة القراءات ص ٢٦٨.

(٢) التحرير والتنوير (٧٤/٣) و (١٧/٥).

(٣) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{كلم} : مادة كلمة والكلمة جمع كلم، والكلمة جمع كلمات؛ وتطلق على الخطبة والقصيدة. (١)
والكلمة في هذه الآية؛ هي القضية فكل قضية تسمى كلمة سواء كانت مقالاً أو فعلاً ووصفها بالصدق لأنه يقال قول صدق وفعل صدق (وتمت كلمة ربك) إشارة إلى نحو قوله (اليوم

أكملت لكم دينكم) وقيل إشارة إلى ما قاله ﷺ (أول ما خلق الله تعالى القلم...) (٢) وقيل الكلمة هي القرآن وتسميته كلمة كتسمية القصيدة كلمة. (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تأكيد لسابقتها بأن تمّ كلام الله المنزل صدقاً فيما أخبر؛ وعدلاً فيما قضى وقدر، فلا مغير لحكمه ولا راد لقضائه، فهو السميع لأقوال عباده العليم بأحوالهم.
* قال ابن كثير: " (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) قال قتادة: صدقاً فيما قال وعدلاً فيما حكم، يقول صدقاً في الأخبار وعدلاً في الطلب فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه وكل ما نهى عنه فباطل فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة كما قال تعالى: (يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجْلُ لُهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) إلى آخر الآية [الأعراف ١٥٧] (لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) أي ليس أحد يعقب حكمه تعالى في الدنيا ولا في الآخرة وهو السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم الذي يجازي كل عامل بعمله". (٤)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (كَلِمَاتُ) بالجمع؛ أراد بالكلمات أمره ونهيه، ووعدته ووعدته، صدقاً وعدلاً أي صدقاً في الوعد والوعد وعدلاً في الأمر والنهي، قال قتادة ومقاتل صادقاً فيما وعد، وعادلاً فيما حكم لا مبدل لكلماته.

أفادت قراءة أهل الكوفة كلمة بالتوحيد وقرأ الباقون بالجمع والمراد بالكلمات العبارات

(١) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٥٨.

(٢) أخرجه الترمذي تفسير القرآن حديث رقم ٣٦٣٧. والمقطع جزء من الحديث قال ﷺ (أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له أكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد) الحديث حسن صحيح.

(٣) انظر: المعجم الكبير (٤٣٣/١١). حديث رقم ١٢٢٢٧.

(٤) تفسير ابن كثير (١٤٩/٢).

أومتعلقاتها من الوعد والوعد؛ والمعنى أن الله قد أتم وعده فيما حكم لا مبدل لكلماته قال ابن عباس: لاراد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خلف لوعده وهو السميع العليم قيل أراد بالكلمات القرآن لا مبدل له يريد لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون. (١)

ووعدته فظهر الحق وانطمس الباطل وقيل المراد بالكلمة أو الكلمات القرآن وصدقاً وعدلاً منتصيين على التمييز أو الحال أو على أنها نعت مصدر محذوف أي تمام صدق وعدل لا

مبدل لكلماته لا خلف فيها ولا مغير لما حكم به والجملة المنفية في محل نصب على الحال أو مستأنفة وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم. (٢)

*قال الأزهرى: الكلمة تتوب عن الكلمات، تقول العرب: قال فلان في كلمته أي قصيدته والقرآن كله كلمة الله، وكلم الله، وكلام الله، وكلمة الله، وكله صحيح ومن كلام العرب. (٣)

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية حيث إن كلتا القراءتين ووضحت وبيّنت المعنى المراد من الآية الكريمة، وجعلتها أكثر اتساعاً وشمولية وبياناً لمراد الله سبحانه حيث إنه قد وقع المفرد على الكثرة فلذلك أدى معنى الجمع وقراءة الجمع أدت معنى المفرد، حيث إن القرآن كله كلمة الله؛ كما تقول العرب للقصيدة من الشعر كلمة فلان، وقيل معناه (الكلمة) التي نزلت شيئاً بعد شيء حتى كملت على ما تقتضيه الحكمة، وقيل المراد بالكلمة حكم الله، وهو حجة الله على عباده في الأرض، وكلمة اسم جنس بمعنى كلمات وبها متعلقات كثيرة وعبارات وأحكام شتى.

٣٥ - ﴿وَمَا لَكُمْ إِلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لِيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بغيرِ علمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام ١١٩].

- (١) انظر: تفسير الشوكاني (١٥٥/٢).
- (٢) انظر: تفسير معالم التنزيل (١٨١/٣).
- (٣) انظر: تفسير الكشاف (١٢٠/٢).
- (٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٣٩٦/٨).
- (٥) مجمع البيان (١٣٦/٤).
- (٦) كتاب معاني القراءات ص ١٦٦.

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان والكوفيون ويعقوب (وقد فصل) بفتح الفاء والصاد .

٢. قرأ الباقر (وقد فصل) بضم الفاء وكسر الصاد .

١. قرأ المدنيان ويعقوب وحفص (حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) بفتح الحاء والراء.
٢. قرأ الباقر (حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) بضم الحاء وكسر الراء. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{فصل}: الفصل إبانة أحد الشئيين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة، ومنه قيل المفاصل والواحد مفصل. (٢)

فصل الشيء: قطعه وأبانه، وأفرزه ، ومازه عن غيره. (٣)

{حَرَّمَ}: الحرام الممنوع منه إما بتسخير إلهي، وإما بمنع قهري، وإما بمنع من جهة العقل، أو من جهة الشرع، أو من جهة من يرتسم أمره. (٤)

سبب نزول الآية:

قال المشركون: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟! قال الله قتلها. قالوا: تزعم ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام؟! فنزلت الآية. (٥)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تكشف عن خلل عند مشركي العرب وغيرهم من أرباب الملل والنحل، الذين يجعلون الذبائح من أمور العبادات، يتقربون بها لآلهتهم ومن قدسوا من رجالات الدين، من يهلون لهم عند الذبح وهذا شرك بالله.

*قال ابن كثير: "هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليها اسمه ومفهومه أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه كما كان يستبيحه كفار قريش من أكل الميتات

(١) النشر في القراءات العشر ١٩٧/٢.

(٢) انظر: لسان العرب (٥٢١/١١). مادة فصل.

(٣) منجد الطلاب ص ٥٥٢.

(٤) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٣.

(٥) انظر: أسباب النزول ص ١٦٧.

وأكل ما ذبح على النصب وغيرها، ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه فقال: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) أي قد بين لكم ما حرم عليكم

ووضحه؛ إلا ما اضطررتم إليه أي إلا في حال الاضطرار فإنه يباح لكم ما وجدتم، ثم بين تعالى جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة من استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى فقال: (وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) حينما سأل المشركون: أتأكلون ما قتلتم؟ ولا تأكلون ما قتل ربكم! والخطاب للمسلمين. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (فَصَلِّ) بفتح فائه وتشديد صاده ما حُرِّمَ بضم حائه وتشديد رائه أي أن المعنى: وقد فصل الله لكم المحرم عليكم من مطاعكم، ويؤكد لفظ (اسم الله).
وأفادت قراءة (فَصَلِّ) بضم فائه وتشديد صاده ما حُرِّمَ عليكم بضم حائه وتشديد رائه على وجه مالم يسم فاعله في الحرفين كليهما؛ وهو الله سبحانه. (٢)
وأفادت قراءة (فَصَلِّ) بالفتح (حُرِّمَ) بالضم وأراد بتفصيل المحرمات ما ذكرت في قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ) [المائدة ٣]. إلا ما اضطررتم إليه، من هذه الأشياء فإنه حلال لكم عند الاضطرار. (٣)

* قال الألويسي: "قرأ أهل الكوفة^(٤) غير حفص فصل ما حرم ببناء الأول للفاعل والثاني للمفعول، وقرأ أهل المدينة وحفص ويعقوب، فصل وحرم كليهما بالبناء للفاعل وقرأهما الباقيون بالبناء للمفعول إلا ما اضطررتم إليه أي دعتمكم الضرورة إلى أكله بسبب شدة المجاعة وظاهر تقرير الزمخشري؛ يقتضي أن ما موصولة فلا يستقيم غير جعل الاستثناء منقطعاً أي لكن الذي اضطررتم إلى أكله مما هو حرام عليكم حلال لكم حال الضرورة، وجوز -عليه الرحمة- جعله استثناء من ضمير حرم وما مصدرية في معنى المدة أي فصل لكم الأشياء التي حرمت عليكم إلا وقت الاضطرار إليها واعترض بأنه لا يصح حينئذ الاستثناء من الضمير بل هو استثناء مفرغ من الظرف العام المقدر كأنه قيل: حرمت عليكم كل وقت إلا وقت...، والمهم في هذا

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١٥٠/٢). انظر صفوة البيان ص ١٨٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/٨).

(٣) تفسير البغوي (١٨٢/٣).

(٤) البدور الزاهرة ص ٦.

المقام بيان فائدة إلا ما اضطررتم إليه وكان الفائدة فيه - والله تعالى أعلم - للمبالغة في النهي عن الامتناع عن الأكل بأن ما حرم يصير مما لا يؤكل، بخلاف ما حل فإنه لا يصير مما لا يؤكل فكيف يجتنب عما يؤكل. (١)

*قال القرطبي: فصل أي بين لكم الحلال من الحرام وأزيل عنكم اللبس والشك، (ما) استفهام يتضمن التقرير، وتقرير الكلام: وأي شيء لكم في ألا تأكلوا (أن) في موضع خفض بتقدير حرف الجر ويصح أن تكون في موضع نصب على ألا يقدر حرف جر ويكون الناصب معنى الفعل الذي في قوله (ما لكم) تقديره أي ما يمنعكم، ثم استثنى فقال إلا ما اضطررتم إليه، يريد من جميع ما حرم كالميتة وغيرها، وهو استثناء منقطع؛ وقرأ نافع ويعقوب (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ) بفتح الفعلين وقرأ أبو عمرو؛ وابن عامر وابن كثير بالضم فيهما، والكوفيون فصل بالفتح حرم بالضم وقرأ عطية العوفي فصل بالتخفيف، ومعناه أبان وظهر، كما قرئ (الرَّكِتَابُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [هود: ١]. (٢)

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية تبين أن المشرع الوحيد هو الله سواء كان الأمر بالمبني للمجهول أو المبني للمعلوم، وفي القراءتين توبيخ مباشر أو غير مباشر، لمن ترك الأكل مما سمي عليه، وقد فصل لكم الحرام من الحلال أي ميزه وبينه ﷻ و(ما) هنا في موضع النصب على تسمية الفاعل. (٣)

أما من قرأ بالضم فهو على ما لم يُسم فاعله؛ لأنَّ الله هو المفصل الحقيقي، والمُحرَّم والمُحلَّل للتشريعات. (٤)

فالقراءتان فيهما توبيخ مباشر أو غير مباشر، لمن ترك الأكل مما سمي عليه، وذلك يتضمن إباحة الأكل مطلقاً، وقوله (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) أي في حال الاختيار، وذلك حلال في حال الإضطرار، والله أعلى وأعلم فهو المشرع وحده يحل ويحرم كما شاء، وكيف يشاء. (٥)

(١) انظر: تفسير روح المعاني (٨/٧-١٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٦٦/٤).

(٣) انظر: تفسير زاد المسير (١١٣/٣).

(٤) انظر: إملأ ما من الرحمن ص ٢٦٦.

(٥) كتاب معاني القراءات ١٦٧. انظر: الكشف عن وجوه القراءات بتصرف ٤٤٩/١.

٣٦- ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ
صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأَنْعَامِ ١٢٥].

أولاً: القراءات :

١. قرأ ابن كثير (ضَيِّقًا) بإسكان الياء مخففة.
٢. قرأ الباقون (ضَيِّقًا) بكسرهما مشددة.
١. قرأ المدنيان وأبو بكر (حَرَجًا) بكسر الراء .
٢. قرأ الباقون (حَرَجًا) بفتحها.
١. قرأ ابن كثير (يَصَّعَدُ) بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف.
٢. قرأ أبو بكر (يَصَّاعِدُ) بفتح الياء والصاد مشددة وألف بعدها وتخفيف العين.
٣. قرأ الباقون (يَصَّعَّدُ) تشديد الصاد والعين من غير ألف. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{ضيق}: الضيق ضد السعة؛ والضيق يستعمل في الفقر والبخل والغم ونحو ذلك ؛ وينطوي على تضيق النفقة وتضيق الصدر، ويقال في الفقر ضاق وأضاق فهو مضيق، واستعمال ذلك فيه كاستعمال الوسع في ضده. (٢)

{حَرَجٌ}: أصل الحرج: الضيق، والحرج والحراج مجتمع الشيء وتصور منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج وللاِثم حرج، وحرجاً أي ضيقاً بكفره لأن الكفر لا يكاد تسكن إليه النفس لكونه اعتقاداً عن ظن، وحرج صدره يحرج حرجاً: ضاق فلم ينشرح لخير. (٣)

{صَعَدٌ}: الصعود الذهاب في المكان العالي، والحدور لمكان الصعود والانحدار وهما بالذات واحد إنما يختلفان بحسب الإعتبار بمن يمر فيهما، فمتى كان المار صاعداً يقال للمكان صعود كالجبل

(١) النشر في القراءات العشر بتصريف ١٩٧/٢.

(٢) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ٣٠٩.

(٣) انظر: لسان العرب (٢٣٤/٢) مادة حرج.

وغيره، وإذا كان منحدرًا يقال للمكان حدور. (١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تبين من كان أهلاً بإرادة الله وتقديره لقبول دعوة الإسلام الذي هو دين الفطرة، والهادي إلى طريق الحق والرشاد بأن وجد في نفسه انشراحاً واتساعاً بما يشعر به قلبه من السعادة والانبساط.

*قال البغوي: "فمن يرد الله أن يهديه ويعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان، يشرح صدره للإسلام أي يفتح قلبه أي يتسع؛ وينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياً للحلول فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه؛ وإليه أشار حين سئل ﷺ عن شرح الصدر قال: (نور يقدسه الله في قلبه المؤمن فينشرح له وينفسخ قبله لئلا يهلك أمانة قال نعم الإجابة إلى دار الخلود والتجاوي من دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت)^(٢)، ينبو عن (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) بحيث قبول الحق فلا يدخله الإيمان. وقرأ عمر بن الخطاب ﷺ هذه الآية فسأل أعرابياً من كنانة ما الحرجة فيكم قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال: عمر ﷺ كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ضيقاً) خفيف، والباقون بالتشديد وهما لغتان مثل هينٌ وهينٌ ولينٌ ولينٌ. قال ابن عباس: إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه وإذا ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك، كأنما يصعد في السماء، وقرأ ابن كثير، ويصعد بالتخفيف، وسكون الصاد والعين أي يتصعد يعني يشق عليه الإيمان كما يشق عليه صعود السماء، وأصل الصعود المشقة، ومنه قوله تعالى: (سَأْرَهُقُ صَعُودًا) [المدثر ١٧] أي عقبة شاقة. (٣)

أفادت قراءة (حرجاً) قرأ أهل المدينة، بكسر الراء والباقون بفتحها وهما لغتان أيضاً مثل الدنف والدنف المصدر كالطلب ومعناه ذا حرج وبالكسر الاسم وهو أشد الضيق يعني يجعل قلبه ضيقاً

(١) انظر: القاموس المحيط ص ٣٧٤. مادة صعد.

(٢) انظر: المستدرک (٣٤٦/٤). حديث رقم ٧٨٦٣. وطرق الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضها. تفسير ابن كثير (١٥٥/٢).

(٢) البيهقي (١٨٦/٣).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٥٦/٢).

حتى لا يدخله الإيمان؛ ليس للخير فيه منفذ.

*قال القرطبي: "وقرأ ابن كثير (ضيقاً) بالتخفيف، مثل هين ولين لغتان، ونافع (حرجاً) بالكسر معناه الضيق كمر المعنى، وحسن ذلك لاختلاف اللفظ، والباقون بالفتح جمع حرجة وهو شدة الضيق أيضاً، والحرجة الغيضة والجمع حرج وحرجات ومنه فلان يتخرج أي يضيق على نفسه في تركه هواه للمعاصي، والحرج موضع الشجر الملتف فكأن قلب الكافر لا تصل إليه الحكمة كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي التف شجره؛ وقرئ (يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا) وحرجاً هو بمنزلة الوحد والوحد والفرْد والفرْد والذئف والذئف في معنى واحد؛ وقد حرج صدره يخرج حرجاً والحرج الإثم والحرج أيضاً الناقة الضامرة". (١)

أفادت (يَصْعَدُ) بالتشديد وأصله يتصعد ومعناه يتكلف ما لا يطيق مرة بعد مرة كما يتكلف من يريد الصعود إلى السماء، وقيل المعنى على جميع القراءات كاد قلبه يصعد إلى السماء نُبوًّا^(٢)

على الإسلام وما في كأنما هي المهية لدخول كأن على الجمل الفعلية. (٣)

أفادت قراءة (يَصْعَدُ) بإسكان الصاد مخففاً من الصعود، وهو الطلوع؛ شبه الله الكافر في نفوره من الإيمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه كما إن صعود السماء لا يطاق. (٤)

أفادت قراءة (يَصَاعِدُ) و(يَصْعَدُ) واحد والمعنى فيهما أن الكافر من ضيق صدره كأنه يريد أن يصعد إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك. (٥)

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية، فالقراءات وقد زادت المعنى وضوحاً، فمن قرأ بفتح الراء من حرج فهي صفات للمصدر جاءت خبراً بعد خبر (ضيقاً) بعد (حرجاً) كما في قوله: (يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا) و(كأنما يَصْعَدُ) في محل نصب الحال؛ لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع يبعد من الاستطاعة، وهو لون من الإعجاز العلمي حيث إنه كلما ارتفعنا إلى أعلى قلت الجاذبية الأرضية، وتضيق عنه القدرة البشرية وقد شبه - جل ذكره - الكافر في نفوره عن الإيمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيق، ومن قرأ بالتشديد وألف، بناه على مستقبل (تصاعد) فأدغمت التاء في الصاد إدغام تقارب وأصله (تصاعد) وفيها معنى

(١) تفسير القرطبي (٧٣/٤).

(٢) معنى نُبُوًّا: من (النبى) بغير الهمز ومنه النبوة والنباوة الارتفاع، ومنه يقال نبا بفلان مكانه انظر معجم مفردات الراغب ص ٥٠٣.

(٣) انظر: تفسير فتح القدير (١٦٠/٢).

(٤) انظر: تفسير الألوسى (٧-٢٣/٨).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٧٣/٤).

فعل شيء بعد شيء وذلك أثقل على فاعله، وأما من قرأ بالتشديد من غير ألف، أي كالذي قبله، ومعناه يتكلف ما لا يطيق شيئاً بعد شيء.^(١) والجدير ذكره أن جميع القراءات أفادت بأن حال الكافر واحدة؛ بإعراضه عن الحق بحال من يصعد السماء ويتكلفه مرة بعد مرة وهو أمر لا يطاق وهذا أمر شاق فرضه على نفسه، والتضعيف أفاد التكثر والكلفة من الأمر ذاته، وتدرجه واستمراره^(٢) فالارتفاع في الجو لمسافات عالية يسبب ضيقاً في التنفس وشعوراً بالاختناق يزداد كلما ارتفع حتى يصل الضيق إلى درجة حرجة وصعبة جداً، وهذا ما يحققه الإعجاز في تلك القراءات القرآنية المتواترة الدالة على صحة القرآن وصلاحيته لكل زمان ومكان.

٣٧ - ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْرَهْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمِعْ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام ١٢٨].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حفص (يَحْشُرُهُمْ) بالياء.

٢. قرأ الباقون (نَحْشُرُهُمْ) بالنون. (٣)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{حَشَرَ}: الحشر الجمع مع سوق، وكل جمع حشر، والعرب تقول حشرت مال بني فلان السنة كأنها جمعت، وذهبت به وأنت عليه. وحشَرَ الناس جمعهم وبابه ضرب، ونصر ومنه يوم الحشر قال عكرمة: (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) [التكوير ٥] وحشرها موتها. (٤)

(١) انظر: الكشف (٤٥١/١).

(٢) انظر: القراءات وأثرها (٩٠٤/٢). الإعجاز العلمي ص ١٣٩.

(٣) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢).

(٤) انظر: مختار الصحاح ص ١٣٧. للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي رحمه الله تعالى. عُنِيَ بِتَرْتِيْبِهِ. محمود خاطر راجعته وحققته لجنة من علماء العربية. دار الفكر-بيروت.

والحشر إخراج الجماعة عن مقرهم، وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها، ولا يقال الحشر إلا في الجماعة، وسمي يوم الحشر يوم القيامة، ويوم البعث، ويوم النشر. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة هنا تصور لنا مشهداً من مشاهد التوبيخ والتفريع للضالين المضلين من التقلين وذلك على أعين الخلائق يوم القيامة وما أعد من العذاب للمجرمين، وما أعد من الثواب والنعيم في دار السلام للمؤمنين، وذلك بذكر ما يكون قبل هذا الجزاء من الحشر والحساب، وإقامة الحجة على الكفار، وسنة الله في إهلاك الأمم.

*قال ابن كثير: "واذكر يا محمد فيما تقصه عليهم وتذرهم به، ويوم يحشرهم جميعاً يعني الجن وأولياءهم من الأنس الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ويعوذون بهم ويطيعونهم ويوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس أي ثم يقول يامعشر الجن وسياق الكلام يدل على المحذوف، ومعنى قوله قد استكثرتم من الإنس أي من إغوائهم وإضلالهم كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [يس ٦٠] وعن ابن عباس: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْتَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ) يعني أضللتهم منهم كثيراً (وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس. (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يَحْشُرُهُمْ) بالياء يعني المشركين وشياطينهم الذين كانوا يوحون إليهم بالمجادلة، أي يحشرهم جميعاً وقال مقاتل: يعني الملائكة ومن عبدها ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون وهذا استفهام تقرير وتوبيخ للعابدين فنزهت الملائكة ربها عن الشرك فقالوا سبحانك. (٣)

أفادت قراءة (نَحْشُرُهُمْ) بالنون على التعظيم وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن وغيرهم. (٤)

*قال الألوسي: "ويوم يحشرهم جميعاً نصب على الظرفية والعامل فيه مقدر أي اذكر

أوتقول

(١) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٨.

(٢) تفسير ابن كثير (١٥٦/٢).

(٣) انظر: تفسير زاد المسير (١٢٤/٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٧٦/٤).

أو كان ما لا يذكر لفظاعته، وجوز أن يكون مفعولاً به لمقدر أيضاً أي اذكر ذلك اليوم، والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقيلين وقيل للكفار، وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب (يحشر) بالياء، والباقون بنون العظمة على الالتفات لتحويل الأمر، وقوله ﷺ: (يا معشر الجن) على إضمار القول والمعشر الجماعة أمرهم واحد، المقصود بالنداء الأشرار الذين يغوون الناس فإنهم أهل الخطاب بقوله سبحانه: (قَدْ اسْتَكْرَثُتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ) أي أكثرتم من إغوائهم وإضلالهم كما قال الزجاج: فالكلام على حذف مضاف أو منهم بأن جعلتموهم أتباعهم فحشروا معكم، كما يقال استكثر الأمير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتفريع". (١)

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية تبين أن الأسلوب فيه التفات من ياء الخطاب (يَحْشُرُهُمْ) إلى نون العظمة (نَحْشُرُهُمْ) ليفيد التوبيخ والتفريع ففي كل من القراءتين توبيخ للجن والإنس؛ فتوبيخ للجن وإنكار لهم أي كان أكثر الناس طوعاً لكم، وتوبيخهم يشمل الشياطين، وهم يغوون الناس، ويطوعونهم بالسوسة والتخييل، والإرهاب والمس وغيره، وتوبيخ

للإنس الذين أطاعوهم واتبعوهم وأفرطوا في مرضاتهم، ولم يسمعوا من يدعونهم إلى نبذ متابعتهم، وفي ذلك تدرج في التوبيخ وقطع المعذرة من أجل استمتاع كل طرف منهما بالآخر فالجن يُكثِّرون أتباعهم والإنس يستمتعون بشهواتهم؛ وفي الالتفات عظمة للحاشر وذل للمحشورين. (٢)

٣٨ - ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعام ١٣٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر والمدنيان ويعقوب وحفص (عَمَّا تَعْمَلُونَ) في الخطاب.

٢. قرأ الباقر (عَمَّا يَعْمَلُونَ) بالغيب. (٣)

(١) انظر: تفسير الألويسي (٣٥/٨).

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٦٨/٥).

(٣) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{عَمَلَ}: العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد فهو أخص من الفعل لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب الجمادات، والعمل قلما ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل في الحيوانات، والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تبين عدالة السماء في منازل ومراتب العاملين في طاعة الله أو العاصين له؛ حيث إنَّ كلاً منهم يبلغ مرتبته حسب ما يثيبه الله ويبلغه، إن خيراً فخير وهي درجات في الجنة، وإن شراً فشر وهي درجات في النار.

*قال القرطبي في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي من الجن والإنس كما قال في آية أخرى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [الأحقاف ٥] قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَيُوفِّيهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَّا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف ١٩] وفي هذا ما يدل على أن المطيع من الجن في الجنة والعاصي منهم في النار كالإنس سواء، وهو أصح ما قيل في ذلك فاعلمه، ومعنى ولكل درجات أي ولكل عامل بطاعة درجات في الثواب ولكل عامل بمعصية درجات في العقاب، وما ربك بغافل أي ليس بلاه ولا ساه، والغفلة أن يذهب الشيء عنك لاشتغالك بغيره عما يعملون". (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَعْمَلُونَ) بالتاء أسلوب الخطاب.

وأفادت قراءة (يَعْمَلُونَ) أسلوب الغيبة .

*قال ابن الجوزي في تفسيره: ﴿(وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا) وما ربك بغافل عما يعملون قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا أي لكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته، درجات أي منازل

يبلغها بعمله إن كان خيراً فخييراً وإن كان شراً فشرراً، وإنما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج قوله تعالى: (عما يعملون) قرأ الجمهور بالياء وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب.(٣)

(١) انظر: لسان العرب (٤٧٥/١١) مادة عمل.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧٩/٤).

(٣) تفسير زاد المسير (١٢٦/٣).

*قال الألويسي: "ولكل من المكلفين جناً كانوا أو إنساً درجات أي مراتب، فيتناول الدرجات حقيقة أو تغليباً مما عملوا أي من أعمالهم سالحة كانت أو سيئة أو من أجل أعمالهم أو من جزائها، ف (من) إما ابتدائية أو تعليلية أو بيانية بتقدير مضاف (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) فلا يخفى عليه ﷻ عمل عامل أو قدر ما يستحق به من ثواب أو عقاب، وقرأ ابن عامر (تعملون) بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة، ولو أريد شمول يعملون بالتحتية للمخاطب بان يراد جميع الخلق فلا مانع من اعتبار تغليب الغائب على المخاطب وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم أي وينشيء من بعد إذهابكم ما يشاء من الخلق وإيثار (ما) على (من) لإظهار كمال الكبرياء وإسقاطهم عن رتبة العقلاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين".(١)

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية أن كلتا القراءتين (يعملون، تعملون) فيه دليل على شمول علم الله في إثبات أعمال الخلق من أهل الخير وأهل الشر وأنه لا يغفل عن طاعة جلّت أم صغرت أو معصية كبرت أم صغرت أتى بها وجازى بها إن خيراً فخير وإن شراً فشره الخطاب يكون أعم وأشمل في التهديد والوعيد، وأكثر وقعاً على النفس ولولا هذا الالتفات لفات هذا المعنى النبيل.(٢)

٣٩- ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ

عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿﴾ [الأنعام ١٣٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو بكر بالألف (مَكَانَاتِكُمْ) على الجمع.
٢. قرأ الباقر (مَكَانَتِكُمْ) بغير ألف على التوحيد.
١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (مَنْ يَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) بالياء على التذكير.

(١) تفسير روح المعاني (٧-٢٨/٨).

(٢) القراءات وأثرها في علوم اللغة (١١١/٢).

٢. قرأ الباقر (مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) بالتاء على التأنيث. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{مكن}: مَكَّنَهُ اللهُ من الشيء تمكيناً، أمكنه منه بمعنى استمكن الرجل الشيء، (تمكن) منه، وفلان لا يمكنه النهوض أي لا يقدر عليه، ويراد به أمكنه أي على مواضع، يقال الناس على مكناهم أي على استقامتهم. (٢)

مكانة: والمكانة كناية عن الحالة لأن أحوال المرء تظهر في مكانه ومقره، يقال فلان على مكانتك أي اثبت على ما أنت عليه ولا تتحرف عنه. (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية: فقد تضمنت الآية أمر الله تعالى للرسول ﷺ أن يقول للمشركين من قومه، وهم كفار قريش بمكة (اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ) ما دتم مصرين على الكفر والشرك (إِنِّي عَامِلٌ) على مكنتي، والجملة تحمل التهديد الشديد من النبي ﷺ وهو واثق من نصره الله وحسن عاقبته ﷺ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار، وهي الجنة دار السلام أنا أم أنتم، مع العلم أن الظالمين لا يفلحون بالنجاة من النار ودخول الجنان، ولا شك أنكم أنتم الظالمون بكفركم بالله تعالى وشرككم به. (٤)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (مَكَانَاتِكُمْ) بالجمع حيث كان أي على تمكنكم قال عطاء: أي على حالاتكم التي أنتم عليها أي اعملوا على ما أنتم عليه، وهذا أمر وعيد عن المبالغة، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ قل لهم اعملوا على ما أنتم عاملون إني عامل ما أمرني به ربي ﷻ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار أي الجنة. (٥)

أفادت قراءة (يُكُونُ) بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث العاقبة، أنه لا يفلح الظالمون، قال ابن عباس: معناه لا يسعد من كفر بي وأشرك ويكون بالتحنية لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي، إنه أي الشأن لا يفلح الظالمون.

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢).

(٢) انظر: مختار الصحاح ص ٦٣٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٩١/٥).

(٤) انظر: أيسر التفاسير (١٢٢/٢).

(٥) انظر: تفسير البغوي (١٩٢/٣). وتفسير الألويسي (٣١/٨-٧). وتفسير القرطبي (٥٠/٤).

* قال أبو السعود: "يا قوم اعملوا على مكانتكم إثر ما بين لهم حالهم ومآلهم بطريق الخطاب أمرٌ بطريق التلوين بأن يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بأمره وعدم المبالاة بهم، أي اعملوا على غاية تمكنكم، ويقال يمكن له مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن أو على جهنكم وحالتكم التي أنتم عليها، وقرئ مكاناتكم، والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم إني عامل ما أمرت به من الثبات على الإسلام والاستمرار على الأعمال الصالحة، وإيراد التهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه، (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني و(من) إما استفهامية معلقة لفعل العلم، محلها الرفع على الابتداء، وتكون باسمها وخبرها خبراً لها، وهي مع خبرها في محل نصب لسدها مسد مفعول، أي: فسوف تعلمون أينما تكون له العاقبة الحسنی التي خلق الله تعالى هذه الديار لها، وإما موصولة فمحلها نصب على أنها مفعول لتعلمون، فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وتنبية على كمال وثوق المنذر بأمره، ومن قرأ بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي، إنه أي الشأن، لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر". (١).

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية، يظهر أن التهديد والوعيد يشمل الفرد منهم كما الجماعة، فقراءة مكاناتكم على جمع المكانة، لكل أحد منهم، وقراءة مكانتكم على الأفراد، هو أمر منه سبحانه بوعيدهم وتهديدهم لا إطلاق لهم في عمل ما أرادوا من معاصي الله، حيث إن - ملة الكفر واحدة - كانت على سبيل المكانة أو المكانات؛ وفي القراءتين ثبات علي المبدأ، وتمكين له؛ أما قراءة (تكون له عاقبة الدار) فوجه التأنيث هو اللفظ، ومن قرأ بالياء فوجه التذكير أنه ليس بتأنيث حقيقي؛ وفي القراءتين (تكون، يكون) هو تأكيد مضمون الجملة،

أي فسوف تعلمون أيُّنا له العاقبة الحسنة، مع الإنذار بالتهديد والوعيد وامتناع الفلاح الذي يترتب على الفرد والجماعة من أهل الظلم.(٢)

(١) تفسير أبو السعود (٢٨٨/٢). المسمى تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تحقيق . عبد القادر أحمد عطا . دار الفكر - الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
(٢) انظر: تفسير المقتطف (١٧٣/٢).

٤٠ - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ
وَهَذَا لِلشُّرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى
شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام ١٣٦].

أولاً: القراءات:

١. قرأ الكسائي (بِزُعْمِهِمْ) بضم الزاي.
٢. قرأ الباقر (بِزَعْمِهِمْ) بفتحها. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{زَعَمَ}: الزعم الظن، وأصله الكذب. (٢)
والزَعَم حكاية قول يكون مظنة للكذب، أو إما من الزعامة أي الكفالة أو من الزعم بالقول. (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تكشف عن طبيعة المشركين في بيان سفاهة عقولهم وكبير جهلهم تنفيراً منهم ومن سائر العرب الذين نهجوا نهجهم بعد بيان مثال الظالمين وظلمهم في كثير من عباداتهم في الحرث والأنعام والحلال والحرام بباعث الأهواء النفسية والخرافات والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان.

*قال المراغي: " (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) أي جعل هؤلاء المشركين لله نصيباً مما خلق من ثمر الزرع وغلته كالتمر والحبوب ونتاج الأنعام، ونصيباً لمن أشركوا معه من الأوثان والأصنام، فقالوا في النصيب الأول (هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ) أي نتقرب به إليه، وفي النصيب الثاني (وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا) أي لمعبوداتنا نتقرب به إليها، وهذا بتقولهم الذي لا بينة لهم عليه ولاهدى من الله؛ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢).

(٢) انظر: لسان العرب (٢٦٦/١٢) مادة زعم.

(٣) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢١٧.

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. " (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

*قال أبو حيان: " قرأ الكسائي (بِزُعْمِهِمْ) بضم الزاي وهي لغة بني أسد، والفتح لغة الحجاز، وبه قرأ باقي السبعة وهما مصدران، وقيل الفتح في المصدر والضم في الاسم. (٢)

*قال السمين الحلبي: "وقوله (بزعمهم) فيه وجهان: أحدهما أنه يتعلق بـ (قالوا) أي قالوا ذلك القول بزعم، لا بيقين واستبصار، وقيل هو متعلق بما تعلق به الاستقرار من قوله تعالى: (الله) وقرأ العامة بفتح الزاي (بِزُعْمِهِمْ) وهي لغة الحجاز، والباقيون (بِزُعْمِهِمْ) وقرأ الكسائي (بِزُعْمِهِمْ) بضم الزاي وهي لغة بني أسد، وهل الفتح والضم بمعنى واحد؟ أو المفتوح مصدر والمضموم اسم". (٣)

* (الزُعْمِي) بضم الزاي المشددة، وسكون العين، وكسر الميم، الكذاب (بِزُعْمِهِمْ) قرأ الكسائي بضم الزاي. (٤)

* قال الأزهري: " قرأ الكسائي بِزُعْمِهِمْ بضم الزاي، وقرأ الباقيون بِزُعْمِهِمْ، قال أبو منصور: وهما لغتين زَعَمَ وَزَعَمٌ". (٥)

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن القراءتين - بعد البحث والتحري - تبين أنهما لغتان بمعنى واحد وهو الكذب والافتراء.

* من اللطائف والإشارات:

في الآية لفتة رائعة تبين الفرق الشاسع بين سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي أراد قتل ولده إسماعيل وذبحه وبين قتل هؤلاء المشركين لقتل أولادهم فالنموذج الأول: عليه السلام فهو طاعة لله وإمتثالاً لأمره إلا أن فداه الله بذبح عظيم فكان رهن الإشارة الشريفة.

أما النموذج الثاني: فهم الذين ذبحوا وقتلوا أولادهم بوحى الشياطين وزعمهم أنهم فعلوا ذلك باسم الدين.

(١) تفسير المراعي (٧-٤٢/٩).

(٢) البحر المحيط (٤/٦٥٥).

(٣) الدر المصون (٣/١٨٥).

(٤) انظر: الغاية في القراءات العشر ص ١٥٠. للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المتوفى ٣٨١هـ. تحقيق محمد غياث الجنابز. راجعه فضيلة الشيخ سعيد عبد الله العبد الله. الرياض - شركة العبيكان للطباعة والنشر. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: انظر الغاية.

(٥) معاني القراءات ص ١٧٠. انظر: الكشف (١/٤٥٣). والقراءات وأثرها في العلوم العربية (١/٢٨٤). وإملاء ما من به الرحمن (١/٢٦٩).

٤١ - ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ

وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام ١٣٧].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر (زَيْنَ) بضم الزاي وكسر الياء، ورفع لام (قَتَلَ) ونصب دال (أَوْلَادِهِمْ) وخفض همزة (شُرَكَاؤُهُمْ).

٢. قرأ الباقون (زَيْنَ) بفتح الزاي والياء (أَوْلَادِهِمْ) بالجر، و (شُرَكَاؤُهُمْ) بالرفع. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{زَيْنَ}: الزاي والياء والنون أصل صحيح يدل على حسن الشيء وتحسينه، فالزَيْن نقيض الشين، ويقال زينت الشيء تزييناً وازينت الأرض وازدانت إذا حسنها عشبها. (٣)
{شُرِكْ}: الشركة والمشاركة خلط الملكين، وقيل هو أن يوجد شيء لاثنتين فصاعداً؛ وجمع الشريك شركاء، وأشرك بالله جعل له شريكاً في ملكه، تعالى الله علواً كبيراً. (٤)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن الشياطين وحالها مع المشركين من البشر، بتزيين أفعالهم المشينة كقتل أولادهم بالوآد ونحرهم للآلهة من الجن أو السدنة.

*قال ابن كثير: "وزينت الشياطين لهؤلاء أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً كذلك زينوا لهم قتل أولادهم، خشية الإملاق ووأد البنات خشية العار، وعن ابن عباس كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم زينوا لهم قتل أولادهم وقال مجاهد: شركاؤهم شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خشية العيلة وقال السدي: أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات وإما ليردوهم فيهلكوهم وإما ليلبسوا عليهم دينهم أي فيخلطون عليهم دينهم". (٥)

(١) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢). مجمع البيان (١٦١/٤).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤١/٣). لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٤) انظر: لسان العرب (٤٩٩/١٠) مادة شرك..

(٥) تفسير ابن كثير (١٦٠/٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة: (زَيْنَ لَكثيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ) قتل مفعول زين، أولادهم، شركاؤهم هو

فاعل (زَيْنَ)، (زَيْنَ) بالضم قتل بالرفع، أولادهم بالنصب، شركائهم بالجر، على إضافة القتل إلى الشركاء أي الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره، زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم، ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء، ولبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم، حتى زلوا عنه إلى الشرك. (١)

*قال صاحب الإملاء: "(كَذَلِكَ زَيْنَ) يقرأ بفتح الزاي؛ والياء على تسمية الفاعل وهو (شُرَكَاءُهُمْ) والمفعول قتل، وهو مصدر مضاف إلى المفعول؛ ويقرأ بضم الزاي وكسر الياء على ما لم يسم فاعله، وقاتل بالرفع على أنه القائم مقام الفاعل، وأولادهم بالنصب على أنه مفعول القتل، وشركائهم بالجر على الإضافة، وشركاؤهم بالجر أيضاً على البدل من الأولاد لأن أولادهم شركائهم في دينهم وعيشتهم، وغيرهما ويقرأ كذلك إلا أنه برفع الشركاء، وفيه وجهان:

أحدهما أنه مرفوع بفعل محذوف كأنه قال: من زينة؟ فقال شركاؤهم: أي زينة شركاؤهم، والقتل فيهذا كله مضاف للمفعول.

والثاني: أن يرتفع شركاؤهم بالقتل، لأن الشركاء تثير بينهم القتل قبله، ويمكن أن يكون القتل يقع منه حقيقة؛ وَلِيَلْبَسُوا بكسر الباء من لبست الأمر؛ وَلِيَلْبَسُوا بفتح الباء في الماضي إذا شبهته". (٢)

*قال ابن الجوزي: وهكذا زين وقرأه الجمهور (زَيْن) بفتح الزاي والياء، ونصب اللام من (قتل) وكسر الدال من أولادهم ورفع الشركاء وجه هذه القراءة ظاهر، وقرأ ابن عامر بضم زاي (زَيْن)، ورفع اللام من قتل، ونصب الدال من (أولادهم) وخفض الشركاء قال أبو علي الفارسي: ومعناها قتل شركائهم أولادهم ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به وهذا قبيح قليل في الاستعمال وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: زَيْنَ بالرفع، قتل بالرفع أيضاً، أولادهم بالجر، شركاؤهم رفعاً قال الفراء رفع القتل إذ لم يسم فاعله ورفع الشركاء بفعل نواه كأنه قال زينه لهم شركاؤهم. وكذلك قال سيبويه في هذه القراءة قال: كأنه قيل من زينه فقال شركاؤهم قال مكي بن أبي طالب. وقد روي عن ابن عامر أيضاً أنه قرأ بضم الزاي ورفع اللام وخفض الأولاد والشركاء فيصير الشركاء اسماً للأولاد لمشاركتهم للأباء في النسب والميراث والدين. (٣)

- (١) انظر: تفسير النسفي (١-٣٥/٢). المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل. للإمام الجليل أبي البركات عبد الله النسفي. دار الفكر. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير النسفي.
- (٢) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب ١-٢/٢٦٩.
- (٣) تفسير زاد المسير (٣-١٢٩-١٣٠). و انظر: تفسير البيهقي (٣/١٩٣).

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بين القراءتين تفسيرية توضح أن الشركاء

لما زينوا القتل جعلوا هم القاتلين، وإن لم يكونوا مباشري القتل الفعلي، وهو مثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القرابين بين الله وبين آلهتهم، وذلك التزيين العجيب بواد الأبناء

وتقديمهم قرابين للآلهة. وفي البناء للمجهول أسلوب التفات غرضه تحقير الفاعل وتعظيم لفعلة المشينة، وهو القتل المباشر، أو تزيين القتل للشركاء. (١)

٤٢ - ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحْرَمٌ عَلَيْنَا أَوْ أَجْنَانَا

وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿ [الأنعام ١٣٩].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو جعفر وابن عامر عن هشام، وأبو بكر (وَإِنْ تَكُنْ مَيْتَةً) بالتاء على التأنيث.

٢. قرأ الباقون (وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً) بالتذكير.

١. قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر (مَيْتَةً) برفع التاء؛ وأبو جعفر (مَيْتَةً) على أصله في

تشديد التاء.

٢. قرأ الباقون (مَيْتَةً) بالنصب. (٢)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{المَيْتَةُ}: مؤنث الميت، هو الحيوان الذي مات حتف أنفه، أو على هيئة غير شرعية وجمعها مَيَّات والمَيْتَةُ: حالة الموت وهيئته. (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة عبارة عن بيان لقبائح القوم من التشريعات التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ حيث

(١) انظر: اللمع البهية ص ٢٧٠. انظر تفسير البحر المحيط (٦٥٧/٤).

(٢) النشر في القراءات العشر (١٩٩/٢). انظر غيث النفع في القراءات السبع ص ١٠٩.

(٣) منجد الطلاب ص ٧٥٢.

قالوا ما في بطون هذه السوائب والبحائر حلال لذكورنا محرم على إناثنا.

*قال سعيد حوى: "عن ابن عباس هو اللبن، كانوا يجرمونه على إناثهم، ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه، وكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى، تركت فلا تذبح، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء، فنهى الله عن ذلك؛ وقال الشعبي: البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء، فالإنسان عندما يشرع لنفسه تخرج منه الأعاجيب؛ فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين نتلقى عن رب العالمين". (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً) بالتذكير، (مَيْتَةً) بالنصب؛ وذلك مردود على لفظ (ما) المعنى:

وإن يكن ما في بطون هذه الأنعام ميتة. (٢)

وأفادت قراءة (وَإِنْ تَكُنْ مَيْتَةً) بالتاء، والمعنى: وإن تحدث وتقع، فجعل كان تامة لا تحتاج إلى

خبر (ومَيْتَةً) بالنصب والمعنى وإن تكن الأنعام التي في البطون ميتة. (٣)

*قال الالوسي: "وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر (وَإِنْ تَكُنْ مَيْتَةً) بالتاء مية بالرفع، وابن كثير (وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً) بالياء (ومَيْتَةً) بالرفع، وأبو بكر عن عاصم (تكن) بالتاء كابن عامر (مَيْتَةً) بالنصب، قال الإمام: وجه قراءة ابن عامر أنه ألحق الفعل علامة التأنيث لما كان مؤنثاً في اللفظ، ووجه قراءة ابن كثير أن مية اسم (يكن) وخبره مضمر، أي إن يكن لهم أو هناك مية وذكر لأن المية في معنى الميت وقال أبو علي الفارسي: لم يلحق الفعل علامة التأنيث لأن تأنيث الفاعل المسند إليه غير حقيقي ولا تحتاج كان إلى خبر؛ لأنها بمعنى وقع وحدث، ووجه القراءة الأخيرة أن المعنى وإن تكن الأجنة أو الأنعام مية". (٤)

*قال ابن خالويه: "الحجة لمن رفع أنه جعل كان بمعنى: حدث ووقع، فلم يأت لها بخبر، والحجة لمن نصب أنه أضمر في يكون الاسم، وجعل مية الخبر لتقدم قوله تعالى: (مَا

(١) الأساس في التفسير (١٧٦٩/٣). سعيد حوى دار السلام - القاهرة. الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

(٢) تفسير زاد المسير (١٣٣/٣). والتفسير البغوي (١٩٤/٣).

(٣) حاشية الشهاب (٢١١/٤). المسماة عنابة القاضي وكفاية الراضي. للقاظمي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي على تفسير البيضاوي. ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق المهدي. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. وحيثما تأتي سأكتفي بقولي: حاشية الشهاب.

(٤) تفسير الالوسي (٣٦/٨-٧).

فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ" (١).

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية حيث إن القراءتين تؤكدان ظلم هؤلاء الشركاء وافتراءهم على الله بمقترحاتهم الجائرة، فمن أنت فباعثار اللفظ، ومن ذكر فباعثار المعنى وكلا المعنيين واحد وهو تحريم النعم على الذكور وجعلها خالصة للإناث، وهو عين الظلم والافتراء فهؤلاء الكفار قد إجتروا على الله وأشركوا معه غيره، وحلوا وحرموا وهذا عين الاعتداء على دلائل الوجدانية. (٢)

٤٣ - ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلًّا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتَاهُ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأَنْعَامُ ١٤١].

أولاً: القراءات:

١. قرأ البصريان وابن عامر وعاصم (حَصَادِهِ) بفتح الحاء.
٢. قرأ الباقون (حِصَادِهِ) بكسر ها. (٣)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{حصد}: الحَصْدُ: جزك^(٤) البر ونحوه من النبات، وحصده: قطعه بالمنجل وحصده واحتصده

-
- (١) انظر: الحجة ص ٨٢. الحجة في القراءات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن خالويه. تحقيق أحمد فريد المزيدي، قدم له، د. فتحي حجازي. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. وحيثما تأتي سأكتفي بقولي: الحجة.
 - (٢) انظر: المستنير (١٧٧/١).
 - (٣) النشر في القراءات العشر (٢٠٠/٢).
 - (٤) جزك: من جز الصوف أو العشب أو النخل. قطعه. انظر منجد الطلّاب ص ٨١.
- بمعنى واحد. (١)

حصد: أصل الحصد قطع الزرع، وزمن الحَصَادِ، والحِصَادِ؛ وهو الحِصَادُ المحمود في إبانة. (٢)

(حَصَادِهِ وَحِصَادِهِ) وهما لغتان في المصدر، كقولهم جَدَاد، وجَدَاد، وَقَطَاف، وَقَطَاف، والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتقوية.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة دعوة للتفكير والتأمل مع النعم التي أنعم الله عليه وعلينا لنعبده وحده لا شريك له. وشكر الله بأداء الزكوات وإعطاء الفقراء والمساكين نصيبهم من الثمر يوم حصاده مع تنقيته لتعم الفائدة ولتحصل مقاصد الشريعة الغراء.

* قال أبو بكر الجزائري: "(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ) أي محمول شجرها على العروش التي توضع للعنب ليرتفع فوقها، وغير معروشات أي غير معرش لها، وأنشأ النخل والزرع مختلف ثماره وطعمه، وأنشأ الزيتون والرمان متشابهاً في الورق، وغير متشابه في الحب والطعم أيضاً وأذن تعالى في أكله وأباح، وهو ملكه وخلقه كلُّوا (مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ) أي نضج بعض النضج، وأمر بإخراج الواجب فيه وهو الزكاة فقال (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) أي بعد درسه وتصفيته إذ لا يعطي السنبل، ونهى عن الإسراف وهو تجاوز الحد في إخراج الزكاة، عن الغلو حتى لا يبقى لمن يعولون ما يكفيهم". (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (حَصَادِهِ) بكسر الحاء، وهي لغة فيه وعدل عن حصده وهو المصدر المشهور لحصد إليه لدلالته على حصد خاص، وهو حصد الزرع إذا انتهى وجاء زمانه كما صرح به سيبويه. (٤)

أفادت قراءة (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) بفتح الحاء يراد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدر؛ لأنها فرضت بالمدينة، والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية، والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتقية. (٥)

(١) انظر: لسان العرب (١٥٢/٣). مادة حصد.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٩.

(٣) انظر: أيسر التفاسير (١٣٠/٢).

(٤) انظر: تفسير الألوسي (٣٨/٨-٧).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٩٣/٤).

* قال البيضاوي: "(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ) أي هو الذي أنشأ جنات من الكروم معروشات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الأرض، والمعروشات قيل ما غرسه الناس فعرشوه، وغير معروشات مانبت في الجبال والبراري (وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) والنخل والزرع مختلفاً أكله، وثمره الذي يؤكل في الهيئة، ويقاس عليه الزرع والنخل والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه في اللون والطعم وقد لا يتشابه (كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ) أي كلوا

من ثمر كل واحد من ذلك إذا أثمر وإن لم يدرك ولم يَبْنَعْ بعد وهنا رخصة وسعة للأكل منه للمالك قبل أداء حقه (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدره، والأمر بإيئائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك؛ لا بالتنقية والمراد بالتنقية: تخليصه من القش ونحوه". (٣)

والذي تراه الباحثة هو الإسراع في الأداء، وحتى لا يؤخر عن وقته، ثم الحرص على التنقية لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية (حَصَادِهِ وَحَصَادِهِ) يتبين أن المصدر في القراءتين يدل على معني زائد على مطلق المصدر، فإن المصدر الأصلي إنما هو الحَصْد، والحَصْد ليس فيه دلالة على انتهاء زمان ولا عدمها، بخلاف الحَصَادِ، فلفظ الحَصَادِ يفيد التخييم في الصاد، وفي الحَصَادِ سبب للوجوب الموسع؛ وفي الحَصَادِ (التصفية أو التنقية) سبب للأداء، وقيل الحَصَادُ: هو مخصوص بالزرع، والحصد في اللغة عبارة عن القطع، وذلك يتناول (زكاة) الكل يعني المعروشات وغير المعروشات. (٢)

وهو حصد الزرع إذا انتهى وجاء زمانه كما صرح به سيبويه، حصد الزرع، والنبات يحصده بكسر الصاد (حصداً ، وحصاداً) بكسر الحاء، بكسرها: قطعه بالمنجل. (٣)

(١) تفسير البيضاوي يتصرف ص ١٩٣.

(٢) انظر: اللباب (٤٧٠/٨ - ٤٧١)

(٣) انظر: المغني ص ١١٠.

٤٤ - ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثَيَيْنِ

أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُنِي يَعْلَمُ إِنَّ كُتُبَ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام ١٤٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن كثير والبصريان وابن عامر (المعز) بفتح العين.

٢. قرأ الباقون (المَعَز) بسكون العين. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{معز}: والمعيز جماعة المعز كما يقال ضئيل لجماعة الضأن، ورجل ماعز معصوب الخلق والأمعز والمعزاء المكان الغليظ، واستمعز في أمره جد. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة بيان رباني يحمل في ثناياه التحذير من الشيطان ومكائده، ثم بالاستقهام المكلل بالتقريع والتوبيخ للعادلين بربهم الأوثان من عبدة الأصنام، لمن يحلّون ويحرمون ما لم ينزل الله به من سلطاناً.

والخطاب للمؤمنين وللنبي ﷺ بأن الله ﷻ أنشأ لهم جنات معروشات وغير معروشات وأنشأ لهم من الأنعام ثمانية أزواج أحل لهم أكلها، من الضأن اثنين ذكر وأنثى، ومن المعز اثنين ذكر وأنثى، يعني ثمانية أفراد، وكل فرد عند العرب يحتاج إلى آخر يسمى زوجاً. فيقال للذكر زوج ويقال للأنثى زوج، ويراد بالزوجين من الضأن الكبش والنعجة، ومن المعز التيس والعنز (قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثِيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ نَبِّؤُنِي بِعِلْمٍ) أي قل يا محمد على وجه التوبيخ والتقريع، قل من حرم ذكور الأنعام تارة وإنانها أخرى، ونسب ذلك إلى الله؛ الذكرين من الضأن والمعز حرم الله عليكم أم الأنثيين منهما، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، ذكراً كان أو أنثى، نبئوني عن كيفية تحريم ذلك. وكرر السؤال للتقريع والتوبيخ وبيان كذبهم وافتراءاتهم في التحليل والتحريم. (٣)

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٩٠.

(٣) انظر: تفسير الجلالين ص ١٨٨.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة أهل البصرة (المَعَز) بفتح العين، والباقون بسكونها (المَعَز) والمعز والمعزى جمع لا واحد له من لفظه وهي ذوات الشعر من الغنم، وجمع الماعز معزى وجمع الماعز موعز.

*قال ابن الجوزي: و(المَعَز) ذوات الشعر منها، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر

(المَعَز) بفتح العين. (١)

والمعنى (ومن المعز اثنتين) عطف على مثله، شريك له في حكمه، أي وأنشأ من المعز زوجين التيس والعنز، وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصاحب وحارس وحرس، وقرئ ومن المعزى، وهذه عرضة للأكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة، وهو السر في الاختصار على الأمر. (٢)

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة لغوية، وهما لغتان من لغات العرب بمعنى واحد، لما علم أنه لانظام لهم بل أهواء تشرع وشياطين تزين القتل والتخريب والتشويه والتزوير زادهم هنا في التوبيخ بقوله تعالى: (نَبِّؤُنِي يَعْلَمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) بعد أن ضعف لهم أمر الأنعام الذي شرعوا فيه الباطل .

٤٥ - ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلٍ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام ١٤٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر وحمزة (إلا أن تكون) بالتاء على التأنيث.
٢. قرأ الباقر (إلا أن يكون) بالياء.

(١) انظر: تفسير زاد المسير (١٣٨/٣).

(٢) انظر: تفسير أبو السعود ٢٩٣/٢.

١. قرأ أبو جعفر وابن عامر (مَيْتَةً) بالرفع.

٢. قرأ الباقر (مَيْتَةً) بالنصب. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{يكون}: أصله كون من كان وهو عبارة عما مضى من الزمان، وكان معناه حصل ووقع، والكون يستعمله بعض الناس في استحالة جوهر ما إلى ما هو دونه، وكثير من المتكلمين يستعملونه في معنى الإبداع. (١)

*المَيْتَة: مؤنث الميت، هو الحيوان الذي مات حتف أنفه، أو على هيئة غير شرعية، وجمعها مَيَّات. المَيْتَة: حالة الموت وهيئته. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة خطاب رباني موجه للنبي ﷺ بأن قل يا محمد لأهل الجاهلية الذين يستحلون أشياء ويحرمون أشياء، قل لهم (لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ) نبيهم بهذا على أن التحريم والتحليل إنما يثبت بالوحي وقال مجاهد: معنى الآية لا أجد محرماً مما كنتم تستحلون في الجاهلية إلا هذا، والمراد بالطاعم الأكل (إلا أن يكون ميتة) أي إلا أن يكون المأكول ميتة (أو دماً مسفوحاً) قال قتادة: إنما حرم المسفوح، فأما اللحم إذا خالطه دم فلا بأس به قال الزجاج: المسفوح المصبوب، وكانوا إذا ذكوا يأكلون الدم كما يأكلون اللحم، والرجس اسم لما يستقذر وللعذاب، أوفسقا المعنى: أن يكون المأكول فسقا (أهل لغير الله به) أي رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله فسمى ما ذكر عليه غير اسم الله فسقا والفسق الخروج من الدين. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

*قال ابن الجوزي: (ميتة) قرأ ابن كثير وحمزة إلا أن (يكون) بالياء ميتة، نصيباً، وقرأ ابن عامر إلا أن (تكون) بالتاء، ميتة بالرفع، على معنى إلا أن تقع ميتة أو تحدث ميتة.

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٦١.

(٣) منجد الطلاب ص ٧٥٢.

(٤) انظر: تفسير زاد المسير (٣/١٤٠).

*قال الألوسي: "وقرأ ابن كثير وحمزة (تكون) بالتاء لتأنيث الخبر، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر (يكون) ميتة بالياء ورفع (ميتة) وأبو جعفر يشدد أيضاً على أن (كان) هي التامة، (أو دماً) عطف على (ميتة) أو على أن ما في حيزه". (١)

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية، الغرض منه سبق الحديث عنه. (٢)

٤٦ - ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ١٥٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذا.

٢. قرأ الباقون (تَذَكَّرُونَ) بالتشديد. (٣)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{ذَكَرَ}: والذكر ذكران ذكرٌ بالقلب، وذكر باللسان، وكل واحد منهما ضربان، ذكرٌ عن نسيان
ذكرٌ لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ، والتذكرة ما يتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة
والإمارة. (٤)

* ذكر: ذَكَرْتُهُ، خلاف نسيته، ثم حمل عليه الذكر باللسان، ويقال اجعله منك على ذكرٍ، بضم
الذال، أي لا تنسه. (٥)

(١) انظر: تفسير الألويسي (٧-٨/٤٤)، وتفسير النسفي (١-٢/٣٨).

(٢) انظر: ص ١٥٤.

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠). انظر التيسير في القراءات السبع ص ٨٩. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: التيسير.

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٨٢. (٥) معجم مقاييس اللغة (٢/٣٥٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة توجيه رباني في المعاملات يتضمن التهديد والوعيد من اقتراب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، حتى يبلغ أشده، ثم إيفاء الكيل والعدالة والتسوية، علماً بأن إيفاء الحق عسير، فعليكم أيها البشر بما في وسعكم، وما وراءه مغفوراً عنه.

* قال مخلوف: " (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) أي احفظوه حتى يبلغ اللحم فإذا بلغه فادفعوه إليه، والأشد: قوة الإنسان وشدته واشتعال حرارته؛ من الشدة بمعنى القوة (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) أمر بإقامة العدل في التعامل وإيفاء الكيل والوزن بالعدل إتمامها بحيث يعطى صاحب الحق حقه من غير نقصان ولا بخس، ويأخذ صاحب الحق حقه من غير طلب زيادة (لَا نَكْفُفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) طاقتها وما تقدر عليه (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) وإذا قلتم قولاً في حكم أو شهادة فاصدقوا فيه وقلوا العدل (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا) أي أفوا بما عهد إليكم من هذه الأمور المعدودة. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال أي لتذكروه وتأخذوا به، وقد أوصاكم وأمركم به الله ﷻ وأكد عليكم فيه بـ (لعلكم تذكرون).
وأفادت قراءة (تَذَكَّرُونَ) بالتشديد ذلك كله. أصله تتذكرون فأدغم التاء الثانية في الذال أي أمركم به لتتعضوا. (٢)

* قال النسفي: " (لعلكم تذكرون) بالتخفيف حيث كان حمزة وحفص على حذف إحدى التاءين، غيرهم بالتشديد أصله تتذكرون فأدغم التاء الثانية في الذال أي أمركم به لتتعضوا. (٣)
قرأ حفص وحمزة والكسائي تذكرون بتخفيف الذال، إذا كان في أوله تاء، وشددها الباقيون (تَذَكَّرُونَ). (٤) (تَذَكَّرُونَ) قرأه حفص وحمزة والكسائي، تذكرون بتخفيف الذال على حذف إحدى التاءين استخفافاً، وذلك إذا كان أصله تتذكرون، وقرأ الباقيون بالتشديد في الذال وفي التشديد تكرير التذكر، وكأنه تذكر بعد تذكر، ليتفهم من خوطب بذلك. (٥)

(١) انظر: صفوة البيان ص ١٩٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٦٩/٢). وتفسير البغوي (٢٠٤/٣).

(٣) تفسير النسفي (٤٠/٢-١)، وتفسير البيضاوي ص ١٩٦.

(٤) انظر: التذكرة (٤١٢/٢). المسمى كتاب التذكرة في القراءات. تأليف الشيخ أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون، المقرئ المتوفى تسع وعشرين وثلاثمائة هـ. تحقيق د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم الزهراء للإعلام العربي - مصر. الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: التذكرة.

(٥) (٤٥٧).

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية، القراءتان يتبين أن كلا منهما تؤكد الأخرى وتزيد المعنى وضوحاً، فقراءة التخفيف هي ذكرٌ عن نسيان، قراءة التشديد هي ذكرٌ لا نسيان فيه؛ والحقيقة أن بناء تفعلٍ فيه تضعيف زائد يؤدي إلى التدرج أي حدوث شيءٍ بعد شيءٍ، كأنه تذكر بعد تذكر، لينفهم من خوطب بذلك؛ لأن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى وتؤكدده وخالصة القول التدرج في التذكر حتى يحصل الرسوخ لاجتماع التذكر على التذكر وهو المقصود القرآني للقراءات. (١)

٤٧- ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأأنعام ١٥٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة و الكسائي وخلف (إنَّ هذا) بكسر الهمزة.
٢. قرأ الباقون (أَنَّ هذا) بفتحها.
٣. قرأ يعقوب وابن عامر (أن هذا) خففا النون. (٢)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{أن، إن}: ينصبان الاسم ويرفعان الخبر. (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تشير إلى المحور الأساسي للسورة وهو محور العقيدة الغراء، فهي بأسرها تتحدث عن إثبات التوحيد، والنبوة، وبيان التشريع الإسلامي.

(١) انظر: بلاغة الكلمة ص ٤١.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠).

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٢. لزيادة المعرفة انظر ما سبق ذكره ص ١٢٦.

*قال المراغي: "إن هذا القرآن الذي أدعوكم إليه، وأدعوكم به إلى ما يحييكم، وهو صراطي ومنهجي الذي أسلكه، إلى مرضاة الله ونيل سعادة الدنيا والآخرة، وحال كونه مستقيماً لا يضل

سالكه، ولا يهتدي تاركه، فاتبعوه وحده، ولا تتبعوا السبل الأخرى التي تخالفه، وهي كثيرة، فتفرق بكم عن سبيله، بحيث يذهب كل منهم في سبيل ضلالة ينتهي بها إلى التهلكة، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال، أي إن هذا صراطي مستقيماً لا عوج فيه، فعليكم أن تتبعوه إن كنتم تؤثرون الاستقامة على الاعوجاج، وترجعون الهدى على الضلالة". (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة وأنّ بفتح الألف مع تشديد النون، قال الفراء: إن شئت جعلت أن مفتوحة بوقوع (اتل) عليها، وإن شئت جعلتها خفصاً على معنى ذلكم وصاكم به، وبأن هذا صراطي مستقيماً وقرأ ابن عامر بفتح الألف، أيضاً، إلا أنه خفف النون فجعلها مخففة من الثقيلة وحكم إعرابها حكم تلك،

وقرأ حمزة والكسائي بتشديد النون مع كسر الألف قال الفراء: وكسر الألف على الاستئناف. أفادت قراءة (إنّ هذا) بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرئ أن هذا مخففة من أن على أن اسمها ضمير الشأن محذوف. (٢)

*قال أبو حيان: " (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) قرأ الأخوان، (وإنّ هذا) بكسر الهمزة وتشديد النون على الاستئناف، فاتبعوه جملة معطوفة على الجملة المستأنفة، وقرأ الباقر بفتحها وخفف ابن عامر النون وشددها الباقر فأما تخفيف النون فعلى أنه حذف اسم إن وهو ضمير الشأن، وخرجت قراءة فتح الهمزة على وجوه أحدها: أن يكون تعليلاً حذف منها اللام تقديره (صراطي مستقيماً فاتبعوه) والوجه الثاني: أن تكون معطوفة على (أن لاتشركوا) فهو معطوف على البدل مما حرم وهو أن لاتشركوا". (٣)

*قال الدكتور محيسن: "قرأ نافع وابن كثير، وابو عمرو وعاصم، وأبو جعفر (وَأَنَّ) بتشديد النون، وذلك على تقدير اللام، أي ولأن هذا... الخ، (وهذا) اسم أن (وصراطي) خبرها (ومستقيماً) صفة، وقرأ ابن عامر ويعقوب (وَأَنَّ) بفتح الهمزة، وتخفيف النون، وذلك على

(١) تفسير المراغي (٧-٩٧٢).

(٢) انظر: تفسير زاد المسير (٣/١٥١). وتفسير أبو السعود (٢/٣٠٥).

(٣) تفسير البحر المحيط (٦٩١/٤).

أن (أن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، وقبل (أن) لام مقدره (وهذا) مبتدأ (وصراطي) خبر المبتدأ، والجملة من المبتدأ، أو الخبر خبر (أن) المخففة، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (إن) بكسر الهمزة وتشديد النون، فكسر الهمزة على الاستئناف، (وهذا) اسم أن (وصراطي) خبرها (ومستقيماً) صفة، واعلم (أن) مفتوحة الهمزة، مشددة النون معناها التوكيد وتعمل عكس عمل كان الناقصة التي تنصب الاسم وترفع الخبر". (١).

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية الغرض منهما التوجيه والإرشاد بأن الدين الإسلامي وما تضمنه من تشريع، وأوامر ونواه، هو الطريق المستقيم، فقراءة (إنّ هذا) بتشديد النون، فالكسر على الاستئناف (وهذا) اسم إن وصراطي خبرها. قراءة (أن هذا) بفتحها وتخفيف النون على (أن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف

و(هذا) مبتدأ (وصراطي) خبر، والجملة خبر (أن). وقرأ الباقون (أنّ هذا) بفتحها، وعلى تقدير اللام، أي ولأن هذا... كذا (وهذا) اسم (أن) و(وصراطي) خبرها. (٢) فجميع القراءات مفادها واحد أن الدين الإسلامي وما تضمنه من تشريع، وأوامر، ونواه، هو الطريق المستقيم، وما سواه اتباع الهوى، ونتيجته الخسران والضلال المبين، والله أعلى وأعلم.

٤٨ - ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ

يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا

خَيْرًا قُلِ انتظروا إنا منتظرون ﴿ [الأنعام ١٥٨].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ) بالياء على التذكير.

٢. قرأ الباقون (تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ) بالتاء على التأنيث. (٣)

- (١) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (١٨٠/٢). والتحرير والتنوير (١٧١/٥). ومجمع البيان (١٨٤/٤).
(٢) انظر: المستنير (١٨٢/١).
(٣) النشر في القراءات العشر (٢٠٠/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{أتى}: نقول أتاني فلانٌ إتياناً وأتياً وأتيةً وأتوةً واحدة، وإتيان مجيء السيل بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجهه، وإتيان يقال للمجيء بالذات وبأمر وبالتدبير ويقال في الخير وفي الشر وفي الأعراض وفي الأعيان. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تهديد ووعد أي يوم يأتي بعض أشراط الساعة لاينفع الإيمان نفساً كافرة آمنت في ذلك الوقت، ولا نفساً عاصية قصرت حتى اللحظة تلك.
قال تعالى يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) أي ماذا ينتظر مشركو مكة بعد تكذيبهم بالآيات، إلا أن تأتيهم ملائكة الموت لقبض أرواحهم، أو يأتي ربك، أي يأتي أشراط الساعة، وفُسر في الحديث بطلوع الشمس من مغربها، فمن آمن من شرك أوتاب من معصية عند ظهور بعض الآيات لايقبل منه؛ لأنه رجوع اضطراري كما لو أرسل الله عذاباً على قوم فأمنوا أوتابوا، فإنه لاينفعهم ذلك لمعاينتهم الأهوال والشدائد التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة، فالنفس التي لم تكن آمنت من قبل ولم يكن لينفعها إيمانها إن لم تكتسب فيه خيراً، ففي الآية وعيد للمكذبين، وتأسيس من إيمان مشركي مكة، وتمثيل بحال من ينتظر ذلك. (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ) لتقبض أرواحهم وقيل بالعذاب.
أفادت قراءة (يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ) يأتي ربك، أو يأتي بعض آيات ربك، لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة، أو يأتي بعض آيات ربك يعني طلوع الشمس من مغربها. (٣)

- (١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤ .
 (٢) صفوة البيان ص ١٩٧. صفوة البيان لمعاني القرآن. تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ. الشيخ حسين مخلوف، الكويت الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
 (٣) انظر: تفسير زاد المسير (١٥٦/٣).

* قال البيضاوي: "وقرأ حمزة والكسائي بالياء أويأتي أمر ربك القيامة، أو العذاب المستأصل كذلك، مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم". (١)

* قال الدكتور محمد سالم محيسن: قرأ حمزة والكسائي وخلف (يَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ) بالياء على تذكير الفعل؛ وقرأ الباقون (تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ) بالتاء على التأنيث، على تأنيث الفعل، وجاز تذكير الفعل وتأنيثه، لأن الفاعل (الملائكة) جمع تكسير، وإذا كان الفاعل جمع تكسير جاز في فعله التذكير والتأنيث. (٢)

* قال أبو السعود: إلا أن (تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ) العذاب، أويأتي أمر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل، وقرأ حمزة والكسائي (يَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ) لأن تأنيث الملائكة غير حقيقي، أويأتي بعض آيات ربك أي وهنا البعض للتخيم والتهويل. (٣)

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بلاغية حيث إن بين القراءتين أسلوب التفات من الغيبة إلى الخطاب، غرضه التخيم والتهويل، بل التهديد والوعيد، كما في الآية لف؛ حيث إنه لف الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً، إثارةً للبلاغة والإعجاز ولم يعقب عليه بالنشر؛ لأنّ المأل واحد والنتيجة واحدة. (٤)

٤٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى

اللَّهِ ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ [الأنعام ١٥٩].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي (فَارَقُوا) بالألف مع تخفيف الراء.
٢. قرأ الباقون (فَرَّقُوا) بغير ألف مع التشديد. (٥)

(١) انظر تفسير البيضاوي ص ١٩٧.

(٢) المغني (١١٤/٢). والقراءات وأثرها في علوم العربية (٨٥/٢).

(٣) انظر: تفسير أبو السعود (٣٠٨/٢).

(٤) اعراب القرآن الكريم وبيانه (٥٠٠/٢).

(٥) النشر في القراءات العشر (٢٠٠/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{فرق}: الفرق خلاف الجمع، فرَقَ للصَّلاح فرَقاً، وفرَقَ للإفساد تفرِيقاً، والفرق: أصيل صحيح

يدل على تمييز وتزييل بين شيئين من ذلك الفرق، فرق الشعر يقال: فرقته فرقا،

والفرق: القطع من الغنم، والفرق: الفلق من الشيء إذا انفلق. (١)

* الفرق يقارب الفلق لكن الفلق يقال اعتباراً بالانشقاق، والفرق يقال اعتباراً بالانفصال؛

والفرق الجماعة المتفرقة؛ والتفريق أصله للتكثير. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تحمل في طياتها تحذيراً وتهديداً من الفرقة والتشردم في الدين.

(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) أي فرقوا الدين فأصبحوا شيعاً وأحزاباً، قال ابن

عباس: هم اليهود والنصارى فرقوا دين إبراهيم الحنيف (لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) أي إنك يا محمد

بريء منهم ومن فعلتهم (إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ) يتولى جزاءهم ويعاقبهم على أفعالهم (ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ

بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) بأن يخبرهم بشنيع فعلتم يوم القيامة، قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ

افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة وافتترقت النصارى على

ثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم

في الهاوية إلا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابين إنما هو بالنظر إلى

العصر الماضي قبل النسخ وأما بعده فالكل في الهاوية وإن اختلفت أسباب دخولهم. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (فَرَّقُوا) بغير ألف مع التشديد أراد آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

وأفادت قراءة (فَارَّقُوا) بالألف مع تخفيف الراء، أراد باينوا، وفي المشار إليهم أربعة أقوال:

أحدها أنهم أهل الضلالة من هذه الأمة، قاله أبو هريرة، والثاني: أنهم اليهود والنصارى قاله

ابن عباس، والثالث: اليهود قاله مجاهد، والرابع: جميع المشركين، قاله الحسن فعلى هذا القول

دينهم الكفر الذي يعتقدونه ديناً وعلى ما قبله دينهم الذي أمرهم الله به والشيع الفرق

والأحزاب. (٤)

(١) انظر: لسان العرب (٢٩٩/١٠).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٩٢.

(٤) انظر: تفسير زاد المسير (١٥٨/٣).

(٣) انظر: تفسير الألوسي (٦٨/٨-٧). وتفسير البيضاوي ص ١٩٨.

وقيل (فَارَقُوا) بمعنى تركوا دينهم الذي أمروا به وكانوا شيعاً فرقاً تشايح كل إمامها، الذي أضل دينها، كل حزب بما لديهم فرحون.

* قال الألوسي: "قرأ حمزة والكسائي (فارقوا) بالألف أي باينوا فإن ترك بعضه وإن كان يأخذ بعض آخر منه. ترك الكل أو مفارقة له وكانوا شيعاً أي فرقا تشيع كل فرقة إماماً وتتبعه أو تقويه وتظهر أمره استمراراً بالعقاب عليه. (١)

والمعنى أن الذين (فَرَّقُوا) دينهم اختلفوا فيه وصاروا فرقاً، كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث الشريف^(٢): (افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلما في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلما في الهاوية إلا واحدة وهي السواد الأعظم وهي رواية، وهي ما أنا عليه وأصحابي). (٣)

* حيث إن الآية الكريمة باعتبار سياقها تصور ثلاث مواقف لهؤلاء الضالين الذين ينهاهم الله عن الوقوع في مغبة فعلاتهم، فهم قد فرقوا دينهم بأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض، ومن ثم فارقوا العمل به، حتى صار مآلهم شيعاً فتهود من تهود، وتنصر من تنصر ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون ٥٣] مع أن الدين واحد من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لا يختلف ولا يتفرق وإنما يتدرج قال تعالى: ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... ﴾ [المائدة ٣].

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية يتبين أن القراءتين بينهما إجمال وتفصيل، حيث إن قراءة (فارقوا دينهم) من المفارقة والفراق بمعنى أنهم تركوا دينهم وخرجوا منه، وأما قراءة (فرقوا) بمعنى التفريق أي آمنوا ببعض الدين وكفروا ببعضه من التفريق وإن كان يأخذ بعضاً منه تركاً للكل ومفارقة له، وفي كلا الحالتين بيان لكل من فارق دينه وتركه فمآله مآل من فرق في دينه فأمن ببعضه وكفر ببعض؛ وفي كلتا القراءتين تحذير من الحزبية والانشقاق عن الجماعة المسلمة فهي ليست من الإسلام في شيء.^(٤) حيث إن المسلم لما فَرَّقَ تعاليم دينه فقد فارقه فكفر به وخرج من الإسلام وهنا إشارة للمباينة والمباعدة لكل فرقة عن الأخرى وهذا سر الضعف والتشردم.

(١) تفسير الألوسي (٦٨/٨-٧).

(٢) سنن ابن ماجة. باب الفتن. حديث رقم ٤١٢٧. وقال الألباني الحديث حسن صحيح.

(٣) انظر: تفسير النسفي (١-٤٢/٢).

(٤) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٥٥٣/٢). انظر التوجيه البلاغي ص ٧٦.

٥٠ - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام ١٦٠].

أولاً: القراءات:

١. قرأ يعقوب (عَشْرٌ) بالتثوين و(أَمْثَالِهَا) بالرفع.

٢. قرأ الباقون (عَشْرٌ) بغير تثوين و(أَمْثَالِهَا) خفض على الإضافة. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{عشر}: العشرة أول العقود، وَعَشْرٌ يَعْشِرُ: أخذ واحداً من عَشْرَةٍ، أوزاد واحداً على تسعة،
والعَشْرَةَ، والعشر في المؤنث، وكنت عاشر عشرة، أي كانوا تسعة فتموا بي عشرة رجال. (٢)
*العشر: العشرة والعشر والعشرون والعشير والعشر معروفة (العدد معلوم). (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة بشارة من الله ﷻ الكريم الذي لا يقطع عطاؤه ومنه وكرمه حتى الآخرة؛ حيث
الحسنة بعشرة أمثالها والسيئة بمثلها، والجزاء من جنس العمل.
قال تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) أي من جاء بالحسنة والمراد ههنا: الإيمان
والأعمال الصالحة، أو من الأعمال الحسنة من المؤمنين فله عشر حسنات وقد جاء الوعد
بسبعين وبسبعمئة وبغير حساب إنه الكرم الرباني (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا)
ومن جاء بالسيئة أي بالأعمال السيئة، كالكفر والعصيان، فلا يجزى إلا مثلها بحكم الوعد
واحدة بواحدة (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) بنقص الثواب، أو زيادة العقاب، وأما إيجاب كفر ساعة بعقاب
الأبد، فلأن الثواب للكافر على عزم وتصميم أنه لو عاش أبداً، لبقى على ذلك الاعتقاد أبداً،
فيعامل بنيته. (٤)

(١) النشر في القراءات العشر (٢٠٠/٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط ص ٥٦٥، مادة عشر.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٤٦.

(٤) انظر: المقتطف من عيون التفسير (١٩٢/٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (عشرٌ) بالتثوين (أمثالها) بالرفع على الوصف، وهذا أقل ما وعد من الأضعاف، وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمئة وبغير حساب، ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة لا الحصر في العدد الخاص، وتجريد عشر من التاء لكون المعدود مؤنثاً، لكنه حذف وأقيمت صفته مقامه وقيل: إنه المذكور إلا أنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) كائناً من كان من العالمين فلا يجزى إلا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة. (٢)

أفادت قراءة (عشرٌ أمثالها) أرادوا فله عشر أمثال تلك الحسنة. (٣)

أي وفي الحسنة والسيئة هاهنا قولان: أحدهما أن الحسنة قول لا إله إلا الله، والسيئة الشرك، قاله ابن مسعود وغيره، والثاني: أنه عام في كل حسنة وسيئة روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال (٣) (يقول الله ﷻ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أحقر له). (٤)

(فله عشر أمثالها) يقرأ بالتثوين ونصب الأمثال، وبطرحة والخفض، فالحجة لمن نصب: أن التثوين يمنع من الإضافة فنصبت على خلاف المضاف. والحجة لمن أضاف: أنه أراد: فله عشر حسنات، وأقام الأمثال مقام الحسنات؛ ولهذا المعنى خزلت الهاء من العدد؛ لأنه لمؤنث فاعرفه. (٥)

قرأ يعقوب (عشرٌ) بالتثوين، و(أمثالها) بالرفع، وذلك على أن عشر مبتدأ مؤخر، وخبره الجار والمجرور قبله، وأمثالها صفة لعشر. وقرأ الباقون (عشرٌ) بدون تثوين، و(أمثالها) بخفض اللام.

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية توضح أن كلا منهما تؤكد الأخرى،

وتثبت العطاء الوفير لمن يأتي بالحسنة بالمضاعفة والتخصيص، فله عشر حسنات مثلها ويزيد، أي له لا لغيره عشرٌ أمثالها، ومن أما قراءة الإضافة بحذف الموصوف وإقامة

(١) انظر: تفسير الألويسي (٧-٦٩/٨). انظر مشكل إعراب القرآن (١-٢٧٨/٢).

(٢) كتاب معاني القراءات ص ١٧٤.

(٣) أخرجه مسلم. في كتاب الدعوات . باب فضل الذكر والتقرب إلى الله . حديث رقم ٦٧٢٨ . ص ١٣٢٢ . الفقرة جزء من حديث .

(٤) انظر : تفسير زاد المسير (١٥٩/٣-١٦٢) .

(٥) انظر : الحجة ص ٨٣ .

الصفة مقامه، على تقدير فله عشر حسنات أمثالها إن هو جاء بها والقراءتان تؤكد إحداهما الأخرى وتدعو إلى الحرص على فعل الحسنة. (١)

٥١- ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ١٦١].

أولاً: القراءات :

١. قرأ ابن عامر والكوفيون (دينًا قِيمًا) بكسر القاف وفتح الياء مخففة.

٢. قرأ الباقر (دينًا قِيمًا) بفتح القاف وكسر الياء مشددة. (٢)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{دين} : الدال والياء والنون أصلٌ واحد يجمع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذل فالدين: الطاعة، يقال دان له يدين ديناً، إذا أصحاب وانقاد وطاع، وقوم دين أي مطيعون منقادون. (٣)

{قيم} : أي ثابتاً مقوماً لأمر معاشهم ومعادهم، وقرئ قِيمًا مخففاً من قيام، وقيل هو وصفٌ نحو قومٍ عَدِيٍّ؛ ومكان سَوِيٍّ؛ وماءٌ رُوِّي. (٤)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية :

الآية الكريمة هي عبارة عن بيان رباني لهؤلاء المشركين المكذابين من النبي ﷺ أن ربه هداه الطريق القويم؛ وأرشده إلى الدين الحق ديناً مستقيماً لا عوج فيه، ملة إبراهيم حنيفاً.

(١) القراءات وأثرها في علوم العربية (٢٧٠/٢). الفريد (٢٥٧/٢).

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢/٣١٩).

(٤) معجم مفردات ألفاظ اللغة ص ٤٣٢.

قل إنني هداني ربي، أي: قل يا محمد لأولئك الضالين إن ربي أرشدني بالوحي، وبما نصب في الآفاق والأنفس، من الآيات التكوينية والكونية، إلى صراط مستقيم، أي طريق قويم لا عوج فيه موصل إلى الحق وهو طريق الإسلام، أي: هداني ديناً قيماً أي مستقيماً لا اعوجاج فيه؛ ملة إبراهيم حنيفاً أي دين الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، مائلاً عن الأعمال الباطلة، أي: ما كان منهم في أصل من الأمور أصلاً، لأن الحنفية تنافي الشرك، ففيه تكذيب لهم، في دعواهم أنهم على ملة إبراهيم، لأنه عليه السلام على ملة التوحيد؛ وفيه تعريض بإشراكهم والخروج عن الإسلام الحنيف. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (قيماً) مفتوحة القاف مشددة الياء الاستقامة، والقيم المستقيم.

أفادت قراءة (قيماً) بكسر القاف وتخفيف الياء، هداني دل على عرفني ديناً قال الزجاج: وهو مصدر كالصَّغَرِ والكَبِيرِ وقال مكي: من خففه بناه على فعل وكان أصله أن يأتي بالواو فيقول (قوماً) كما قالوا: عوض وحول فنصب قوله: (ديناً قيماً) محمول على المعنى؛ لأنه لما قال هداني دل على عرفني ديناً، ويجوز أن يكون على البديل، من قوله: (إلى صراط مستقيم) فالمعنى هداني صراطاً مستقيماً (ديناً قيماً) و(حنيفاً) منصوب على الحال من إبراهيم، والمعنى هداني ملة إبراهيم في حال حنيفيته. (٢)

* قال البغوي: (ديناً قيماً) قرأ أهل الكوفة والشام، (قيماً) بكسر القاف وفتح الياء خفيفة، وقرأ الآخرون (قيماً) بفتح القاف وكسر الياء مشدداً، ومعناها واحد وهو القويم المستقيم، وانتصابه على معنى هداني ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. (٣)

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب (قيماً) بفتح القاف، وكسر الياء مشددة، على أنها مصدر على وزن فَيْعَلْ، وأصله (قَيْوَم) واجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون وقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء، وقرأ الباقون بكسر القاف وفتح الياء مخففة، على وزن (شيع) مصدر قام. (٤)

(١) انظر: المقتطف (٢/١٩٣).

(٢) انظر: تفسير زاد المسير (٣/١٦٠).

(٣) تفسير البغوي (٣/٢١١).

(٤) انظر: المستنير (١/١٨٤). وتفسير الألوسي (٧-٨/٧٠). وانظر الحجة ص ٨٣.

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية تبين أن كليهما تؤكد معنى الأخرى؛ فالدين الذي، جاء به محمد هو الدين الصحيح المستقيم الذي لا عوج فيه، فمن قرأ بفتح القاف وكسر الياء أراد الاستقامة ومن قرأ بالتشديد أراد أنه كثير القيم. فالحجة أنه أراد: ديناً مستقيماً خالصاً (أي صفة لهذا الدين) ودليله (ذلك دين القيمة). فالحجة أنه أراد: جمع قيمة، وقيم. (٢)

والدين كله قيم واتجاهات، وكونه أبلغ لدلالته على الثبوت والصلاح لكل زمان ومكان، والقيم الثابت المقوم لأمر المعاش والمعاد، وجعلت الملة هكذا تقوم سلوك البشر، وتهددهم طريق الصلاح والفلاح في الدارين. (١)

(١) انظر: حاشية الشهاب (٤/٢٣٧).

الفصل الثاني

تفسير سورة الأعراف من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين:

*المبحث الأول: بين يدي السورة.

*المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الأعراف
المتضمنة للقراءات .

الفصل الثاني

سورة الأعراف

بطاقة تعريف بالسورة

* سورة الأعراف سورة مكية إلا ثماني آيات وهي من قوله تعالى: (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي) إلى قوله تعالى: (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ). [١٦٣-١٧١] عدد آياتها مائتان وست آيات، وهي السورة السابعة في ترتيب المصحف .

* سورة الأعراف هي السورة المكية الثالثة في ترتيب المصحف بعد الأنعام، وهي تتمتع بسمات القرآن المكي، من حيث أهداف ومقاصد السورة المكية، في بيان عظمة الكتاب، وجلالة قدره في بيان منهج الدعوة الإسلامية.

* السورة الكريمة هي إحدى السور التي بدأت ببعض أحرف التهجي (المص)، ولم يسبقها في النزول على هذا النهج سوى ثلاث سور وهي ن، ق، ص.
* اعتمدت السورة الكريمة أسلوبين بارزين في عرض الحقائق وهما: أسلوب التذكير بالنعمة، والتحذير والتخويف من النعمة.

* سلكت السورة الكريمة مسالك شتى في رسم الصور والمشاهد والتوجيها، فتارة يأخذ السياق شكل القصص القرآني، وأخرى يأخذ شكل مشهد من مشاهد يوم القيامة، وتارة يأخذ شكل توجيه رباني ببيان مصير المؤمنين والمكذبين.

* السورة جاءت مفصلة في قصص الأنبياء والمرسلين، وخاصة قصة آدم عليه السلام وبيان سنان الله في إهلاك الأمم الظالمة لنفسها ولغيرها من الأمم أكمل تفصيل.

* السورة اشتملت على أصول العقيدة وكليات الدين، فجاءت بمثابة شرح وبيان لما أوجز في الأنعام، وروى النسائي ^(١) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قرأ في صلاة المغرب بسورة الأعراف، فرفعا في ركعتين).

(١) سنن النسائي باب القراءة في المغرب بـ (المص) حديث رقم ٩٨٩. ص ١٦٣. وقال حديث صحيح.

سنن النسائي تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي، حكم على أحاديثه وآثاره، وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: سنن النسائي.

المبحث الأول

بين يدي سورة الأعراف

** ويتضمن الآتي:

- ✓ اسم السورة.
- ✓ وجه التسمية.
- ✓ علاقة السورة بغيرها من السور.
- ✓ محور سورة الأعراف.
- ✓ أهداف السورة ومقاصدها.
- ✓ أهمّ الموضوعات التي تضمنتها سورة الأعراف.

المبحث الأول

بين يدي السورة

سورة الأعراف من السور المكية بإجماع علماء الأمة؛ وهي ثالث سورة مكية في المصحف بعد الأنعام، وترتيبها في المصحف السورة السابعة بعد الفاتحة، وهي إحدى السور التي بدئت بالحروف المقطعة التي هي من خصائص السور المكية، وترتيبها في الحروف المقطعة الرابعة وقد سبقتها في النزول ن، ق، ص، (١).

السورة مكية إلا ثمان آيات، وهي من قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ . . .﴾ [الأعراف ١٦٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ . . .﴾ [الأعراف ١٧١] أخرج النحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة قال: آية من الأعراف مدنية وهي قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ . . .﴾ [الأعراف ١٦٣]. (٢)

وآياتها مائتان وخمس آيات في البصري والشامي ومائتان وست آيات في المدني والكوفي وعدد كلماتها (٣٣١٥) كلمة. (٣)

من أهم ما تميزت به سورة الأعراف أنها نزلت قبل سورة الأنعام، وأنها نزلت مثلها جملة واحدة، وهي كالشرح والبيان لما أُوجز في الأنعام، ولا سيما عموم ما بعث به ﷺ من أصول العقيدة، وكليات الدين فجاءت بها مفصلة.

كما فصلت في قصة آدم، وقصص المرسلين وأمهم الغابرة وهلاكهم، أكمل بل وأجمل تفصيل. (٤)

* اسم السورة.

* هذا هو الاسم الذي عرفت به هذه السورة الكريمة، من عهد الرسول ﷺ فاسمها توقيفي؛ أخرج

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم د. عبد الله شحادة مج ٤/١٤٢٢. دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير القرآن الكريم.

(٢) انظر: فتح القدير (١٨٧/٢).

(٣) روح المعاني (٧-٨/٧٤).

(٤) انظر: تفسير المراغي. أحمد مصطفى المراغي (٧-٩/٩٧). مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بمصر. الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

النسائي، من حديث ابن أبي مليكة، عن عروة عن زيد ابن ثابت: أنه قال لمروان بن الحكم:

(مالي أراك تقرأ في المغرب بقصار السور؟ وقد رأيت رسول الله ﷺ يقرأ فيها بأطول

الطويلين) قال مروان قلت: (يا عبد الله ما أطول الطويلين. قال: الأمران). (١)

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها المراد بالطوليين الأنعام والأعراف، فإن سورة الأعراف أطول من الأنعام؛ باعتبار عدد الآيات.

* وجه التسمية: -

١. ووجه تسميتها أنه ذكر فيها لفظ الأعراف بقوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ... ﴾ [الأعراف ٤٦]. ولم يذكر في غيرها من سور القرآن.

٢. ولأنه ذكر فيها شأن أهل الأعراف في الآخرة، ولم يذكر في غيرها من السور بمثل هذا اللفظ، ولكنه ذكر بلفظ سور قال تعالى: ﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد ١٣].

أما ترتيب نزول السورة فهي التاسعة والثلاثون، عن ابن عباس أنها نزلت بعد سورة ص، وقبل سورة الجن، وسورة النساء هي التي تلي سورة البقرة في الطول، وسورة الأعراف تلي سورة النساء في الطول. (٢)

* خلاصة السورة بغيرها من السور: -

* جاءت سورة الأعراف بمثابة تفصيل بعد إجمال، قال الجلال السيوطي (٣) رحمه الله: ومناسبتها لما قبلها؛ أن سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق وفيها قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا ... ﴾ [الأنعام ٢]. وقال رحمته في بيان القرون الغابرة ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّانَهُمْ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ [الأنعام ٦]. كما وأشار إلى ذكر المرسلين وتعداد الكثير منهم ، وكل ما ذكر على وجه الإجمال: جيء بهذه السورة بعدها؛ مشتملة على

(١) انظر: السنن الكبرى كتاب الصلاة أبواب القراءة. باب من لم يضيق القراءة فيها بأكثر مما ذكرنا. (٣٧٤/٣) حديث رقم ٤١٣٩.

لإمام المحدثين الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن الديهقي المتوفى ثمان وخمسين وأربعمائة هـ. (١) انظر تفسير التحرير والتوير. محمد الطاهر بن عاشور (مج ٥/٥). دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ١٩٩٧م. وسأكتفي بقولي: التحرير والتوير. (٢) انظر: المرجع السابق (٧/٥).

(٣) الجلال السيوطي هو: عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن فخر الدين الخضير، الإمام الجلال السيوطي، المصري الشافعي، الإمام الحافظ، مؤرخ محدث مفسر أديب، له مصنفات بلغت ٦٠٠ مصنف في فنون متنوعة. انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - للعلامة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي المعروف بحاجي خليفة (٤٣٤/٥). دار الفكر بيروت ١٤١٤ هـ. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: كشف الظنون.

شرحه وتفصيله فبسط فيها قصة آدم وفصلت، ووضحت قصص المرسلين وأممهم وكيفية هلاكهم، أكمل تفصيل، ويصلح هذا أن يكون تفصيلاً لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ... ﴾ [الأنعام ١٦٥].

ومن أجل هذا تصدرت السورة بخلق آدم الذي هو خليفة الله في الأرض، ثم بدأ التفصيل بقصص الأنبياء والأمم، فبدأ ﷺ بقصة سيدنا نوح ثم قصة عاد فقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ زُرَّادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسِطَةً...﴾ [الأعراف: ٦٩].

وفي قصة ثمود ﴿إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ...﴾ [الأعراف: ٧] ثم تكلم ﷺ عن الرحمة قال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ نَفْسُكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾ [الأنعام: ١٢].

كلام موجز تشع من ثناياه الرحمة فبسطه هنا ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾ [الأعراف: ١٥٦]. أما عن وجه ارتباط أول الأعراف بآخر الأنعام ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ...﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ثم افتتح هذه السورة بالأمر باتباع الكتاب، وهكذا استمر الشوط على هذه الوثيرة حتى نهاية السورة الكريمة. (١)

✽ محور السورة.

سورة الأعراف من السور المكية التي شأنها هو شأن السور المكية، تدور حول محور العقيدة الإسلامية، وهي السورة الأولى التي تعرضت بالتفصيل والتوضيح لقصص الأنبياء، كما عملت على تقرير أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله ﷻ، وتقرير البعث والجزاء، وتقرير الوحي والرسالة. (٢)

✽ أهداف السورة ومقاصدها :-

لكل سورة من سور القرآن شخصيتها المتميزة، وملامحها الخاصة، وأهدافها ومقاصدها التي جاءت من أجلها، لذلك تعددت أغراض سورة الأعراف ومنها:

(١) انظر: التحرير والتنوير (٧-٨/٧٤).

(٢) انظر: صفوة التفاسير أ. محمد علي الصابوني (١/٤٣٤). دار الفكر بيروت لبنان. مكة المكرمة. المكتبة الفيصلية ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م. وسأكتفي بقولي: انظر الصفوة.

١. افتتحت السورة الكريمة بالحروف المقطعة التي هي لون من ألوان الإعجاز؛ وأنَّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي تحدى الله بها العرب والعجم على أن يأتوا بمثلها فعجزوا.

٢. جاءت الافتتاحية حافلة بالبشارة للنبي ﷺ بالتيسير والتسهيل ليبلغ القرآن للناس كافة. فكانت الافتتاحية على أحسن وجوه البيان وأكملها شأنًا، شأن جميع سور القرآن.

٣. النهي عن الشرك واتخاذ الشركاء من دون الله.

٤. إنذار وتحذير المشركين من سوء عاقبة الشرك في الدارين الدنيا والآخرة.

٥. تصور السورة الكريمة مشاهد لما حلَّ بالمشركين والذين كذبوا بالرسول، من سوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

٦. تذكير الناس بنعمة خلق السموات والأرض وتسخيرها، وتمكين النوع الإنساني من خيراتها، ثم بيان أفضلية آدم على المخلوقات.

٧. بيان ما نشأ من عداوة جنس الشيطان للنوع البشري.

٨. التحذير من مكر الشيطان بكشف العورات، وبيان السوءات، باتباعه ومخالفة أمر الله - كما حصل مع أبينا آدم عليه السلام.

٩. وصف لأهوال يوم الحساب والجزاء للمشركين والمجرمين، وكراماته للمتقين.

١٠. التذكير بالبعث، وتقريبه للأذهان.

١١. التذكير بنعمة الأرض التي منَّ الله بها علينا، والعمل على إصلاحها وإحيائها، والتحذير من إفسادها.

١٢ . التنقيب عما أودع الله في فطرة الإنسان من لحظة تكوين أصله، بأن يكون مهيباً لقبول دعوة رسل السماء إلى التقوى والصلاح.

١٣ . الاستفاضة بالحديث عن أحوال الرسل مع أقوامهم المشركين، وأنَّ الله ﷻ يمهل ولا يهمل، فلا يغرهم الإمهال لأنَّ العذاب يأتيهم بغتة. (١)

١٤ . إطالة القول في قصة موسى ﷺ مع فرعون، وفي تصرفات بني إسرائيل مع موسى ﷺ.

١٥ . تضمنت قصة موسى ﷺ البشارة بمجيء خاتم النبيين محمد ﷺ وبيان فضل دينه وصفات أمته.

١٦ . أخذ العبرة والعظة، وعدم التقليد الأعمى لأهل الشرك، وضرب المثل لمن آتاه الله الآيات فوسوس له الشيطان فانسلك عن الهدى؛ وغرق في الضلال.

١٧ . أنَّ لله الأسماء الحسنى والصفات العلى، ثمَّ الحديث عن المناظرة الحقيقية بين أهل الضلال وآلهتهم بالتخلي عنهم مما ينافي الألوهية.

١٨ . الأمر بالحلم وسعة الصدر، ثمَّ المداومة على الدعوة والحذر، كل الحذر، من مزالقة الشيطان، من خلال مراقبة الله في السر والعلانية، والمداومة على الطاعة. (٢)

* أهم الموضوعات التي تضمنتها السورة .

(١) انظر: في ظلال القرآن (٣/ ١٢٤٧).

(٢) انظر: صفوة التفاسير (١/ ٤٣٤-٤٣٥).

القسم الأول

* المقدمة :

* وقد اشتملت على الآيات من (١-٩).

لقد تميزت مقدمة الأعراف بأن الله ﷻ قد أنزل هذا القرآن على رسوله ﷺ وأنّ على الرسول ﷺ إيلاغها بغير حرج والإنذار بها، وبين أنّ الله أنزله لينذر الكافرين وبيشر المؤمنين ويبين أنّ التذكار قليل، والغفلة كثيرة عارمة قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:٢].(١)

ثمّ تضمنت التهديد والوعيد لهؤلاء الغافلين، مذكراً بالعقاب في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة ثمّ عرض صوراً من ألوان العذاب فأعقبتهم بخزي الدنيا موصولاً بدّل الآخرة، فمن هذه القرى من جاءها بأسه ونقمته ليلاً، ومنهم من جاءها بأسه في قيلولتهم ووقت راحتهم، وكلا الوقتين على حين غرة - في وسط غفلة من أمرهم - فما كان منهم إلا الاعتذار والاعتراف، بأنهم حقيقون بهذا ، ومن ثمّ سؤال الله ﷻ الرّسل والمرسل إليهم قال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣] ويخبرهم ﷻ عن كل صغيرة وكبيرة، بل عن كل حقيرة وجليلة، فهو العالم بخاتنة الأعين وما تخفي الصدور، ويوضح عدل الله بوزن الأعمال التي يتحدّد بها الفلاح والخسران، فالفلاح كل الفلاح لمن تقلت موازينه، والخسران كل الخسران لمن خفت موازينه، بسبب ظلمهم لأنفسهم من خلال موقفهم من آيات الله.(٢)

** المقطع الأول من القسم الأول (١٠-٢٥).

وبعد المقدمة تبدأ القصة، وتبدأ بالحديث عن التمكين للجنس البشري في الأرض وذلك من خلال ما يلي :

١. تزويد هذا الكون بخصائص ومواصفات تسمح بحياة الجنس البشري ، وتمكنه من الأرض والسيطرة عليها قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٠].(٣)

(١) انظر: صفوة التفاسير (١/ ٤٣٤-٤٣٥)

(٢) انظر: الأساس (١٨٤١/٤).

(٣) انظر: نفس المرجع السابق ص (١٨٤٣/٤).

٢. تزويد الله ﷻ البشرية بخصائص ومواصفات تسمح بمواصله الحياة والتمكين من الاستمرار على الأرض.

٣. تزويد البشرية بالقدرة على التعرف إلى نواميسه وتسخيرها، للإنتفاع بطاقات الأرض ومقدراتها.

٤. لفت الأنظار إلى نعمة خلقهم من أب واحد، وإلى تكريم الله لهذا النوع الإنساني ممثلاً بأب البشر آدم ﷺ الذي كرمه الله وأمر الملائكة بالسجود له.

٥. حذرت الآيات الكريمة من كيد الشيطان ذلك العدو المتربص الذي قعد على الطريق يصدهم عن الهدى ويبعدهم عن خالقهم قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٧].

**المقطع الثاني من القسم الأول (٢٦-٥٨).

وقد ذكرت الآيات قصة آدم مع إبليس وخروجه من الجنة ومزاولة الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل من خلال ما يلي:-

١. بيان لكيد إبليس لآدم وذريته إلى يوم القيامة، لهذا وجه الله ﷻ إلى أبناء آدم، بعد أن بين لهم عداوة إبليس لأبيهم آدم ﷺ أربعة نداءات متتالية بوصف النبوة قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ...﴾ [الأعراف:٢٦]. ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ...﴾ [الأعراف:٢٧]. ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾ [الأعراف:٣١]. ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُونَ...﴾ [الأعراف:٣٥]. وهى نداءات خاصة بهذه السورة تحذّرهم بها من عدوهم الذي نشأ على عداوتهم من قديم الزمان حين وسوس لأبيهم آدم حتى أوقعه في الزلّة والمخالفة لأمر الله .

٢. ثم يوجه ﷻ النداء الثالث لبني آدم: بأخذ الزينة قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]. أى عند كل مسجد

بستر العورات، ولبس الجميل، وأكل الطيبات من غير إسراف ولا تقتير، لأنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

* ثم يذكرهم سبحانه بأنَّ هذه النعم خالصة للمؤمنين يوم القيامة لا يشاركون فيها أحدٌ من الكفار فإن الجنة محرمة على الكافرين.

٣. ثم يوجه ﷺ النداء الرابع لبني آدم بأنه في حال بعثة الرسل عليهم بترك المحرمات وفعل الطاعات، فإن هم فعلوا فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم، ولا يحزنون على ما سيلحقهم، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِّنكُمْ يَكْفُؤُكُمْ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

النداءات الأربعة لبني آدم هي ترجمة حقيقية لمعاني الفطرة التي ينبغي أن يعيها كل من له قلب وعقل قصة أبيه آدم، ومن ثمَّ عقل قصة البداية كلها؛ فهي تحتاج إلى وقفة تأمل وتدبر طويلة لمواجهة المعركة الطويلة بين الشيطان والبشرية إلى يوم القيامة، لكشف مخططات الشيطان وأخذ الحيطه والحذر.

* كما وتعرض المقطع إلى مشهدٍ من مشاهد يوم القيامة، مشهد للفرق الثلاثة يوم القيامة وما يدور بينهم من محاوره ومناظرة: فرقة المؤمنين أصحاب الجنة، وفرقة الكافرين أصحاب النار قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] وفرقة ثالثة جاءت السورة الكريمة باسمهم وهم أصحاب الأعراف. (١)

* (الأعراف): سميت السورة بهذا الاسم لورود ذكر اسم الأعراف فيها، وهو سور مضروب بين الجنة والنار يحول بين أهلها، روى ابن جرير الطبري عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال^(٢): (هم قوم استوتت حسناتهم وسيئاتهم؛ فتعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، وتخلفت بهم حسناتهم عن دخول النار، فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم). (٣)

(١) انظر: الظلال (ص ١٢٤٧). والأساس ص ١٨٨٣.

(٢) انظر: تفسير أبي حاتم (١٤٨٥/٥). حديث رقم ٨٤٩٩.

القسم الثاني

* المقطع الأول من القسم الثاني ويمتد من الآيات (٥٩-٩٣).

ثم تضمنت الآيات ما يكون فيه من شماتة أهل الحق (أصحاب الجنة)، بالمبطلين من (أصحاب النار) وضرب بين الفريقين بحجاب قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف:٤٦] ووقف عليه رجال يعرفون كلاً بسيماهم، يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم ونضرتها، ويعرفون أهل النار بسواد وجوههم وقترتها.

* المقطع الثاني من القسم الثاني ويمتد من الآيات (٩٤-١٢٩).

١. يتناول هذا المقطع الكريم قصص الأنبياء بإسهاب منهم (نوح، هود، صالح، لوط، شعيب، موسى) بدأ بنوح عليه السلام وما لاقاه من قومه من جحود وعناد، وتكذيب وإعراض. (١).
٢. ثم أسهب في الحديث عن كليم الله موسى عليه السلام مع الطاغية فرعون وجنوده قال تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:١٠٤] ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِنَّا الْهَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف:١٠٥]

* المقطع الثالث من القسم الثاني ويمتد من الآيات (١٣٠-١٤٩).

وقد تضمن المقطع الحديث عن الآيات التسعة وبني اسرائيل وما أصابهم من القحط والجذب، والطوفان، والجراد والقمل، والضفادع، والدم، وغير ذلك من المصائب والابتلاءات نتيجة إصرارهم على الكفر والتكذيب بآيات الله، ثم الحديث عن النعم التي من الله بها عليهم من السلامة والنجاة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ *فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَّا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرْنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:١٣٠-١٣٣].

* المقطع الرابع من القسم الثاني ويمتد من الآيات (١٥٠-١٧٠).

الحديث لا يزال يدور عن قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام وما أغدق الله به عليهم من نعم وكيف كانوا يقابلون هذه النعم بالإنكار والجحود والعصيان قال تعالى: ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ

أَسْبَابًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف ١٦٠] حتى ذكرت الآيات قصة أصحاب القرية وكيف كانوا يحتالون على الصيد ويعتدون على السبت، وكيف مسخهم الله عز وجل قردة خاسئين ليكونوا عبرة لمن يعتبر، قال تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف ١٦٣]

* ثم الحديث عما نال بني إسرائيل من بلاء وشدة، ومن أمن ورخاء، وكيف لما بدلوا نعمة الله وخالفوا أمره عاقبهم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف ١٦٦-١٦٧] بالمسخ فأصبحوا قردة وخنازير نتيجة كفرهم وانحرافهم.

القسم الثالث

* المقطع الأول من القسم الثالث ويمتد من الآيات (١٧١-١٨٦).

يتحدث المقطع عن أنواع العقاب التي واجهت بني إسرائيل من اقتلاع جبل الطور، وسحقهم به إن لم يعملوا بأحكام التوراة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَقَّانَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. [الأعراف ١٧١]

* ثم تحدثت الآيات عن مثل لعلماء السوء في قصة الذي انسلخ عن آيات الله طمعاً في عرض الدنيا الزائلة، وضرب له مثلاً بالكلب اللاهث، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَىٰ الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. [الأعراف ١٧٦]. فهو يلهث حالتي التعب والراحة. (١)

(١) انظر: الأساس (٢٠٦٥/٤). انظر: صفوة التفسير (٤٧٣/١).

* المتطوع الثاني من القسم الثالث ويمتد من الآيات (١٨٧-٢٠٦).

لما ذكر ﷺ موقف المشركين والمستهزئين من دعوة المرسلين، ذكر طرفاً من سؤالهم النبي ﷺ عن قيام الساعة، وبيان الحجج والبراهين على بطلان معتقداتهم، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [الأعراف ١٨٧].

* ثم التهكم والسخرية بمن عبدوا الأصنام والأوثان، أي ما لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر ولا يغني من الله شيئاً، قال تعالى: ﴿لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظَرُونَ﴾ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾. [الأعراف ١٩٥-١٩٧]

* ثم انتقلت الآيات إلى المعجزة الخالدة وبيان عظمة القرآن وضرورة الاستماع له والإنصات إليه قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. [الأعراف ٢٠٤] وهكذا ختمت الآيات الكريمة بالتوحيد محور السورة، كما بدأت به انتهت كذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف ٢٠٦]. (١)

(١) انظر تفسير القرآن د. عبد الله شحاتة (١٤٢٣/٤-١٤٣٥).

المبحث الثاني

عرض وتفسير آيات سورة الأعراف بالقراءات العشر

١ - ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾

[الأعراف ٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر (يتذكرون) بياء قبل التاء مع تخفيف الذال.
٢. وقرأ الباقون (تذكرون) مشددة بتاء واحدة من غير ياء قبلها.
٣. وقرأ حفص وحزمة والكسائي (تذكرون) في تخفيف الذال. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{ذكر}: الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحتفظ بما يقتنيه من المعرفة، والذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكل قول يقال له ذكر. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تنهى عن الشرك وعدم الاهتداء وتدعو إلى طلب الهداية، فالهداية المطلقة من الله الذي أرسل لها الرسل، فقال ﷺ مخاطباً المصطفى ﷺ قل لهم أيها الرسول (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) خالقكم ومدبر أموركم، فهو وحده الذي له الحق في شرع الدين لكم وفرض العبادات عليكم، وتحليل ما ينفعكم وتحريم ما يضركم، إذ هو العليم بما فيه الفائدة والضرر لكم (وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) ولا تتخذوا من أنفسكم ولا من الشياطين الذين

يوسوسون لكم أولياء تولونهم أموركم، وتطيعونهم فيما يرومون منكم من ضلال التقاليد والابتداع في الدين فيضعون لكم أحكام الحلال والحرام زاعمين أنهم أعلم منكم؛ وبذلك تتذكرون تذكراً قليلاً لا

(١) النشر في القراءات العشر (٢٠١/٢).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٨١.

كثيراً، وهنا نهي عن اتباع طائفة من الخلق بغير ما أنزل الله به من سلطان. (١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَذَكَّرُونَ) تذكراً قليلاً، وأفادت قراءة (تَذَكَّرُونَ) تذكراً كثيراً، فالأصل تتذكرون وشدت للتأكيد.

*قال الشوكاني: "(قليلاً ما تَذَكَّرُونَ) انتصاب قليلاً على أنه صفة لمصدر محذوف للفعل المتأخر أي تذكراً: (قليلاً) وما مزيدة للتوكيد أو هو منتصب على الحال من فاعل، (لا تتبعوا) وما مصدرية أي لا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً تذكركم، قرئ (تذكرون) بالتخفيف بحذف إحدى التاءين وقرئ بالتشديد على الإدغام". (٢)

*قال أبو منصور^(٣): "من قرأ (ما تَذَكَّرُونَ) بتشديد الذال والكاف فالأصل تتذكرون وأدغمت التاء الثانية في الذال وشدت، ومن قرأ (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال فالأصل أيضاً تتذكرون، فحذفت إحدى التاءين وتركت الثانية على حالها، والذال خفيفة في الأصل والتاء المحذوفة هي الثانية؛ لأنهما زائدتان، إلا أن الأولى تدل على معنى الاستقبال، فلا يجوز حذفها والثانية دخلت على معنى فعل الشيء على مهل، نحو قولك: تفهمت وتعلمت، أي: أخذت الشيء على مهل". (٤)

أما (قليلاً ما تَذَكَّرُونَ) قليلاً منصوب بتذكرون، أي تذكرون قليلاً أي وقتاً قليلاً وما موصولة لتوكيد القلة. ومن قرأ (تَذَكَّرُونَ) بالتشديد على إدغام التاء في الذال لتقارب مخرجهما، وتذكرون بالتخفيف على حذفها، ويتذكرون بياء وتاء على معنى قليلاً ما يتذكر هذا القوم يا محمد وتتذكرون بتاءين على الخطاب والكلمة على أصلها. (٥)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما بلاغية، تؤكد معنى الالتفات من

الخطاب إلى الغيبة، حيث أعرض عنهم ووجه الخطاب إلى غيرهم من السامعين يعني النبي محمد ﷺ والمسلمين من بعده. ويتضح من القراءتين أن استعمال (يَذَكَّرُونَ)

(١) انظر: تفسير المراعي (٧-٩٩/٩). المسمى تفسير المراعي. للأستاذ أحمد مصطفى المراعي الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.. وتفسير الشعراوي (٧/٤٠٤٠). أخبار اليوم. قطاع الثقافة.

(٢) تفسير فتح القدير (٢/١٨٨). وتفسير النسفي (١-٤٤/٢).

(٣) أبو منصور الأزهرى خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى زين الدين، وكان يعرف بالوقاد من أهل مصر ولد بجرجا من (صعيد مصر) ونشأ وعاش بالقاهرة، وتوفي عائداً من الحج قبل أن يدخلها، له المقدمة الأزهرية في علم العربية؛ وشرح الأجرومية؛ وشرح أوضح المسالك؛ وشرح مقدمة الجزرية في التجويد، والأغاز النحوية توفي سنة خمس وتسعمائة للهجرة...الأعلام/ للزركلي ج٢/٢٩٧.

(٤) كتاب معاني القراءات ص ١٧٦. انظر: الكشف (١/٤٦٠).

الدال على المبالغة في التذكر والعمق فيه، وأما (يتذكرون) فزيادة المبنى يؤدي إلى زيادة المعنى؛ لأن ذلك يحتاج إلى طول تذكر وتأمل ومحاكمة عقلية فكانت قراءة يتذكرون، مبالغة في التذكر والتعمق فيه، وعدم اتباع غيره من أهل الضلال. (١)
فمن قرأ (تذكرون) بالتاء وشدت الدال رده إلى الخطاب ثم المبالغة في الخطاب، ومن قرأ بياء أخبر عن غيب أي: قليلاً يا محمد ما يتذكر هؤلاء الذين بُعثت إليهم. (٢)

٢- ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ ﴾ [الأعراف ٢٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ يعقوب والكسائي وخلف (تَخْرُجُونَ) بفتح حرف المضارعة وضم الراء.

٢. وقرأ الباقر (تَخْرُجُونَ) بضم التاء وفتح الراء. (٣)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{خرج}: الخروج: نقيض الدخول: خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجاً ومخرجاً، وخرج: خروجاً برز من مقره أو حاله سواء كان مقره داراً أو بلدًا أو ثوباً، وسواءً كان حَالَهُ حَالَةً في نفسه أو في أسبابه الخارجية والإخراج أكثر ما يقال في الأعيان. (٤)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

توضح الآية الكريمة الصورة الحقيقية لرحلة الحياة وترسم العلاقة بين البشر وبين الأرض؛ أي في هذه الأرض التي خلقت منها تحيون مدة العمر المقدر لكل منكم وللنوع بأسره، وفيها

تموتون حين انتهائه، ومنها تخرجون بعد موتكم كلكم، وحين ما يريد المولى أن يبعثكم من
مرقدكم للنشأة

(١) انظر: بلاغة الكلمة ص ٥٢.

(٢) انظر: الفريد (٢٦٨/٢).

(٣) النشر في القراءات العشر (٢٠١/٢).

(٤) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٥.

الأولى، والمراد من الخروج من القبور إلى البعث والنشور. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَخْرُجُونَ) و(تُخْرَجُونَ) أي يُخْرَجُكُمْ اللهُ، أو تَخْرُجُونَ أَنْتُمْ بِأَمْرِ اللهِ خُرُوجاً.
*قال الطاهر بن عاشور: "قرأ حمزة، والكسائي، وابن ذكوان عن ابن عامر، ويعقوب،
وخلف (تَخْرُجُونَ) بالبناء للفاعل؛ وقرأ الباقر (تُخْرَجُونَ) بضم الفوقية وفتح الراء على البناء
للمفعول وتقديم المجرورات الثلاثة على متعلقاتها للاهتمام بالأرض التي جعل فيها قرارهم
ومتاعهم، إذ كانت هي مقر جميع أحوالهم". (٢)

*قال صاحب الفريد: (ومنها تَخْرُجُونَ) الواو لعطف جملة على جملة، (تُخْرَجُونَ) بضم
التاء وفتحها وهما متقاربان؛ لأنهم إذا أُخْرِجُوا خَرَجُوا والضمير في (منها وفيها) للأرض. (٣)
*قال ابن منصور: "من قرأ (تُخْرَجُونَ، تُخْرَجُونَ) فهو من خَرَجَ، يَخْرُجُ خُرُوجاً، ومن قرأ
(تُخْرَجُونَ) فهو من أُخْرِجَ، يُخْرَجُ، أي يُخْرَجُكُمْ اللهُ، وتَخْرُجُونَ أَنْتُمْ بِأَمْرِ اللهِ خُرُوجاً". (٤)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن القراءتين العلاقة بينهما تفسيرية، وأن كليهما تؤكد

الخروج للبعث والحساب فإذا هم أُخْرِجُوا خَرَجُوا فهم مفعولون فاعلون في المعنى أي
مُخْرَجُونَ، خارجون، ومن قرأ (تُخْرَجُونَ) بضم التاء، وفتح الراء فيهما، فأجروه على ما لم
يسم فاعله، لأنهم لا (تُخْرَجُونَ) حتى (تُخْرَجُونَ). (٥)

وفي كلا الأسلوبين المبني للمعلوم والمبني للمجهول، زيادة في الشمولية فهو التفات من الغيبة
إلى الخطاب ليكون أعم وأشمل ولولا الالتفات لفات هذا المعنى الذي أريد به آدم ﷺ وذريته
إلى يوم القيامة.

- (١) انظر: تفسير المراغي (٧-١٢٢/٩)، والمقتطف (٢/٢٠٩)، وأيسر التفاسير (٢/١٦٠)، وتفسير الشعراوي ص ٤٠٩١.
 (٢) التحرير والتوير (٥/٧١)، وانظر: تفسير زاد المسير (٣/١٨١)، و تفسير الأوسى (٧-١٠٣/٨)، و تفسير أبو السعود (٢/٣٣٦).
 (٣) الفريد (٢/٢٨٥).
 (٤) كتاب معاني القراءات ص ١٧٧.
 (٥) الكشف (١/٤٦٠).

٣- ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِّصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
 [الأعراف ٣٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ نافع (خالصة يوم القيامة) بالرفع .
٢. وقرأ الباقون (خالصة يوم القيامة) بالنصب. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{خلص}: خلس الشيء بالفتح، يخلص خلوصاً، وخالصاً إذا كان نشب ثم نجا وسلم، وهي تنقية الشيء وتهذيبه، يقولون خلصته من كذا وخلص وهو خلاصة السمّن: ما ألقى فيه من تمر أو سويق ليخلص به. (٢)
 وخلص: الخالص كالصافي إلا أن الخالص مازال عنه شوبه بعد أن كان فيه، ويقال خلصته فخلص؛ وخالصٌ وخالصةٌ نحو داهيةٍ وراويةٍ. (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن توجيه رباني بأن الله سبحانه هو المشرع للحلال والحرام، وأن النعم التي أفاضها الله على عباده هي خالصة للمؤمنين يوم القيامة لا يشاركهم فيها أحد، وبعد أن تناول في الآيات الواردة بهذه السورة النهي عن كشف السوءات ربما توهم البعض ترك الزينة فبين هنا بصورة المحاجة أن الزينة الشرعية هي للمؤمنين فقال سبحانه: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ) التي أخرج لعباده الطيبات من الرزق، وهي ما أحله لهم، وما

لا يحرمه الله فلا محرم له، ويقول لهم: إن النعم التي قد أفاضها الله على المؤمنين وأجراها عليهم (هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) وهي خالصة لهم يوم القيامة لحرمان الكفار من المتاع منها وقد شارك المسلمون الكفار في الطيبات فأكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نساءها، فهي خالصة لهم في الآخرة، ولا حظ للمشركين فيها

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٠٨).

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٥٥.

(كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أي مثل هذا التفصيل من الآيات العلمية، شاهدة على نبوته ﷺ لأنه خلاصة علوم كثيرة، فاصلة بين النافع والضار لا يعلمه ﷺ وإنما هي وحي من الله تعالى له. (١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة نافع (خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بالرفع وهي قراءة ابن عباس على أنها خبر بعد خبر. وأفادت قراءة الباقرين (خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بالنصب على الحال قال أبو علي الفارسي^(٢): ولا يجوز الوقف على الدنيا لأن ما بعدها متعلق بقوله للذين آمنوا حال منه بتقدير قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها لهم يوم القيامة". (٣)

*قال محسن: "قرأ نافع (خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) برفع التاء، على أنها خبر (هي) وللذين آمنوا) متعلق (خَالِصَةً)، والمعنى: قل هي للذين آمنوا في الحياة مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة، وقرأ الباقرين (خَالِصَةً)، بالنصب على الحال من المضمرة في (للذين) والعامل في الحال (الاستقرار والثبات) الذي قام (للذين آمنوا) مقامة؛ والمعنى في هذه القراءة: قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، حال كونها خالصة لهم يوم القيامة". (٤)

*قال ابن غلبون: "قرأ نافع خالصة بالرفع، ونصبها الباقرين، فمن نصبها لم يبتدئ بها؛ لأنها متعلقة بقوله: (للذين آمنوا) حالاً منه بتقدير: قل هي مستقرة للذين آمنوا، في حال خلوصها يوم القيامة، وإن شاركهم فيها غيرهم من الكفار في الحياة الدنيا؛ فالكلام مرتبط بعضه ببعض، أما من رفعها، فإنه يجوز له أن يبتدئ بها؛ لأنه قد استأنفها فرفعها على خبر مبتدأ مضمرة، تقديره: قل هي للذين آمنوا ولغيرهم في الحياة الدنيا وهي خالصة للمؤمنين يوم القيامة". (٥)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما بلاغية، يتبين أنهما تحملان في طياتهما تأكيداً وثباتاً على الحالة الآمنة المطمئنة الخالصة يوم القيامة للمؤمنين، وإن شاركهما فيها الكفار

- (١) انظر: تفسير الطبري (١٢٢/٥). والمقتطف (٢١٤/٢). وتفسير البغوي (٢٢٥/٣). وصفوة البيان ص ٢٠٢.
(٢) أبو علي الفارسي هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، أبو علي الفارسي النحوي المشهور، أنهت له رئاسة علم النحو، وقد أخذ عنه ابن جني وغيره كثير، له مؤلفات منها الحجة شرح سبعة ابن مجاهد توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة هـ. انظر غاية النهاية (٢٠٦/١).
(٣) انظر: تفسير الشوكاني (٢٠٠/٢). وتفسير القرطبي (١٧٤/٤). وتفسير زاد المسير (١٩٠/٣). وتفسير الألوسي (١١٢/٨-٧).
تفسير الشعراوي (٤١٥/٧).
(٤) القراءات وأثرها في علوم العربية (٢٧٤/٢).
(٥) حجة القراءات ص ٢٨١.

في الدنيا، فهي خالصة لهم. فقراءة من قرأ بالضم فهي خبر بعد خبر، فإنها غير خالصة للمؤمنين في الدنيا لمشاركة الكفار لهم فيها؛ وغير خالصة أيضاً من الشوائب والأغيار ولكنها في الآخرة خالصة للمؤمنين فلا يشاركهم الكفار ولا يأتى لهم فيها الأغيار. (١)
ومن قرأ بالنصب على الحال منه بتقدير قل هي ثابتة الحال للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها لهم يوم القيامة، كما تقول: المال لزيد خالصاً.

٤- ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قِبَلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كَلِمًا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف ٣٨].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو بكر (وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) بالغيب.
٢. وقرأ الباقر (وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) بالخطاب. (٢)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{علم}: العلم نقيض الجهل، ورجل عالم وعليم وقوم علماء، وعلامة إذا بالغت في وصفه بالعلم أي عالم جداً، والهاء للمبالغة، وعلمت الشيء بمعنى عرفته وخبرته. (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة هي عبارة عن زجر للكافرين عما هم عليه من الكفر، وحملهم على النظر والتأمل

(١) كتاب التذكرة (٤١٨/٢).

(٢) انظر النشر في القراءات العشر (٢٠٢/٢).

(٣) لسان العرب ٤١٨/١٢. مادة علم.

في عواقب أمرهم، ومن ثمّ التحذير من التقليد الأعمى حيث إنّ المشركين يلعنون المشركين واليهود تلعن اليهود، والنصارى تلعن النصارى، وهكذا سائر الأمم السالفة؛ فهي مخبرة عما يقال لهؤلاء المشركين به، المفترين عليه المكذبين بآياته (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ) أي من أمثالكم وعلى صفاتكم من الكفر والضلال (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ) أي: في الأمم السالفة الكافرة (مَنْ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ) ويحتمل أن يكون في أمم أي: مع أمم (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) يعني شريكها في الكفر وهنا إحياء بأن الأمم لا تدخل دفعة واحدة (حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا) أي: اجتمعوا فيها كلهم (قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأُولَاهُمْ) أي أخرجهم دخولاً، وهم الأتباع لأولاهم وهم المتبوعون، لأنهم أشدّ جرماً من أتباعهم فدخلوا قبلهم فيشكوهم الأتباع إلى الله يوم القيامة لأنهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا) فيقولون هؤلاء أضلونا عن الحق باتباعنا لهم وتقليدنا إياهم فيما كانوا عليه من أمر الدين وسائر أعمالنا (فَاتَّهَمَ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ) أي أضعف عليهم العقوبة ضعفين ضعفاً للضلال وضعفاً للإضلال (قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ) أي: قد فعلنا ذلك وجازينا كلاً بحسبه. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

* أفادت قراءة (وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ) بالتاء وجهين ذكرهما الزجاج، أحدهما: لا تعلمون

أيها المخاطبون ما لكل فريق من العذاب. والثاني: لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك، وقيل

إنما طلب الأتباع مضاعفة عذاب القادة ليكون أحد العذابين على الكفر والثاني: على إغرائهم به فأجيبوا لكل ضعف أي كما كان للقادة ذلك فلکم عذاب بالكفر وعذاب بالاتباع. وأفادت قراءة (وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) بالياء قال الزجاج: والمعنى لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر. (٢)

*قال أبو حيان: "قرأ الجمهور بالتاء على خطاب للسائل أي لا تعلمون ما لكل فريق من العذاب، أي لا تعلمون المقادير وصور العذاب، أو خطاب لأهل الدنيا، أي يأهل الدنيا لا تعلمون مقدار ذلك، وهذه الجملة رد على أولئك السائلين وعدم إسعاف لما طلبوا". (٣)

-
- (١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١٨٨/٢). وتفسير المراعي (٧-١٤٨/٩). وتفسير القرطبي (١٧٩/٤). والتحرير والتوير (١٢٤/١). وتفسير الألوسي (٧-١٧٧/٨). وتفسير البغوي (٢٢٨/٣).
(٢) انظر: تفسير زاد المسير (١٩٥/٣). ومجمع البيان (٢٣٤/٤).
(٣) تفسير النهر الماد (٧٩٥/١).

*قال الدكتور محيسن: "من قرأ ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالغيب، مناسب لفظ (كل) فلفظه لفظ غائب، ومن قرأ ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بالخطاب ذلك حملاً على معنى ما قبله من الخطاب، لأن ما قبله: (قال لكل ضعف) أي لكل ضعف، فحمل (تَعْلَمُونَ) على معنى (كل) في الخطاب؛ وهذا إخبار من الله عن محاورة الملل الكافرة في النار يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾ فيجيبهم تعالى: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾". (١)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما بلاغية، ففي القراءتين التفات من الخطاب إلى الغيبة، والاتفات من الغيبة إلى الخطاب يكون الكلام فيه أوقع في النفس ولو ظل السياق على الغيبة لما تحقق هذا المعنى النبيل .

والخطاب فيه من التهويل والتخويف لكل من المخاطبين، فهو خطاب للسائل، أي: (لَا يَعْلَمُونَ) ما لكل فريق - من التابعين والمتبوعين - من العذاب؛ أي (لَا يَعْلَمُونَ) المقادير وصور العذاب لكل منهما، أو الخطاب لأهل الدنيا أي يأهل الدنيا لا تعلمون مقدار ذلك العذاب، وبصيغة الغائب فيها من التحقير والإذلال لكل منهما يعني - التابعين والمتبوعين - من العذاب. (٢)

٥- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾
[الأعراف ٤٠].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو عمرو (لَا تُفْتَحُ) بالتأنيث والتخفيف.
٢. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف (لَا يُفْتَحُ) بالتذكير والتخفيف.
٣. وقرأ الباقون (لَا تُفْتَحُ) بالتأنيث والتشديد. (٣)

(١) المغني (١٢٦/٢).

(٢) القراءات وأثرها في علوم العربية (١٤٩/٢).

(٣) النشر في القراءات العشر (٢٠٢/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{فتح}: الفتح نقيض الإغلاق، وفتح يفتحه فتحاً، وافتحه وفتحته فانفتح وفتتح، قال الجوهري^(١): فتحت الأبواب، وشدت للكثرة، وفتحت هي وقوله تعالى: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ قرئت بالتخفيف والتشديد، وبالياء والتاء أي لا تصعد أرواحهم، ولا أعمالهم، لأن أعمال المؤمنين وأرواحهم تصعد إلى السماء. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

يحدثنا المولى سبحانه عما يكون للكافرين عند الموت؛ وما نقوله لهم الملائكة في تلك اللحظات العسيرة، وما يقال لهم يوم القيامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ الذين كذبوا بحجتنا وأدللتنا فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا واستكبروا عنها، يقول ولم يلتزموا اتباعها والا نقياد لها تكبراً ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي: فما يكون لهم أن تفتح أبواب السماء وذكر أبواب السماء لأمر عظيمة يقرب حقائقها إلى الأذهان فمنها قبول الأعمال أي فلا تفتح لأعمالهم، ولا لأرواحهم لفرط خبثها وفسادها ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى﴾ فجعل لانقضاء دخولهم امتداداً مستمراً إذ جعل غايته شيئاً مستحيلًا ﴿يَلْبِجُ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ يدخل ما هو مثل في عظم الجسم فيما هو مثل في ضيق المسلك؛ وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه. والمراد

أنهم لا يدخلونها أبداً لأن الشيء إذا علق بما يستحيل حصوله دل على استحالته؛ وكذا دخولهم وجزاء كفرهم ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء الفظيع الذي وصفنا نجزي المجرمين أي: الكافرين وجريمتهم التكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لأدعيتهم وأعمالهم أو لأزواجهم كما تفتح لأعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة، والتاء في (تفتح) لتأنيث الأبواب والتشديد لكثرتها. وأفادت قراءة ﴿لَا يُفْتَحُ لَهُمْ﴾ بالتخفيف، وبالياء مضمومة على تذكير الجمع - لأن التأنيث في الأبواب غير حقيقي - جاز تذكير الجمع؛ وخفف أبو عمرو وحمزة والكسائي، وعلى معنى

(١) الجوهري: سبق الترجمة له ص ٩٦.

(٢) لسان العرب (٥٣٦/٢) مادة فتح .

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٢٨/٥، وتفسير الأساس ١٩٠٠/٤، وتفسير التحرير والتنوير ١٢٧/٥، وصفوة البيان ٢٠٥.

التخفيف يكون للقليل والكثير، والتشديد للتكثير والتكرير مرة بعد مرة ولا غير". (١)
التأنيث غير حقيقي). كما قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص ٥٠]. ولاختلاف القراءات أثر نحوي من حيث جواز معاملة المؤنث غير الحقيقي معاملة المذكر فأنتث ولما كان *قال الطاهر بن عاشور: "قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب (لَا تُفْتَحُ) بضم التاء الأولى وفتح الفاء والتاء الثانية مشددة، وهو مبالغة في فتح، فيفيد تحقيق نفي الفتح لهم، أو أشير بتلك المبالغة إلى أن المنفي فتح مخصوص وهو الفتح الذي يفتح للمؤمنين؛ وهو فتح قوي، فنكون تلك الإشارة زيادة في نكايتهم، وقرأ أبو عمرو بضم التاء الأولى وسكون الفاء وفتح التاء الثانية مخففة، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، (لَا يُفْتَحُ) بمتناة تحتية في أوله مع تخفيف المثناة الفوقية مفتوحة، على اعتبار تذكير الفعل لأجل كون الفاعل جمعاً لمذكر". (٢)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن المصير السيء الذي ينتظر الكافرين المستكبرين
عندما تخرج أرواحهم بعد انتهاء آجالهم، ويصعد بها ملك الموت، فتوصد أمامها أبواب السموات، فقرأ أبو عمرو (لَا تُفْتَحُ) ببناء التأنيث وسكون الفاء وفتح التاء مخففة، حيث التخفيف يحتمل التكثير وغيره. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف (لَا يُفْتَحُ) ببناء التذكير وسكون الفاء وفتح التاء المخففة، حيث إن تأنيث الأبواب غير حقيقي فالتشديد للتكثير، والتخفيف للتكثير وغيره.

وقرأ الباقون (لَا تُفْتَحُ) ببناء التأنيث وفتح الفاء وتشديد التاء، والقراءة بالتشديد بمعنى التكرار والتكرار مرة بعد مرة. (٣)

فأما قراءة (لَا تُفْتَحُ) للبناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات، وبالياء (لَا يُفْتَحُ) على أن الفعل لله تعالى. وعليه فجميع القراءات تفيد التأكيد المحتوم على الوصف الدقيق في عدم فتح أبواب السموات لهم، وهذا حال هؤلاء التعساء. (٤)

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٨١/٤). وتفسير زاد المسير (١٩٦/٣). وتفسير الشوكاني (٢٠٥/٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢٧/٥).

(٣) القراءات وأثرها في التفسير (٩٠٤/٢).

(٤) انظر: الفريد في الإعراب (٢٩٩/٢).

٦- ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف ٤٣].

أولاً: القراءات:

١. وقرأ ابن عامر (مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ) بغير واو قبل ما.

٢. وقرأ الباقون (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ) بالواو. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{هدى}: الهداية دلالة بلطف، ومنه الهدية وهواذي الوحش أي متقدماتها الهداية لغيرها، وخص ما كان دلالة بهديت وما كان إعطاء بأهديت، نحو أهديت الهدية وهديت إلى البيت إن قيل كيف جعلت الهدية دلالة بلطف، وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه: الأول الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل والفتنة والمعارف الضرورية، والثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن، والثالث: التوفيق الذي يخص به من اهتدى والرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تحدثنا الآية الكريمة عن أهل الاجتهاد الذين اجتهد كل منهم في الدنيا، ليكونوا مما خُصت نفوسهم من الغل والحقد، وذكر الله ﷻ هذا من جملة ما ينعم به على أهل الجنة نزع الغل من صدورهم، والنزع: الاستخراج، والغل: الحقد الكامن في الصدر والجمع غلال أي أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا على بعضهم بعضاً حتى تصفو قلوبهم ويوّد بعضهم بعضاً؛ لأن الغل لو كان في صدورهم كما كان في الدنيا لكان تنغيصاً لنعيم الجنة، لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر؛ قال ﷻ: (الغل على باب الجنة كصبارك

(١) النشر في القراءات العشر (٢٠٢/٢).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٣٦.

الإبل قد نزع الله من قلوب المؤمنين هذا الغل، وروى عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: (أرجو أن أكون أنا وعمثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ وقيل: نزع الغل في الجنة ألا يحسد بعضهم بعضاً في تفاضل منازلهم وقد قيل إن ذلك يكون عن شراب الجنة، ولهذا قال وسقاهم ربهم شراباً طهوراً أي يطهر الأوضار^(١) (من الصدور)^(٢). (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وما كنا) بإثبات الواو، على الاستئناف، والحال والمعنى: قال هؤلاء المؤمنون حين أدخلهم الله الجنة، ورأوا الذي ابتلي به أهل النار بسبب كفرهم بربهم وتكذيبهم رسله ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف ٤٣] والحال أننا ما كنا لنهتدي لولا هداية الله لنا وهذه القراءة موافقة لرسم باقي المصاحف العثمانية.

وأفادت قراءة (ما كنا) بحذف الواو، على أن قوله تعالى: (مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) وقراءة ابن عامر، موافقة مصحف أهل الشام. (٤)

* قال الألويسي: "(مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ) أي لهذا أولمطلب من المطالب التي هذا من جملتها" (لولا أن هدانا الله) وفقنا له، واللام لتأكيد النفي وهي المسماة بلام الجحود وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، وليس إياه لامتناع تقدم الجواب على الصحيح ومفعول (نهتدي وهدانا) الثاني محذوف لظهور المراد أو لإرادة التعميم كما أشير إليه، و الجملة حالية أو استئنافية وفي مصاحف أهل الشام، (ما كنا) بدون واو وهي قراءة ابن عامر، فالجملة كالتفسير للأولى: وهذا كما ترى من رزق خيراً في الدنيا يتكلم بنحو هذا ولا يتمالك أن لا يقوله للفرح ولا للقرية". (٥)

*قال أبو منصور: "إخراج الواو وإدخالها لا يغير المعنى في مثل هذا الموضع، المعنى: أنهم قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا من غير أن كنا نهتدي لما هدانا له، من حذف الواو أراد: يارب ما كنا لنهتدي لهذا لولا هدى الله إيانا". (٦)

(١) الأوضار: واحدتها وضر، والوضر وسخ الدسم واللبن وغسالة القاء والقصة ونحوها. انظر لسان العرب (٢٨٤/٥) مادة وَضَرَ.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، لأبي عبد الرحمان بن حاتم وحيثما يأتي سأكتفي بقولي تفسير ابن أبي حاتم (١٤٧٨/٥) حديث رقم ٨٤٧٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٣٢/٥). انظر: تفسير القرطبي (١٨٣/٤). والمقتطف (٢٢٠/٢). و تفسير الشعراوي (٤١٤٢/٧). فتح القدير (٢٠٦/٢).

(٤) المغني في توجيه القراءات (١٢٨/٢).

(٥) تفسير روح المعاني (٧-١٢١/٨). وتفسير البغوي (٢٣٠/٣). وتفسير أبو السعود (٣٤٤/٢).

(٦) كتاب معاني القراءات ص ١٨٠.

*قال البيضاوي: "﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ قالوها زيادة في لذتهم وسرورهم لما جزأوه هذا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا﴾ لولا هداية الله وتوفيقه، واللام لتأكيد النفي وجواب اللامحذوف دل عليه ما قبله، وقرأ ابن عمر (ما كنا) بغير واو على أنها مبنية للأولى ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾ فاهتدينا بإرشادهم يقولون ذلك اغتباطاً، وتبجحاً بأن ما علموه يقيناً في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة". (١)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الهداية هي هداية الله وحده، فقد تضمنت جميع القراءات درجات الهداية ومراتبها الأربعة الأولى الهداية: التي عمت بجنسها كل مكلف من العقل والفتنة والمعارف الضرورية. والثانية: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على السنة الأنبياء وإنزال القرآن. والثالثة: التوفيق الذي يخص به من اهتدى. والرابعة: الهداية في الآخرة إلى الجنة؛ حيث قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا من غير أن كنا نهتدي لما هدانا له، ومن حذف الواو أراد: يارب ما كنا لنهتدي لهذا لولا هدى الله إيانا، ومن خلال القراءتين نجد أنه ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر ٣٣] وقد قالوها زيادة في تلذذهم وسرورهم لما جزأوه هذا الميراث؛ وهذا الميراث تعليل للحمد، وتثويته بأنه حمد عظيم على نعمة عظيمة فضلها من الله ﷻ.

*قال أبو علي الفارسي: لأن وجه الاستغناء عن حرف العطف أن الجملة ملتبسة بما قبلها فأغنى التباسها به عن حرف العطف. (٢)

٧ - ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنِ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف ٤٤].

أولاً: القراءات:

١. قرأ الكسائي (نعم) بكسر العين.
٢. وقرأ الباقون (نعم) بفتحها.

(١) تفسير البيضاوي ص ٢٠٦ .

(٢) انظر: مجمع البيان (٢٣٩/٤).

١. قرأ نافع والبصريان وعاصم (أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ) بإسكان النون مخففة ورفع (لَعْنَةُ).
٢. وقرأ الباقون (أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ) بتشديد النون ونصب (لَعْنَةُ). (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{نعم}: النُّعْمَةُ الحالةُ الحسنةُ وِبِنَاءِ النُّعْمَةِ بِنَاءِ الحالةِ التي يكون عليها الإنسانُ كالجِسْمَةِ والركبَةِ، والنُّعْمَةُ التَّعْيِيمُ وِبِنَاؤُهَا بِنَاءُ المَرَّةِ من الفعل كالضربةِ والشِّتْمَةِ، والنُّعْمَةُ للجنس تقال للقليل والكثير. ونَعَمَ كَلِمَةٌ تُسْتَعْمَلُ فِي المَدْحِ بِإِزَاءِ بئسَ فِي الذمِّ، وَأَنعَمَ أَي زاد وأصله من الإِنعامِ، ونَعَمَ اللهُ بِكَ عَيْنًا، ونَعَمَ كَلِمَةٌ للإِيجابِ من لفظِ النُّعْمَةِ، وتقول نَعَمَ ونُعْمَةُ عَيْنِ، ونُعْمَى ونُعْمَى عَيْنِ، ونُعَامُ عَيْنِ، ويصح أن يكون من لفظِ أَنعَمَ منه، أَي أَلينَ وأسهلَ. (٢)

{أَنْ}: أن، إن: ينصبان الاسم ويرفعان الخبر. (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

يخبر المولى ﷺ بما يخاطب به المؤمنون أهل النار على وجه التقرير والتوبيخ إذا استقروا في منازلهم ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ (أن) ههنا مفسرة للقول المحذوف (قد) للتحقيق، أي قالوا لهم: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟﴾ قالوا نعم ﴿، كما أخبر تعالى في سورة الصافات عن الذي كان له قرين من الكفار ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ...﴾ [الصافات. ٥٥-٥٩] أي: ينكر عليه مقالته التي يقولها

في الدنيا ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنكال وكذلك تفرعهم الملائكة يقولون لهم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور ١٥] ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور ١٦] وكذلك قرع ﷺ قتلى القليب^(٤) يوم بدر فنأدى "يا أبا جهل بن هشام، ويا عتبة بن ربيعة ويا شيبه بن ربيعة، وسمى رؤوسهم، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإنني وجدت ما وعدني ربي حقاً؛ وقال عمر يا رسول الله تخاطب قوماً قد جيفوا؟ فقال (والذي نفسي بيده ما أنتم بأقول منهم ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا تفرعهم). (٥)

- (١) النشر في القراءات العشر (٢٠٢/٢).
- (٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٢١-٥٢٠.
- (٣) ولمزيد من المعلومات فقد سبق الحديث عنه ص ١٢٦ .
- (٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز. باب ما جاء في عذاب القبر. حديث رقم ١٣٧٠. انظر فتح الباري (٢٧٤/٣).
- (٥) تفسير ابن كثير (١٩١/٢). انظر صفة التفاسير (٤٤٧/١). انظر تفسير الأساس (١٩٠٨/٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لَعْنَةُ اللَّهِ) على الابتداء (فأن) في موضع نصب على القرائتين على إسقاط الخافض ويجوز في المخففة ألا يكون لها موضع من الإعراب، وتكون مفسرة وحكي عن الأعمش^(١) أنه قرأ (إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ) بكسر الهمزة فهذا على إضمار القول كما، قرأ الكوفيون قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى ...﴾ [إل عمران ٣٩] ويروي أن ابن طاوس^(٢) دخل على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الأذان، فقال وما يوم الأذان؟ قال قوله تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فصعق هشام فقال طاوس هذا ذل الصفة فكيف ذل المعينة. وأفادت قراءة (أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ) على أنها هي الأصل. (٣)

أفادت قراءة الكسائي (نَعَمْ) بكسر العين، وحثه ما روى في الحديث: (أن رجلاً لقي النبي ﷺ وآله بمنى فقال: أنت الذي يزعم أنه نبي؟! فقال: (نَعَمْ) بكسر العين، وروي أن عمر سأل رجلاً شيئاً فقال: (نَعَمْ) فقال: هل، إنما: (النَعَمْ) الإبل. وأفادت قراءة الباقرين: (نَعَمْ) بالفتح وهما لغتان. (٤)

* (نَعَمْ) كلمة التصديق إذا أخبرت عما تقول قد كان كذا، فتقول: نعم، فإذا استفهمت عن منفي فالجواب بلى، ولذلك كان الجواب في قول المؤمنين للكفار (فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَاءً وَعَدَّ رَبُّكُمْ حَقًّا) بـ(نَعَمْ)، لأنه استفهام دخل على إيجاب، وكأن من كسر العين في (نَعَمْ) أراد أن يفرق بين (نَعَمْ) الذي هو جواب وبين (نَعَمْ) الذي هو اسم للإبل والغنم والبقر كما روي عن عمر. (٥)

أفادت قراءة (أَنَّ لَعْنَةً) بإسكان النون المخففة، ورفع (أَنَّ لَعْنَةً) على (أَنَّ) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ولعنة مبتدأ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبره والجملة خبر (أَنَّ).

وأفادت قراءة تشديد النون (أَنَّ)، ونصب (لَعْنَةً) على أنها اسم (أَنَّ) والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبرها. (٦)

(١) الأعمش سبق الترجمة له ص ١٩.

(٢) ابن طائوس هو: أحمد بن عبد الله بن علي بن طائوس، الإمام أبو البركات البغدادي المقرئ، نزيل دمشق قرأ القراءات على الحسن ابن علي العطار وأبي علي الشرمقاني، وأبي بكر بن علي بن الخياط وغيرهم، سمع من عبيد الله الأزهرى وغيره، صنف في القراءات ورأس فيها، وأقرأ الناس كان ثقة ديناً، مجوداً محققاً، توفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة هـ. انظر معرفة القراء الكبار. (٥٧٦/٢).

(٣) تفسير القرطبي (١٨٤/٤).

(٤) انظر: شرح المفصل في صيغة الإعراب (٦٠/١). وتفسير البغوي (٢٣١/٣).

(٥) حجة القراءات ص ٢٨٣. والكشف (٤٦٣/١). والمستنير (١٨٩/١).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١٣٨/٥).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنَّ العلاقة تفسيرية، تبين الحالة النفسية للتذلل حيث

إنه

قال تعالى: ﴿ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴾ يتبين أنه قد عبر بالماضي عن المستقبل لتحقيق وقوعه، وهذا النداء فيه تقريع وتوبيخ وتوقيف على مآل أهل النار وبيان الحالة النفسية التي هي، زيادة في كربهم وغمهم فقراءة الكسائي (نعم) بكسر العين، وحجته ما روي في الحديث: أن رجلاً لقي النبي ﷺ وآله بمنى فقال: أنت الذي يزعم أنه نبي؟! فقال: (نعم) بكسر العين، وروى أن عمر سأل رجلاً شيئاً فقال: (نعم) فقال: قل (نعم). إنما: (النعم) الإبل وقرأ الباقون: (نعم) بالفتح وهنا من قرأ بالكسر فهو جواب النبي الداخل على الاستفهام؛ ومن أجاب: (نعم) بمعنى (نعم). وهما لغتان بمعنى التصديق في كل الإجابات، إقرار واعتراف بالكرب والغم النازل بهم وفي كليهما دلّ الصفة. (١)

٨- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ
الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ
إِلَٰهُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف ٥٤].

أولاً: القراءات:

١. قرأ يعقوب وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (يُغْشِي اللَّيْلَ) بالتشديد.
٢. وقرأ الباقر (يُغْشِي اللَّيْلَ) بتخفيفها.
١. قرأ ابن عامر (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ) برفع الأسماء الأربعة.
٢. وقرأ الباقر (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ) بنصبها وكسر التاء في مسخرات (٢).

(١) انظر: البحر المحيط (٥٦/٥).

(٢) النشر في القراءات العشر (٢٠٢/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{غَشِيَ}: من غشا: غَشِيَ، يَغْشِي، غَشِيًا، وَغَشَايَةً، الأمر فلان غطاه وحلَّ به، والمكان: أتاه الليل: أظلم والغاشية: القيامة، والنار، غَشِيَ عَلَيْهِ غَشِيًا، وَغَشِيًا. وَغَشَايَا أَلَمَ بِهِ مَا غَشِيَ فَهَمَهُ وَأَفْقَدَهُ الْحَسَّ وَالْحَرَكَةَ فَهُوَ مَغْشِيٌّ عَلَيْهِ أَيْ الْإِغْمَاءُ؛ غَشَى: غَشَى الشَّيْءَ عَلَى الشَّيْءِ: غَطَاهُ. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تخاطب الآية الكريمة المتباطئين في إيمانهم، بالحديث عن آية من أعظم الآيات الكونية، عليها تتخلع لها قلوبهم بالعودة إلى خالقهم، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي إن خالقكم ومالك أمركم، الذي خلق الأجرام السماوية في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا، وفي خلق الأشياء بالترج مع القدرة على إبداعها جملة واحدة، ولكن في ذلك اعتبار للنُّظَارِ ودعوة للتأني في الأمور ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ حيث الاستواء صفة معلومة للخالق ﷻ بلا كيف ولا سؤال عنه، يعني أن الله ﷻ استواء يليق بجلاله، فهو منزه عن كل شبيهه (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ) التغطية: التغطية والستر أي يجعل الليل غاشياً النهار مغطياً له فيذهب

بنوره؛ وهكذا دواليك في كل ليل ونهار، ويتعاقب الأمثال يستمر الاستبدال ، فيتغير كل منهما بالآخر (يطلبُهُ حثيثاً) يطلب الليل النهار طلباً سريعاً حتى يلحقه ويدركه، والحث على الشيء الحث عليه (لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) الخلق: إيجاد الأشياء من العدم ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ أي خلقها ﷻ مسخرة بقضائه وتصريفه، فهي غير قادرة بنفسها بل هي عاجزة تتصرف بتدبيره وأمره، والأمر: التدبير والتصرف على حسب الإرادة لما خلقه فهو سبحانه المدبر لا شريك له (تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) كثر خيره وإحسانه، من البركة بمعنى الكثرة من كل خير، وأصلها النماء والزيادة أي تقدس وتنزه عن كل نقص فهو الخالق المبدع للكائنات، الذي أتقن كل شيء خلقه. (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُغْشِي) مفتوحة الغين مشددة وكذلك قرؤوا في الرعد، قال الزجاج: المعنى أن الليل يأتي على النهار فيغطيه وإنما لم يقل ويغشي النهار الليل لأن في الكلام دليلاً عليه، وقال أبو علي الفارسي: إنما لم يقل يغشي النهار الليل لأنه معلوم من فحوى الكلام كقوله: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾ [النحل ٨١]. وانتصب الليل والنهار لأن كل واحد منهما مفعول به، فأما

(١) انظر: القاموس المحيط ص ١٦٩٩. مادة غشي.

(٢) انظر: المقطف (٢٢٨/٢). وصفوة البيان ص ٢٠٨. والتحرير والتتوير (١٦١/٥). وتفسير البغوي (٢٣٥/٣).

الحيث فهو السريع، وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ قرأ الأكثرون بالنصب، فيهن وهو على معنى خلق السموات والشمس.

أفادت قراءة (يُغْشِي اللَّيْلَ) النهار، (يُغْشِي) ساكنة الغين خفيفة. وقرأ ابن عامر (وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ، مُسَخَّرَاتٌ) بالرفع فيهن هاهنا وفي النحل تابعه حفص في قوله تعالى: (وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [سورة النحل ١٢] فحسب والرفع على الاستئناف والمسخرات المذلات". (١)

*قال البيضاوي: "قرئ (يُغْشِي اللَّيْلَ) النهار بنصب الليل ورفع النهار، وقراءة التشديد فيها للدلالة على التكرير، يطلبه حثيثاً يعقبه سريعاً كالمطالب له لا يفصل بينهما شيء والحيث فاعل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أحوال من الفاعل بمعنى حاثاً أو المفعول بمعنى محثوثاً (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ) بأمره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على

السّموات ونصب مسخرات على الحال، وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر ألا له الخلق والأمر فإنه الموجد والمتصرف". (٢)

* قال د. محمد سالم محيسن: قرأ (يُغشّي) بفتح الغين وتشديد الشين ، ومضارع (غَشَّى) المضاعف، وقراءة الباقيين (يُغشّي) بإسكان العين وتخفيف الشين المضارع (أغشى).
وقراءة (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ) برفع الأسماء الأربعة على أن الشمس مبتدأ، (القمر والنجوم) معطوفات عليه و(مسخرات) خبر. وقراءة الباقيين بنصبها على أن (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ) معطوفة على السّموات و(مُسَخَّرَاتٍ) حال من هذه المفاعيل. (٣)
ولقد ذهب البعض أن القراءتين متساويتين (يُغشّي اللَّيْلَ النَّهَارَ) أي يغطيه به ، ولم يذكر العكس للعلم به، أو لأن اللفظ يحتملها؛ لأن في التشديد معنى التكرير والتكثير. (٤)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينها بيانية تظهر من خلالها قدرة الله تعالى بأن جعل الليل والنهار يتعاقبان وفق نظام مرتب دقيق ، فظلمة الليل تحجب ضوء النهار، ونور النهار يكشف ظلمة الليل ، وكل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً ولكنه لا يدركه. (٥)
كما في قوله تعالى: ﴿ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس:٤٠] أي كل منهما يسير بطريقة عجيبة يختار العقل البشري في معرفة حقيقتها.

(١) تفسير زاد المسير (٢١٤/٣).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي ص ٢٠٨. وتفسير أبو السعود (٣٤٨/٢). وتفسير البغوي (٢٣٦/٣).

(٣) انظر: المستنير (١٨٩/١).

(٤) انظر: الكشف (٤٦٥/١). والحجة ص ٨٥. (٥) انظر: التحرير والتوير (١٦٩/٥).

وحجة من نصب أنه عطف ذلك على المنصوب (يخلق) من قرأ بالرفع فعلى أنها مبتدأ خبرها مسخرات، وعطف بعض الأسماء على بعض؛ وكما أن القراءات سواء بالرفع أو النصب هو بيان حال لخضوع هذه المخلوقات فهي خاضعة للنظام الذي خلقها الله عليه بدون تغيير مع شأن عظيمها أنه لا يستطيع غيره ﷻ وضعها على نظام محدد منضبط؛ فهو دليل عظيم قدرته سبحانه؛ فالحجة لمن نصب: أنه عطفه على (يُغشّي) فأضمر فعلاً في معنى يغشي، ليشاكل بالعطف بين الفعلين، والحجة لمن رفع: أنه جعل الواو حالاً لا عاطفة، فاستأنف بها، فرفع كما تقول: لقيت زيدا وأبوه قائماً؛ تريد: وهذا حال أبيه.

السحاب، الذي ينزل المطر الذي في طياته البشرى للمؤمنين والتحذير للكافرين؛ وهذه آية عظيمة تذكرنا بقدرته على إحياء الموتى يوم النشور.

*قال المراغي: "بعد أن ذكر عز اسمه تفرد به بالملك والملوك وتصرفه في العالم العلوي والسفلي وتدبيره الأمر وحده، وطلب إلينا متضرعين خفية وجهرًا، ونهانا عن الإفساد في الأرض بعد إصلاحها، وأبان أن رحمته قريب من المحسنين، قفى على ذلك بذكر بعض ضروب من رحمته، إذ أرسل إلينا الرياح، وما فيها من منافع للناس، فيها ينزل المطر الذي هو مصدر الرزق وسبب حياة كل حي في هذه الأرض، وفي ذلك عظم الدلالة على قدرته ﷻ على البعث والنشور". (٢)

ومن ثم عالجت الآية الكريمة قضية البعث بضرب المثل من خلال الآيات الكونية والتأمل فيها فهي أعظم أنواع العبادات وأجلها.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (نُشراً) بضم النون والشين جمع ناشر على معنى النسب أي ذات نشر، وابن عامر (نُشراً) بضم النون وإسكان الشين من نشر. وأفادت قراءة (نَشراً) بفتح النون وإسكان الشين على المصدر، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال ومعنى هذه القراءات يرجع إلى النشر الذي هو خلاف الطي فكأن الريح مع

(٢) انظر: لسان العرب (٥/٢٠٧). مادة نشر.

(٣) تفسير المراغي (٧-٩/١٨١).

سكونها كانت مطوية ثم ترسل من طيها فتصير كالمنفتحة. وقال أبو عبيدة: معناه متفرقة في وجوها على معنى ننشرها هاهنا وهاهنا.

وأفادت قراءة (بِشراً) بالباء الموحدة وإسكان الشين جمع بشير أي الرياح تبشر بالمطر ومثله قوله تعالى: وهو الذي يرسل الرياح مبشرات قوله بين يدي رحمته أراد بالرحمة هنا المطر أي قدام رحمته والمعنى أنه سبحانه يرسل الرياح ناشرات أو مبشرات بين يدي المطر". (١)

*قال صاحب إتحاف فضلاء البشر: "وقرأ عاصم (نُشراً) بالباء الموحدة المضمومة وإسكان الشين جمع بشير كنذير ونذر، وقرأ ابن عامر (نُشراً) بضم النون وإسكان الشين وهي مخففة، من قراءة الضم وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون المفتوحة، وسكون الشين مصدر واقع موقع الحال بمعنى ناشرة أو منشورة أو ذات نشر، ومن قرأ بضم النون والشين (نُشراً) جمع ناشر كنازل ونزل وشارف وشرف". (٢)

فمن قرأ بالنون وضمها وإسكان الشين جمع نشور، ونشور بمعنى ناشر ؛ كطهور بمعنى طاهر وجعل الرياح ناشرة للأرض أي محيية لها إذ تأتي بالمطر الذي يكون الإنبات به، أو نشور بمعنى منشور، والمعنى أرسل الله الرياح لتأتي بين يدي رحمته، فهي ريح منشورة، وعندما نقول: أنشر الله الريح: إذا بعثها.و(نَشْرًا) بالنون وفتحها وإسكان الشين، فهي خلاف الطي كأن الريح في سكونها كالمطوية، ثم ترسل من طيها ذلك فتسير كالمتفتحة أو المتفرقة على وجهها فتنتشرها هنا وهنا؛ ومنشورة بمعنى محيية. وقراءة(بَشْرًا) بالباء الموحدة وضمها فهي من البشارة، فالريح تبشر بالمطر .

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن علاقتها تفسيرية، فقراءة (بَشْرًا) يذكرنا المولى ﷺ بكونها بشارة بنزول المطر وذلك على قراءة الباء (بشراً)، أما قراءة (نَشْرًا) فحال كونها نشرت بعد طي، فهي منشورة بعد ما تكون مطوية، فهي تأتي بإرسال الريح في حال كونها تجيء الأرض، بما تحمله من مطر لتحبيي به أرضاً ميتاً، وذلك على قراءة (نَشْرًا) بالنون بضمها وضم الشين، وعليه فانه ﷺ يذكرنا بالريح في حال إحياء الله لها لحمل السحاب النقال لأكثر من مكان فينتشرها، وهي بدورها تأتي بالبشريات، أو بنشر الخير على الأرض. (٣)

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤٨/٥). وتفسير الشوكاني (٢١٤/٢)، وتفسير أبي السعود (٣٥١/٢). وتفسير النسفي (٥٧/٢-١).

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٨٤.

(٣) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٥٦١/٢). انظر: معاني القرآن وإعرايه للزجاج (٣٤٥/٢).

١٠ - ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثٌ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ

نُصِرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾

[الأعراف ٥٨].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو جعفر (إِلَّا نَكِدًا) بفتح الكاف.

٢. وقرأ الباقون (إِلَّا نَكِدًا) بكسر ها. (١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{نَكَدَ}: الشَّوْمُ، واللُّؤْمُ، نَكَدَ، نَكَدًا ، وكل شيء جرَّ على صاحبه شراً، فهو نَكَدٌ، وصاحبه أَنْكَدٌ نَكَدٌ؛ والنُّكَدُ : قلة العطاء وأن لا يهنأه من يُعطاه، وسأله فأنكده أي وجده عسيراً مقللاً وقيل: لم يجد عنده إلا نزوراً قليلاً، يدل على خروج الشيء إلى طالبه بشدة، ورجل نَكَدٌ نَكَدٌ، ويقال: نَكَدَ الغراب: استقصى في شحيجه، كأنه يقيء، وناقَةٌ نكداء: لا لبن فيها، والنُّكد: جمع ناكد، وهي التي لا يعيش لها ولد. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن منهج الله الذي مثله كمثل المطر النازل من السماء، فالمطر ينزل على الأرض ليرويهها ويتغلغل فيها فتخرج النباتات النافع لأنها نافعة في ذاتها، وهناك أرض لا تنتفع منه ولكنها تمسكه فينتفع غيرها منه، وهناك ما لا تنتفع هي ولا ينتفع منها، وهكذا دين الله ﷻ.

فقد تضمنت الآية مثلاً ضربه الله تعالى للعبد المؤمن والكافر إثر بيان قدرته على إحياء الناس بعد موتهم فقال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ أي طيب التربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ وذلك بعد إنزال المطر به، وهذا مثل العبد المؤمن ذي القلب الحي الطيب إذا سمع ما ينزل من الآيات يزداد إيمانه وتكثر أعماله الصالحة ﴿وَالَّذِي خَبَثَ﴾ أي البلد الذي تربته خبيثة سبخة أو حمأة عندما ينزل به المطر لا يخرج نباته إلا نكداً عسراً قليلاً غير صالح وهذا مثل الكافر عندما يسمع الآيات القرآنية لا يقبل عليها ولا ينتفع بها في خلقه ولا سلوكه فلا يعمل خيراً ولا يترك شراً. (٣)

(١) النشر في القراءات العشر (٢٠٣/٢).

(٢) انظر: لسان العرب (٤٣٨/٣). مادة نكد.

(٣) تفسير الشعراوي (٤١٨٦/٧). أيسر التفاسير (١٨٥/٢).

* وفي تفصيل معنى الآية قال ﷺ^(١) (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقيةً قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. أمسكت الماء فنفع بها الله الناس فشربوا وورعوا. وأصابه طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم. ومثل من لم يرفع لذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به). (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (إلا نَكَدًا) بأن لها وجهين: أحدهما: أن ينتصب حالاً . أي : عسراً مبطناً، يقال منه: نَكَدَ، يَنْكَدُ، نَكَدًا، بالفتح فهو (نَكَدٌ) بالكسر .

والثاني: أن ينتصب على أنه نعت مصدر محذوف، أي: إلا خروجاً (نَكْدًا) وصف الخروج بالنكد كما يوصف به غيره، إذ التقدير: والبلد الذي خبث لا يخرج.
وأفادت قراءة (إلا نَكْدًا) ولابد من مضاف محذوف، أما من الأول: تقديره: ونبات الذي (وَالَّذِي خَبَثَ) لا يخرج، وأما من الثاني تقديره: (وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا) وغاير بين الموصولين، فجاء في الأول بالألف واللام، وفي الثاني جاء (بالذي) ووصلت بفعل ماضٍ. (٣)
* قال البيضاوي: " (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ) الأرض الكريمة التربة يخرج نباته بإذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغازاة نفعه لأنه أوقعه في مقابلة، (وَالَّذِي خَبَثَ) أو كالحررة السبخة لا يخرج (إلا نَكْدًا) قليلاً عديم النفع، ونصبه على الحال، وتقدير الكلام: (والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا نكداً) فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعاً مستتراً، وقرئ يخرج، أي يخرج به البلد فيكون (إلا نَكْدًا) مفعولاً ونكداً على المصدر أي ذا نكداً. (٤)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن القراءتين تبيينان حال القلوب التي تشبه الأرض

الردئية

السبخة، فهي قد لا تثمر أبداً؛ وإن كان منها ما يثمر ولكنه قليل عديم النفع، ففي القراءتين بيان

(١) أخرجه البخاري - كتاب العلم - باب فضل من علم وعلم. حديث رقم ٧٩. انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٢١١/١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٨٥/٥).

(٣) تفسير الدر المصون (٢٨٦/٣).

(٤) تفسير البيضاوي ص ٢٠٩. و انظر: تفسير القرطبي (٢٠٢/٤). وتفسير الكشاف (١٦٢/٢). وتفسير زاد المسير (٢٢٠/٣).

لأصحاب هذه القلوب النكدة، فنَكْدٌ، ونَكْدٌ، وأنكَدٌ، هي شَوْمٌ عَسِرٌ، وهم أنكاد ومناكيد أي لاخير فيهم. فعلى قراءة (نَكْدًا) بفتح الكاف، على المصدر أي ذا نكد، يقال نَكَدَ الغراب: استقصى في شحيجه، وناقاة نكداء: لا لبن فيها أبداً. أما (نَكْدًا) بكسرهما، أصل النَكْد: العسر القليل الذي لا يخرج إلا بعناء ومشقة، يقال نَكَدَت البئر: قل ماؤها. (١)

١١ - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي

[الأعراف ٥٩].

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو جعفر والكسائي بخفض الراء وكسر الهاء بعدها (مَنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ).
٢. وقرأ الباقون (مَنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) برفع الراء وضم الهاء. (٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{إله}: وهو التعبد فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال تأله الرجل، إذا تعبد. (٣)
{غير}: يدل على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين، وهذا الذي نحن بصدده هذا الشيء غير ذلك، أي هو سواه أو خلافه. (٤)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تضمن القسم الرباني بإرسال الرسل رحمة للبشر من الله ﷻ ثم للتنبيه والتحذير من سوء عاقبة الكفر الوخيمة.

(١) انظر: صفوة البيان ص ٢٠٩.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢٠٣/٢).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١٢٧/١).

(٤) انظر: نفس المرجع السابق (٤٠٣/٤).

* قال الطبري: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ﴾ أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية أنه أرسل نوحاً إلى قومه منذرهم بأسه؛ ومخوفهم سخطه على عبادتهم غيره فقال لمن كفر منهم ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ الذي له العبادة وذلوا له بالطاعة وخضعوا له بالاستكانة، ودعوا عبادة من سواه من الأنداد والآلهة، فإنه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إن لم تفعلوا ذلك عذاب يوم عظيم، يعني عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخط ربكم". (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) برفع غيره ، أي ما لكم إله غيره نعت على الموضوع، وقيل غير بمعنى إلا أي ما لكم من إله إلا الله ؛ قال أبو عمرو^(٢): ما أعرف الجر ولا النصب وقرأ الكسائي بالخفض على الموضوع ويجوز النصب على الاستثناء وليس بكثير، غير أن الكسائي والفراء^(٣): أجازا نصب غير في كل موضع يحسن فيه إلا تم الكلام أو لم يتم فأجازا ما جاءني غيرك، قال الفراء: هي لغة بعض بني أسد وقضاعة. (٤)

* قال صاحب الكشف: "(مَنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ) و(وَهَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ) [فاطر ٣] قرأهما الكسائي بالخفض حيث وقعا، ووافقهما حمزة على الخفض في (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ) وقرأ الباقر بالرفع. وحجة (إِلَهٍ) و(خَالِقٍ) على اللفظ، وموضع (إِلَهٍ) و(خَالِقٍ) موضع رفع على الابتداء، (مَأَلَكُمْ) و(وَيُرْزَقُكُمْ) الخبر أو يضم الخبر كأنه قال: ما لكم من إله غير الله في الوجود. وحجة من رفع أنه جعل (غَيْرُهُ) بدلاً من (إِلَهٍ) ومن (خَالِقٍ) على الموضوع ويجوز أن يكون (غَيْرٍ) صفة لـ (إِلَهٍ) ولـ (خَالِقٍ) على الموضوع كقوله: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) أي: غير الله [إل عمران ٦٢]". (٥)

* قال الدكتور محيسن: "قرأ الكسائي، وأبو جعفر، و(غَيْرِهِ) بخفض الراء وكسر الهاء، على النعت، والبدل من (إِلَهٍ) لفظاً؛ وقرأ الباقر (غَيْرُهُ) برفع الراء، وضم الهاء، على النعت أو البدل من (إِلَهٍ) محلاً؛ لأن من زائدة، وإله مبتدأ. (٢)

(١) تفسير الطبري (١٥٠/٥-١٥١).

(٢) أبو عمرو سبق الترجمة له ص ٩٦.

(٣) الفراء هو: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الكوفي النحوي من أجل أصحاب الكسائي، كان رأساً في النحو والعربية، قيل لولاه لما كانت العربية فهو هذبها وضبطها. توفي سنة سبعة ومئتين هـ. انظر شذرات الذهب (١٩/١).

(٤) تفسير القرطبي ٤/٤٠٤. وتفسير الشوكاني ٢/٢١٦. وتفسير البيضاوي ٢٠٩.

(٥) الكشف ص ٤٦٧. صاحب إملاء ما من به الرحمن ص ٢٨٤.

(٦) انظر: المستنير (١٩٢/١).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما تفسيرية فقراءة الرفع ، الخفض تؤكدان أن جميع الديانات التي جاء بها الرسل والأنبياء تتفق في المبدأ الأسمى وهو التوحيد (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) [الأنبياء ٢٢] فلو كان في الكون آلهة أخرى لفسد نظام الكون، ولأن تعدد الأفراد يلزم منه تعدد الأمزجة واختلافها، ومادام هناك اختلاف فلا يكون هناك استقرار لكل شيء؛ وهذا خلاف الحقيقة.

١٢- ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[الأعراف ٦٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو عمرو (أَبْلَغُكُمْ) بتخفيف اللام.

٢. وقرأ الباقون (أَبْلَغُكُمْ) بتشديدها. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{بلغ}: البلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدورة، وربما يعبر عن المشاركة عليه، وإن لم ينته إليه يقال بلغته الخبر وأبلغته مثله وبلغته أكثر، والبلاغة تقال على وجهين: أحدهما أن يكون بذاته بليغاً وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف صواباً في موضوع لغته، وطبقاً للمعنى المقصود به، وصدقاً في نفسه، ومتى اخترم وصف من ذلك كان ناقصاً في البلاغة .

والثاني: أن يكون بليغاً باعتبار القائل والمقول، وهو أن يقصد القائل أمراً فيرده على وجه حقيق أن يقبله المقول له. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

*الآية الكريمة تحمل في طياتها مهمة الرسل المرسلين، وهذا شأن الرسول أن يكون

مبلغاً

(١) النشر في القراءات العشر (٢٠٣/٢).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٨.

فصيحاً، ناصحاً عالماً بالأمور الغيبية والأمور التي لا علم لهم بها، وخاصة العلم بالله الذي لا يدركه أحد من الخلق .

*قال سعيد حوى: " (أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي) هذا بيان لكونه رسول رب العالمين، ومن ثم يقوم بالبلاغ، والمراد برسالات ربي هنا ما أوحى إليه في الأوقات المتطاولة، أوفي المعاني المتعددة من الأوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والمذكرات (وَأَنْصَحُ لَكُمْ) أي: أقصد صلاحكم بإخلاص النصح لكم؛ ثم قال أنصح لكم ولم يقل وأنصحكم ليفيد مبالغته في

تمحيصهم النصيحة وحقيقة النصح: إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك، أو نهاية في صدق العناية - وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ - أي من صفاته يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه، وأن بأسه لا يُرَد عن القوم المجرمين". (١)

رابحاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة جملة (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي) في محل رفع على أنها صفة لرسول، أو هي مستأنفة مبينة لحال الرسول والرسالات ما أرسله الله به إليهم مما أوحاه إليه و(أَنْصَحُ لَكُمْ) عطف على (أُبَلِّغُكُمْ) يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام دلالة على المبالغة في محاض النصح قال الأصمعي^(٢): الناصح الخالص من الغل، وكل شيء خلص فقد نصح فمعنى أنصح هنا أخلص النية لكم عن شوائب الفساد، والاسم النصيحة وجملة (وأعلم من الله ما لا تعلمون) معطوفة على الجملة التي قبلها مقرررة لرسالته ومبينة لمزيد علمه وأنه يختص بعلم الأشياء التي لا يعلمونها بإخبار الله له بذلك". (٣)

أما قراءة (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي) [الأعراف ٧٩]. والحجة لمن خفف: أنه أخذه من أبلغ ودليله الآية الكريمة [الأعراف ٧٩].

(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي) بالتشديد فالحجة لمن شدد أنه أراد: تكرير الفعل، ومداومته، ودليله قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) [المائدة ٦٧]. (٤)

*قال العكبري: " (أُبَلِّغُكُمْ) يجوز أن يكون مستأنفاً، وأن يكون صفة لرسول على المعنى؛

لأن

(١) تفسير الأساس (٤/١٩٣٢).

(٢) الأصمعي هو: عبد الملك بن قريش بن علي بن أجمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، رواية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، نسبته إلى جدّه أصمّع، مولده ووفاته بالبصرة، كان كثير التطوف على البوادي، يقبّس علومها ويتلقى أخبارها، له كتاب سما الأصمعيات، جمع فيه بعض القصائد التي تفرد الأصمعي بروايتها، مات سنة ست عشرة ومائتين. انظر تاريخ بغداد أو مدينة السلام. للحافظ أبي بكر بن أحمد بن الخطيب البغدادي (١٠/٤١٠).

(٣) انظر: تفسير الشوكاني (٢/٢١٦). وتفسير البغوي (٣/٢٤١).

(٤) الحجة ص ٨٦.

الرسول هو الضمير في (لكني) ولو كان يبلغكم لجاز لأنه يعود على لفظ رسول، ويجوز أن يكون حالاً، والعامل فيه الجار من قوله: من رب (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ) بمعنى أعرف، فيتعدى إلى مفعول واحد، وهو (ما) وهي بمعنى الذي أو نكرة موصوفة، ومن الله فيه وجهان: أحدهما هو

متعلق بأعلم: أي ابتداء علمي من عند الله، والثاني: أن يكون حالاً من (ما) أو من العائد المحذوف. (١)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن البلوغ والبلاغ كليهما الانتهاء إلى أقصى المقصد؛ وهذا ما فعله النبي ﷺ فقال (إنما بعثني الله مبلغاً لا معتباً، ولكن بعثني معلماً وميسراً) (٢) فعليه أن يبلغ رسالة ربه فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. (٣)

فالبلاغ هو إنهاء الأمر إلى صاحبه؛ فيقال بلغت المكان الفلاني... أي إنتهيت إليه؛ والبلاغة هي النهاية في أداء العبارة الجميلة و(أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي) أي أنهى إليكم ما حملنيه الحق من منهج هداية لاستمرار حياتكم الكريمة، وجمعت رسالات: يعني المناهج الثابتة التي جاءت بها الرسالات السابقة. (٤)

١٣ - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنْ

الكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف ٦٦].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر (وقال الملاء) بزيادة واو قبل قال.
٢. وقرأ الباقر (قال الملاء) بغير واو قبل قال. (٥)

(١) إملاء ما من به الرحمن ص ٢٨٤.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية حديث رقم ٣٧٦٣. جزء من حديث.

(٣) انظر: المستنير (١٩٣/١).

(٤) انظر: تفسير الشعراوي (٤١٩٤/٧).

(٥) النشر في القراءات العشر (٢٠٣/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{الملاء}: أصلها من الميم، واللام، والحرف المعتل أصل صحيح يدل على امتداد في شيء زمان أو غيره، وأمليت القيد للبعير إملاء، وإذا وسعته وتمليت عمري إذا استمتعت به. (١)

والملا جماعة يجتمعون على رأي، فيملئون العيون رواءً ومنظراً، والنفوس بهاءً وجلالاً؛
ويقال فلان ملء العيون أي معظمٌ عند من رآه كأنه ملأ عينه من رؤيته. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تتحدث عن قوم سيدنا هود عليه السلام الذين جحدوا توحيد الله ﷻ وأنكروا رسالة هود عليه السلام إليهم .

*قال ابن كثير: " (قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) والملا هم الجمهور والسادة والقادة منهم (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَادِبِينَ) أي في ضلالة حيث تدعوننا إلى ترك عبادة الأصنام والإقبال على عبادة الله". (٣)
وذلك بقولهم لرسولهم إنا لنراك في سفاهة وفي ضلال عن الحق والصواب ، ببعذك عن ديننا، وعبادة آلهتنا الذين اتخذوا لهم الصور والتمائيل، تخليداً لذكراهم في نفوسهم، والتقرب إليهم من أجل الشفاعة.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (قَالَ الْمَلَأَ) بأن الملا: الأشراف والسادة ، قيل: سموا بذلك ؛ لأنهم يملؤون الصدور بعظم شأنهم، وقيل الرجال ليس معهم نساء سموا بذلك لأنهم يملؤون المحافظ. (٤)
*قال محيسن: "(قَالَ الْمَلَأَ) في قصة نبي الله صالح عليه السلام (قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) [الأعراف ٧٤].

وأفادت قراءة (وَقَالَ الْمَلَأَ) بزيادة واو قبل قال ، وذلك للعطف على ما قبله وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الشامي، وقرأ الباقر (قَالَ الْمَلَأَ) بغير واو قبل اكتفاء بالربط المعنوي، وهذه القراءة موافقة لرسم باقي المصاحف. (٥)

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٥٢).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٩٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٩٨).

(٤) الحجة ص ٨٦. الكشف (١/ ٤٦٧).

(٥) انظر: تفسير المغني (٢/ ١٤٢).

* قال النسفي : " (قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) أي الأشراف والسادة، (مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أي بين في ذهاب عن طريق الصواب؛ الرؤية رؤية قلبية، (قَالَ يَا قَوْمِ

لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ) ولم يقل ضلال كما قالوا لأن الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شيء من الضلال ثم استدرك لتأكيد نفي الضلال". (١)
* قال أبو منصور: "(قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا) قرأ ابن عامر وحده (وَقَالَ الْمَلَأُ) بواو، وكذلك هي في مصاحفهم، قال أبو منصور: الواو وحذفها لا يغير المعنى. (٢)

**خامساً: وبالجمع بين القراءتين يتبين أنه للاختلاف في إثبات الواو، أوحذفها أثر معنوي أو نحوي من حيث جواز عطف جملة على جملة من غير الإتيان بحرف العطف لوجود الرباط المعنوي بين الجملتين ، فقراءة ابن عامر (وَقَالَ الْمَلَأُ) بزيادة واو قبل قال فإثباتها من باب العطف؛ ولعله ذكر بالواو؛ لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول ﷺ بخلاف قول قوم نوح حيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال (وَقَالَ الْمَلَأُ) الواردة في قصة صالح والواقع بعد كلمة المفسدين. وقراءة الباقيين (قَالَ الْمَلَأُ) بغير واو قبل القاف، فحذفها على الابتداء، أي الاستئناف ففصلت جملة (قال) على طريقة الفصل في المحاورات، واقترن التأكيد للدلالة على أنهم حققوا وأكدوا اعتقادهم أن نوحاً منغمساً في الضلالة. (٣)
وفي القراءتين دليل على الوصف وهنا محمول على أنه للذم لا للتميز، ومقتضى المقام يقتضي ذمهم - لشدة عنادهم - كما يدل عليه جوابهم.**

١٤ - ﴿إِنَّكُمْ تَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾

[الأعراف ٨١].

أولاً: القراءات:

(١) تفسير النسفي (١-٥٨/٢).

(٢) كتاب المعاني ص ١٨٢. ملاحظة الحديث عن الآية ٧٥.

(٣) انظر: تفسير الفريد (٢/٣٢١).

١. قرأ نافع، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر (إِنَّكُمْ) بهمزة واحدة مكسورة.

٢. وقرأ الباقون (أَنْتُمْ) بهمزتين على صيغة الاستفهام. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{إن}: أن، إن: ينصبان الاسم ويرفعان الخبر. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تكشف الآية الكريمة عن أخس قوم وهم الذين يبتغون الشهوة وحدها، فهم أخس من سائر أفراد الحيوان، فالذكور تطلب الإناث بدافع الشهوة والفطرة السليمة، وحفاظاً على النسل والنوع، ولكن هؤلاء المجرمين شذوا عن الفطرة لأغراض لهم ألا وهي إرضاء شهواتهم .
*قال الجزائري: " قال لقومه الذين أرسل إليهم منكراً عليهم فعلتهم (أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) وهي إتيان الرجال في أدبارهم (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ) أي لم يسبقكم أحد من الناس قاطبة، وواصل هذا إنكاره هذا المنكر موبخاً هؤلاء الذين هبطت أخلاقهم إلى درك لم يهبط إليه أحد غيرهم (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً) من دون النساء هي المفطور عليها الإنسان، ولكنه الإجرام والتوغل في الشر والفساد والإسراف في ذلك، والإسراف لا يقف عند حد". (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (إِنَّكُمْ) بهمزة واحدة مكسورة بصيغة الخبر، فالبيان راجع إلى الشيء المنكر بهمزة الإنكار، من (أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) وبه يعرف بيان الإنكار، ويجوز اعتباره خبراً مستعملاً في التوبيخ، ويجوز تقدير همزة استفهام حذفتم للتخفيف، ولدلالة ما قبلها عليها.
أفادت قراءة (أَنْتُمْ) بهمزتين على صيغة الاستفهام فالبيان للإنكار، وبه يعرف بيان المنكر فالقراءتان متساويتان". (٤)

*قال أبو السعود: "(إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ) خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة، وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد، وبمد أيضاً على أنه تأكيد للإنكار السابق وتشديد في التوبيخ

(١) النشر في القراءات العشر (٢٠٣/٢).

(٢) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٢. للمزيد من المعلومات يمكنك الإطلاع ص ١٢٦.

(٣) انظر: أيسر التفاسير (١٩٩/٢).

(٤) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٢٣١/٥). والمقتطف (٢٤٢/٢).

وفي زيادة أن واللام مزيد توبيخ وتقريع، وكأن هذا أمر لا يتحقق صدوره عن أحد فيؤكد تأكيداً قوياً وفي إيراد لفظ (الرِّجَالَ) دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ". (١)

*قال ابن خالويه: " (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ) يقرأها هنا بالاستفهام والإخبار، فالحجة لمن استفهم ثانياً: أنه جعله جواباً، واستدل بقوله تعالى: (أَلَلَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) [يونس: ٥٩] فأعاد الاستفهام إذا كان عليها دليل من (أم) والحجة لمن قرأه بالإخبار: أنه اجتزأ بالأول من الثاني ودليله: (أَفَأَنْ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) [الأنبياء: ٣٤]. (٢)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بلاغية وأن الغرض منها التقرير و الإنكار والتوبيخ؛ كأن هذا الفعل الشنيع لا ينبغي أن يصدر من أحد؛ كما أنه لم يسبقهم إليه أحد. قرأ نافع، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر (إِنَّكُمْ) بهمزة واحدة مكسورة، على الخبر، لأن الإستفهام في الجملة الأولى هي (أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) يغني عن الاستفهام في الجملة الثانية لدلالته عليها؛ بينما قراءة الباقيين (أَإِنَّكُمْ) بهمزتين على صيغة الاستفهام الذي فيه بيان وتفسير للفاحشة، فالهمزة تضمنت الإنكار والتوبيخ لفظاعة الفاحشة، التي لم تكن لغرض أو هدف سوى الفاحشة التي زينها لهم الشيطان وأوقعهم بها.

١٥ - ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ [الأعراف ٩٨].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان، وابن كثير، وابن عامر (أَوْ أَمِنَ) بإسكان الواو.
٢. وقرأ الباقون (أَوْ أَمِنَ) بفتح الواو. (٣)

(١) تفسير أبو السعود ٣٦٧/٢.

(٢) الحجة ٨٦. والمقتطف ٢٤٢/٢. والفريد ٣٣٠/٢.

(٣) النشر في القراءات العشر (٢٠٣/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{أمن}: الهمزة، والميم، والنون، أصلان متقاربان: أحدهم الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب؛ والآخر التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان، قال الخليل^(١): الأمانة من الأمن والأمان إعطاء الأمانة، والأمانة ضد الخيانة.^(٢) وأصل الأمن طمأنينة النفس، وزوال الخوف والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، تارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان.^(٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية تحمل في طياتها تهديداً ووعيداً؛ حيث إنه ﷺ يخوفهم نزول العذاب بهم في أوقات الغفلات والسهوات إما وقت النوم، أو وقت الضحى، إذ في مثل هذه الأوقات يكثر تشاغل الناس بالذات.

* قال الصابوني: " (أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى) إنكار بعد إنكار، للمبالغة في التوبيخ، ولم يقصد الترتيب بينهما ، فلذا لم يؤت بالفاء (أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأَسْنًا ضُحَى) أي ضحوة النهار بعد طلوع الشمس. والضحى: امتداد النهار والضحوة مثله ، وجمعه ضُحَى، مثل قرية وقُرى (وَهُمْ يَلْعَبُونَ) أي يلهون من فرط الغفلة، أو يشتغلون بما لا ينفعهم، كأنهم يلعبون".^(٤)

* قال سيد قطب: " أفأمنوا أن يأتيهم بأس الله... (ضحى وهم يلعبون) واللعب يستغرق اليقظة والتحفيز، ويلهي عن الأهبة والاستعداد، فلا يملك الإنسان وهو غارق في لعبه، أن يدفع عن نفسه مغيراً، فكيف بغارة الله ! ؟ التي لا يقف لها الإنسان وهو أشد ساعات جده وتأهبه للدفاع".^(٥)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (أَوْ أَمِنَ) بسكون الواو جعل (أَوْ) عاطفة ومعناها التنوع لا أنّ معناها الإباحة، أو التخيير خلافاً لمن ذهب إلى ذلك، وحذف ورش همزة أمن ونقل حركتها إلى الواو الساكنة.

(١) الخليل هو: بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، اليماني أبو عبد الرحمن، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، من مؤلفاته العين في اللغة، ومعاني الحروف، والفراهيدي نسبة إلى بطن من بطون الأزد، وهو نحوي، لغوي، عروضي، لم يسبقه إلى هذا العلم أحد. انظر إنباه الرواة (٣٧٦/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١٣٣/١).

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢١.

(٤) المقتطف (٢٥٠/٢).

(٥) تفسير الظلال (١٣٤٠/٣).

وأفادت قراءة الباقيين بهمزة الاستفهام بعدها واو العطف وتكرر لفظ (أَهْلُ الْقُرَى) لما في ذلك من التسميع والبلاغ والتهديد والوعيد بالسامع ما لا يكون في الضمير لو جاء (أو أمنوا) فإنه متى قصد التفضيم والتعظيم والتهويل جاء بالاسم الظاهر. (١)

* قال الطاهر بن عاشور: "(أَوْأَمِنَ) قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر بسكون الواو على أنه عطف بحرف أوالذي هو لأحد الشئيين عطفاً على التعجب، أي هو تعجب من أحد الحالين؛ وقرأ الباقيون بـ (فتح) الواو على أنه عطف بالواو مقدمة عليه همزة الاستفهام، فهو عطف استئناف ثان بالواو المفيدة للجمع؛ فيكون كلا الاستفهامين مدخولاً لفاء التعقيب، على قول جمهور النحاة، وأما على رأي الزمخشري: فيتعين أن تكون الواو للتقسيم، أي تقسيم الاستفهام إلى استفهامين". (٢)

* قال الكرمانى: "(أَوْأَمِنَ) هذه واو العطف دخلت عليه همزة الاستفهام ، وقرأ (أَوْ)

بسكون الواو ويكون المعنى: (أفأمنوا) يعني استفهام استنكاري. (٣)
ومن قرأ بفتح الواو جعلها واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام ، ويقوى ذلك أن الحرف الذي قبله والذي بعده، وهو الفاء، دخلت عليه همزة الإستفهام، وكذلك: (أَوْكَمْ يَهْدِ) [الأعراف ١٠٠] فحمل وسط الكلام على ما قبله وما بعده، للمشاكلة والمطابقة في إتفاق اللفظ، في دخول الهمزة عليه كله والملاحظ أن الكلام من أوله إلى آخره رسالة لكل صاحب نهار منهم أن لا يأمن بأس الله ليلاً أونهاراً، وكذا صاحب الليل منهم أن لا يأمن بأس الله نهاراً أو ليلاً.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما علاقة تفسيرية تتضمن إنكاراً بعد إنكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ، ولذلك لم يقل فأمّن أهل القرى ؛ وحجة من أسكن الواو أنه جعلها (أَوْ) للعطف، على معنى الإباحة مثل: (وَلَا تَطْعُ مِنْهُمْ أَيْمًا أَوْ كُفُورًا) [الإنسان ٢٤] أي لا تطع هذا الجنس، فالمعنى: أفأمنوا هذه الضروب من العقوبات؛ أي: إن أنتم ضرباً منها فلا تأمنوا الآخر، أو جعل (أَوْ) للعطف على معنى أحد الشئيين، والتقدير: أفأمنوا إحدى هذه العقوبات؛ فهو توبيخ وتقريع لأولئك الذين أمنوا مكر الله. وعلى ذلك تضمن الآية الكريمة الخبر والاستفهام الإنكاري، وفي كليهما إعجاز قرآني تنوعت الأساليب واتفقت المعاني. (٤)

(١) تفسير البحر المحيط (١٢٠/٥). الكشف (١/ ٤٦٩).

(٢) التحرير والتوير (مج ٢٣/٥).

(٣) مفاتيح الأغاني ص ١٨٠.

(٤) الحجة ص ٨٦. انظر القراءات وأثرها في التفسير (٢/ ٩١٦).

١٦ - ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

فَارْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف ١٠٥].

أولاً: القراءات :

١. قرأ نافع (حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ) بتشديد الياء وفتحها على أنها ياء إضافة.

٢. قرأ الباقون (حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ) على أنها حرف جر (١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{حق} أصل الحق المطابقة والموافقه كمطابقة رجل الباب في حقه لدورانته على استقامة، والحق يقال على أوجه: الأول: يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا يقال في حق الله تعالى هو الحق.

والثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة ولهذا يقال فعل الله تعالى كله حق، والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق، والرابع: للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب ويقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب، كقولنا: فعلك حق وقولك حق، وإحقاق الحق على ضربين: أحدهما بإظهار الأدلة والآيات والثاني: بإكمال الشريعة وبثها في الكافة؛ وحقيق: معناها جدير، وقرئ حقيق على يعني واجب (٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة اشتملت على عقيدة التوحيد، وهي أن للعالمين رباً واحداً لا شريك له، وأن مهمة الرسل تبليغ الرسالة كاملة، وأن من خصائص المرسلين العصمة في التبليغ والهداية.

*قال الصابوني: " (حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) أي جدير بي، وحقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا مَا هُوَ حَقٌّ وَصَدَقَ!! يعني إني رسولٌ، والرسول لا يقول على الله إلا الحق (قَدْ جِئْتُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) لم يكن هذا القول منه عليه السلام، إثر ما ذكر ههنا، بل بعدما جرى

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٣).

بينهما من المحاوره، المحكية بقوله تعالى: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ؟) [طه٤٩٥]. وقوله تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟) [الشعراء٢٣]. وطوي ههنا ذكره للإيجاز (فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أي خلّ بيني وبينهم ليذهبوا معي إلى بيت المقدس.(١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت كل من القراءتين ضرورة الحرص على الحق ؛ بل وعلى ضرورة قول الحق، فقراءة التشديد (حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ) التأكيد والتكرار والحرص في التبليغ، والحجة لمن شدد: أنه أضاف الحرف إلى نفسه، فاجتمع فيه ياءان: الأولى من أصل الكلمة، والثانية ياء الإضافة، فأدغمت الأولى في الثانية لالتقاء الساكنين (لديّ) أو (إليّ) وفي المعنى زيادة توكيد. (١)

أفادت قراءة (حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ) جواب لتكذيبه ﷺ المدلول عليه بقوله سبحانه: (فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [الأعراف ١٠٣] وحقيق صفة رسول أو خبر بعد خبر وقيل: خبر مبتدأ محذوف أي أنا حقيق وهو بمعنى جدير، و (على) بمعنى الباء كما قال الفراء أو بمعنى حريص وعلى ظاهرها قال أبو عبيدة: أو بمعنى واجب واستشكل بأن قول الحق هو الواجب على موسى ﷺ لا العكس والكلام ظاهر فيه، وأجيب بأن أصله (حقيق على) بتشديد الياء كما في قراءة نافع أن لا أقول... الخ، فقلب لا من الالتباس. (٣)

أفادت قراءة (حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ) بدون ضمير في على قيل في توجيهه أنه على معنى الباء، أي (حقيق بأن لا أقول) ويؤيده قراءة أبي والأعشى فإنهما قرءا حقيق بأن لا أقول، وقيل إن حقيق مضمن معنى حريص، وقيل إنه لما كان لازماً للحق كان الحق لازماً له، فقول الحق حقيق عليه وهو حقيق على قول الحق. (٢)

خامساً: بالجمع بين القراءتين يتوجب على القارئ أن يعلم بأنهما تؤكدان صدق موسى ﷺ حين كذبت دعوة توحيد الحق ﷻ وتنزيهه عن الولد والشريك؛ فأجاب (حَقِيقٌ عَلَيَّ) أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) وهنا بمعنى حق عَلَىّ بل يتوجب عَلَىّ ألا أتكلم إلا بالحق (فَعَلَىّ) هنا بمعنى

(١) انظر: المقتطف من عيون التفسير (٢٥٤/١).

(٢) روح المعاني (٩ - ١٠ / ١٨١). تفسير البغوي (٢٦٢/٣).

(٣) فتح القدير (٢٣١/٢).

الباء قال الفراء: العرب تجعل (علِيّ) بمعنى الباء تقول: رميت على القوس، وبالقوس، وجئت على حال حسنة، وبحال حسنة، وفي حرف عبد الله (حَقِيقٌ بَأَنَّ لَا أَقُولَ) والمعنى حقيق بأن لا أقول، وقرأ نافع (علِيّ) مشددة الباء قال الزجاج: المعنى أوجب عليّ ترك القول على الله إلا بالحق وهو أنه لا إله غيره، ومعناه موسى، قال: واجب عليّ أن لا أقول في وصف الله إلا ما هو حق، وهو توحيده وتنزيهه عن الشرك وكل نقص، وجدير بتبليغ الرسالة مهما جابهتني في سبيلها من صعاب. (١)

[الأعراف ١١٢].

١٧ - ﴿يَا تَوَكُّبِكُ سَاحِرِ عَلِيمٍ﴾

أولاً: القراءات :

١. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (بِكُلِّ سَحَّارٍ) على وزن فَعَّالٍ بتشديد الحاء وألف بعدها.
٢. وقرأ الباقون (بِكُلِّ سَاحِرٍ) على وزن فاعل والألف قبل الحاء. (٢)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{سحر}: السين، والحاء، والراء، أصول ثلاثة متباينة: أحدها عضو من الأعضاء والآخر: خَدْعٌ وشبهة، والثالث: وقت من الأوقات؛ فالعضو السَّحَرُ، وهو ما لصق بالحقوم والمريء من أعلى البطن، ويقال بل هي الرئة؛ ويقال له السَّحَرُ، السَّحَرُ، السَّحَرُ، وأما الثاني: والذي نحن بصدده فالسَّحَرُ، ويقال هو إخراج الباطل في صورة الحق ويقال هو الخديعة، وأما الوقت فالسَّحَرُ. (٣)

ساحر: يعني أن يباليغ في إتقان السحر. (٤)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

- (١) مفاتيح الأغاني ص ١٨١. الحجة ص ٨٦.
- (٢) النشر في القراءات العشر (٢٠٣/٢).
- (٣) معجم مقاييس اللغة (١٣٨/٣).
- (٤) انظر: زبدة التفاسير. محمد متولي الشعراوي. ص ١٩٠. أعده وعلق عليه وقدم له. عبد الرحيم متولي الشعراوي المكتبة التوفيقية القاهرة - مصر . وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: زبدة التفاسير.

الآية الكريمة توجه الخطاب إلى فرعون على لسان موسى عليه السلام طلب القوم من فرعون أن يؤخر الفصل في أمره، وأمر أخيه، وأن أرسل في المدائن جنودك، وعيونك جامعين لك السحرة

وسانقهم إليك حتى يأتوك بكل ساحر عليم .

*يقول القاسمي: "تدل الآية على عظيم معجزة موسى عليه السلام كما تدل على جهل فرعون وقومه، حيث لم يعلموا أن قلب العصا حية لا يقدر عليه إلا الله تعالى حتى نسبوه إلى السحر والآية تدل على أن عادة البشر، أن أحدهم رأى أمراً عظيماً، أن يعارضه، لذلك دعا فرعون بالسحرة، بل وطلب أمهر السحرة". (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءتان المبالغة والشمول والتفاني من قبل فرعون ؛ في مواجهة إبطال الحق وإحقاق الباطل ، شأنه شأن كل فرعون في كل زمان ومكان.

*قال صاحب الكشف: "قرأ حمزة، والكسائي (بِكُلِّ سَاحِرٍ) على وزن فعّال، لأن فيه معنى المبالغة ولأنهم قد أجمعوا على ذلك، ويقوي ذلك أنه قد جاء وصف (عَلِيمٍ)، يدل على التناهي في علم السحر ؛ وقرأ الباقر (بِكُلِّ سَاحِرٍ) على وزن فاعل و جمعها سحرة مثل كاذب كذبة ، فاجر فجرة (لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) [الشعراء ٤٠] لأن الفاعل من سَحَرَ ساحر". (٢)

*قال الطاهر بن عاشور: "قرأ الجمهور (بِكُلِّ سَاحِرٍ) وقرأ حمزة ، والكسائي، وخلف (بِكُلِّ سَاحِرٍ) على المبالغة في معرفة السحر فيكون وصف (عَلِيمٍ) تأكيداً لمعنى البلاغة لأن وصف (عَلِيمٍ) الذي هو في الأمثلة البلاغة لدلالة على قوة المعرفة بالسحر، وحذف متعلق (عَلِيمٍ) لأنه صار بمنزلة أفعال السجايا والمقام يدل على أن المراد قوة علم السحر له". (٣)

*قال ابن خالويه: "(بِكُلِّ سَاحِرٍ) يقرأ بإثبات الألف والتخفيف، وبطرحها والتشديد في كل القرآن إلا في [الشعراء ٣٧] فإنه بالتشديد إجماع، فالحجة لمن شدد: أنه أراد تكرير الفعل والإبلاغ في العمل، والدلالة على أن ذلك ثابت لهم فيما مضى من الزمان، كقولهم: هو دخّال خرّاج إذا كثر ذلك منه وعرف به، والحجة لمن أثبت الألف وخفف أنه جملة اسم للفاعل مأخوذ من الفعل". (٤)

(١) تفسير القاسمي: المسمى محاسن التأويل. (٢٨٣٣/٧). تأليف. محمد جمال الدين القاسمي. دار احياء الكتب العربية - مكتبة فيصل عيسى البابي الحلبي. صححه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه. محمد فؤاد عبد الباقي. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير القاسمي.

(٢) الكشف (٤٧١/١ - ٤٧٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (مج ٥/٤٥).

(٤) الحجة ص ٨٧. وتفسير البغوي (٤/ ٢٦٤). وفتح القدير (٢/ ٢٣٢).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بلاغية غرضها الإعجاز والتحدي، فقد طلب فرعون الإتيان بكل ساحر بلغ المنتهى في عمل السحر، وهي جواب الأمر لكل طاغية شأنه شأن فرعون، حيث إن الساحر هو الذي يَعْلَمُ السحرَ ولا يُعْلَمُ غيره يعني أنه يعمل بالسحر والساحر من يكون سحره في وقت دون وقت؛ أما السَّحَّارُ ليس هو الذي يَعْلَمُ وَيُعْلَمُ غيره، بل ويعمل ويمارس السَّحْرَ في كل وقت بل في كل حالة يعني أنه يباليغ في إتقان السحر والمبالغت تأتي دائماً لضخامة الحدث، أو تأتي لتكرار الحدث، فسَّحَّار تعني أن سحره قوي جداً، والسحار من يديم السحر.

١٨ - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلِقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾

[الأعراف ١١٧].

أولاً: القراءات :

١. قرأ حفص (تَلَقَّفُ مَا) بتخفيف القاف.

٢. وقرأ الباقون (تَلَقَّفُ مَا) بتشديد ها. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{لقف}: لَقَفَ، وَلَقَّفَانَا، وَالتَّقَفَ الشيء: تناوله بسرعة أي بحذق ومهارة ؛ لَقَفَ الحوض: تهور من أسفله واتسع فهو (لَقَفَ). لَقَّفَهُ الشيء: رماه إليه ليلتقفه والمعنى تبتلعه بسرعة. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تصور الآية الكريمة موقف موسى ﷺ حينما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم، وقد جاءوا بسحر بارع استولى على خيال الناس فأربكهم وأرهبهم، وفي صعوبة هذا الموقف وخطورته

،وقد أخذت دقات قلب موسى ﷺ تتسارع خوفاً ورهبةً، أمر الله ﷻ بأن يبقى موسى
ﷺ يلقي عصاه

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٣).

(٢) انظر: منجد الطلاب ص ٦٩٠.

ليفصل بين الحق والباطل، والأمر كان عن طريق الوحي لتثبيت قلبه، وتقوية عزيمته،
وتسكين روحه، فأمره أن يُلقي عصاه فألقاها، فإذا هي حية عظيمة تسعى وتلتقم كل ما يأفكون
من حبال السحرة وعصيمهم الباطلة فتبتلعهم .

*قال ابن كثير: "يخبر ﷺ أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى ﷺ في ذلك الموقف
العظيم، الذي فرق الله تعالى به بين الحق والباطل، يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه
(فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا) أي تَأْكُل (مَا يَأْفُكُونَ) أي ما يلقونه ويوهمون أنه حق وهو باطل قال ابن
عباس: فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا خشبهم إلا التقمته فعرفت السحرة أن هذا شيء من
السماء ليس هذا بسحر فخرؤا سجداً (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) [الشعراء ٤٧-
٤٨].(١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَلْقَفُ مَا) بقاف مشددة وأصله تتلقف، أي تبالغ وتتكلف اللقف ما استطاعت ،
وقرأ حفص عن عاصم (تَلْقَفُ مَا) بسكون اللام وتخفيف القاف على صيغة المجرى (تَلْقَفُ)
والتعبير بصيغة المضارع أي بمعنى تأخذ وتبتلع في قوله: (تلقف) و(يأفكون) للدلالة على
التجديد والتكرير، مع استحضار الصور العجيبة، أي: فإذا هو يتجدد تلقفها لما يتجدد وينكرر
من إفكهم وتسمية سحرهم إفكاً دليل على أن السحر لا معمول له بل هو كذب وزور وشعوذة،
وهو مجرد تخييلات وتمويهات" والباحثة توافق الطاهر في رأيه فيما يمارسه أولئك المزورون
للحقائق.(٢)

*قال ابن زنجلة: "قرأ حفص عن عاصم (تَلْقَفُ مَا يَأْفُكُونَ) ساكنة اللام من (لقفت الشيء
ألقفته) وقرأ الباقر (تَلْقَفُ مَا) بتشديدها على وزن (تَعَلَّمَ يتعلم) والأصل تَتَلَقَّفُ فحذفوا إحدى
التاءين مثل (تَذَكَّرُونَ) (يوم يأتي لاتكلم) أي: لاتتكلم".(٣)
والمراد (أَنْ أَلْقَى) يجوز أن تكون أن المصدرية، وأن تكون بمعنى: أي (فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ) يقرأ
بفتح اللام وتشديد مع تخفيف التاء مثل تكلم والأصل تتلقف فأدغمت الأولى في الثانية

ووصلت بما قبلها فأغنى عن همزة الوصل، ويقرأ بسكون اللام وفتح القاف، وماضيه لقف
مثل علم.(٤)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما بلاغية تبين أن زيادة المبنى تدل على

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٠٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٥/٤٩).

(٣) انظر: حجة القراءات ص ٢٩٢.

(٤) انظر: إملاء ما من به الرحمن (١-٢٢٨٩).

زيادة المعنى وتأكيده في السرعة والخفة في ابتلاع ما يؤفك؛ فقراءة التشديد دلالة على تكثير المعنى والمبالغة فيه، وقراءة التخفيف تدل على السرعة والخفة في ابتلاع ما يؤفك، فحجة من قرأ بإسكان اللام وتخفيف القاف: أخذ من لقف، يلقف، تلقف، ومعناها تلتقم وتلتهم؛ قال أبو منصور: لقت الشيء ألقفه لققاً، وهو أخذ الشيء بحذق في الهواء ورجل تقف لقف إذا كان حاذقاً فهي دليل السرعة والخفة.(١)

وهذه الخفة في عصى موسى التي التقت كل شيء حيث وقع من العصي والحبال للدلالة على التجديد والاستمرار والسرعة؛ أما حجة من شدد: فمعنى أن تلتهم العصي والحبال التي تخيلت بسحر السحرة أنها حيات، ولم تكن بحيات، وتلقت الشيء تلقفاً، إذا أخذته من الهواء فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا خشبهم إلا النقمته حتى أن الحاضرين هربوا فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء ليس هذا بسحر فخرؤا سجداً ووقع الحق.

١٩ - ﴿ وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

وَيَذُرْكَ وَاللَّهْكَ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ

قَاهِرُونَ ﴿ [الأعراف ١٢٧].

أولاً: القراءات :

١. قرأ المدنيان، وابن كثير، (سَنَقْتُلُ) بفتح النون وإسكان القاف وضم التاء من غير تشديد.

٢. وقرأ الباقون (سُنُقْتُلُ) بضم النون وفتح القاف وكسر التاء وتشديدها. (٢)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{سُنُقْتُلُ} من الفعل الثلاثي قتل: وأصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت، ولكن إذا اعتبر بفعل المُتَوَلَّى لذلك يقال قَتَلَ وإذا اعتبر بفوت الحياة يُقَالُ مَوْتُ. (٣)

(١) الحجة ٨٨. انظر: كتاب معاني القراءات ص ١٨٦.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢٠٣/٢).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٠٧.

هو أصل يدل على إذلال وإماتة يقال: قَتَلَهُ قَتْلًا، والقَتْلَةُ: الحال يقتل عليها؛ يقال قتله قَتْلَةً سوء والقَتْلَةُ: المرة الواحدة، ومَقَاتِلُ الإنسان: المواضع التي إذا أصيبت قتله ذلك. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

يخبر الله ﷻ عما تمالأ عليه فرعون وملأه وما أضمره لموسى ﷺ وقومه من الأذى والبغضة ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ أي لفرعون ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ﴾ أي لتدعهم ليفسدوا في الأرض، أي: يفسدوا أهل رعيته ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك يا الله العجب، صار هؤلاء يشفقون على إفساد موسى وقومه! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون ولكن لا يشعرون ولهذا قالوا ﴿وَيَذَرِكْ وَالْهَتَاك﴾ قال بعضهم: الواو ها هنا حالية أي أُنذره وقومه يفسدون في الأرض وقد ترك عبادتك؟ وكان فرعون قد صنع لهم أصناماً يعبدونها وقال أنا ربكم وربها ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات ٢٤]. (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (سُنُقْتُلُ) بفتح النون، وسكون القاف، وضم التاء، وكذا قراءة الباقيين (سُنُقْتُلُ) بضم النون، وفتح القاف، وتشديد التاء في القتل مبالغة كثرة واستيعاب". (٣)
*قال صاحب الكشف: "(سُنُقْتُلُ) بفتح النون، وسكون القاف، وضم التاء بالتخفيف، جعله من (قَتَلَ) الذي يدل على القلة والكثرة، وقرأ الباقون بالتشديد، وجعلوه من (قَتَلَ) الذي يدل على معنى التكاثر مرة بعد مرة، فهو يدل على القلة والكثرة". (٤)
كما أفادت قراءة التشديد تكرر القتل مرة بعد مرة، بينما أفادت قراءة التخفيف القتل مرة

واحدة

*قال ابن خالويه: الحجة لمن شدد أنه أراد تكرير القتل بأبناء بعد أبناء، ودليله قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا تَقَاتِلًا﴾ [الأحزاب ٦١] وحجة من خفف أنه أراد القتل مرة واحدة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة ١٩١]. (٥)

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/٥٦، مادة قتل.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢١٠). وتفسير الجلالين ص ٢١٠. وتفسير البغوي (٣/٢٦٧).

(٣) التحرير والتنوير (مج/٥-٥٩).

(٤) الكشف (١/٤٧٤).

(٥) الحجة ص ٨٨.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن فرعون أراد أن ينتصر لنفسه بكل الطرق والوسائل

ليجدد عادة قتل الأبناء ليعلم القوم أنه مازال على الغلبة والقهر، وأنهم مقهورون تحت يديه كما قال تعالى: ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ فَاهَرُونَ﴾ لذلك كان يقتل الأبناء بعد الأبناء، وكرر ذلك وبالغ فيه.

٢٠ - ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف ١٣٧].

أولاً: القراءات :

١. قرأ ابن عامر (يَعْرِشُونَ) بضم الراء.

٢. وقرأ الباقر (يَعْرِشُونَ) بكسرها (١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{يَعْرُشُونَ} من الفعل عرش: العرش في الأصل شيء مسقف، وجمعه عروش ومنه قيل عرّشتُ الكرم وعرشته إذا جعلته كهيئة سقف، وقد يقال لذلك المعرش، وسمي مجلس السلطان عرشاً اعتباراً بعلوه. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن سنة من سنن الله في الكون، وهي أن الأرض لا يرثها إلا عباد الله المخلصون وفيها بشارة لأمة محمد ﷺ لما تكابده من القهر والاضطهاد بأن الغلبة ستكون لهم وعاقبة السلطان كما كانت لبني إسرائيل، جزاء صبرهم على الأذى في الله، ومن أجل الله.

(١) النشر في القراءات العشر (٢٠٢/٢).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٤١.

* قال الطبري في تفسيره: "وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" يقول - تعالى ذكره - وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم، فيذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويستخدمونهم، تسخييراً واستعباداً من بني إسرائيل، مشارق الأرض (الشام) وذلك ما يلي الشرق منها ومغاربها التي باركنا فيها، يقول التي جعلنا فيها الخير ثابتاً دائماً لأهلها؛ وإنما قال جل ثناؤه وأورثنا لأنه أورث ذلك بني إسرائيل بمهلك من كان فيها من العمالة والجبابرة". (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يعرشون) بكسر الراء مخففة أي ما كانوا يعرشونه من الجنات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام ٤١].

وأفادت قراءة (يعرشون) بضم الراء قال الكسائي هي لغة تميم؛ أي يبنون ويقال عرش يعرش أي بني يبنى. أي أهلكنا بالخراب ما كانوا يصنعونه من العمارات. (٢)

* قال أبو منصور: قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم (يعرشون) بضم الراء، وكسر

الباقون وهما لغتان معروفتان. (٣)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين يظهر أن العلاقة لغوية الغرض منها بلاغي، تبين عظمة الله وقدرته في بيان عاقبة الكفر ونهاية الظلم. أي معنى القراءتين واحد على اعتبار أنهما لغتان من لغات العرب، فالهلاك يلحق كل ما يعرش ويعمل منه سقف، سواءً كان بفعل الأشجار أو بفعل الإنسان من القصور وغيرها؛ حيث إنه ﷺ أهلك الجنات بالإهمال والزلال وعلى أيدي الجند وأهلك المباني والأهرام والهيكل والقصور الفارسة، كما أن العرش هو قوة الملك، فكلها إلى زوال ودمار وسنة الله باقية إلى أن يرث الأرض ومن عليها. (٤)

(١) تفسير الطبري (مج/٣١/٥).

(٢) انظر: تفسير فتح القدير (١٤٠/٢). ومجمع البيان (٣١٧/٤). والكشاف (١٩٤/٢). وحاشية الشهاب (٣٥٨/٤).

(٣) انظر: روح المعاني (٩-٣٩/١٠). والتحرير والتنوير (٧٩/٥).

(٤) انظر: كتاب معاني القراءات ص ١٨٨. والكشف ٤٧٥/١. والمغني ١٥٢/٢.

٢١- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف ١٣٨].

أولاً: لقراءات:

١. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (يَعْكُفُونَ) بكسر الكاف.

٢. قرأ الباقون (يَعْكُفُونَ) بضمها. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{عكف}: عكف عكفاً عن الأمر منعه وحبسه عليه وألزمه به، يقال عكف، يعكف، عكفاً، وذلك

حبسك. (٢)

يَعْكُفُونَ: يواظبون عليها ويلازمونها تعظيماً وتقديساً لها، يقال لكل من لازم شيئاً وواظب

عليه، عكف، ويعكف، ويعكف. (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة يخبرنا المولى ﷺ من خلالها عن جهل بني إسرائيل حينما جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات الله العظيمة ما رأوا، ومن عنايته ﷺ لهم ؛ فلما مروا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ يقيمون على عبادته، طلبوا أن يكون لهم مثله، فكشفت سواتهم أنهم قوم لا يفقهون التوحيد الذي جاء به موسى ﷺ . وهذا قمة الغباء فما زالوا ينعمون بنعم الله الكثيرة، لكن عقولهم لم تترك ولم تستوعب هذه النعم، وقلوبهم مغلقة لم يعمرها الإيمان بعد، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد وباعتبار معنى يعكفون بالكسر والضم لزوم الشيء والمداومة والإقامة عليه. (٤)

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ شروع في قصة بني إسرائيل، وشرح ما أحدثوه من الأمور

(١) النشر في القراءات العشر (٢٠٤/٢).

(٢) انظر: منجد الطلاب ص ٤٩٣.

(٣) انظر: زاد المسير (٢٥٤/٣).

(٤) انظر: الطبري (٣٢/٥). والمقتطف من عيون التفاسير (٢٦٦/٢-١٦٧). والكشف (٤٧٥/١). وكتاب معاني القراءات ص ١٨٨.

الشيعة، بعد أن أنقذهم الله ﷻ من استعباد فرعون، ومنَّ عليهم من النعم العظام، الموجبة للشكر وتسليية لرسول الله ﷺ عما رآه من اليهود بالمدينة، فإنهم جروا معه على دأب أسلافهم، روى أن موسى ﷺ جَاوَزَ بمعنى: جاز، أي بمعنى قطعنا البحر بهم، ورُوي أن موسى ﷺ عَبَرَ بهم يوم عاشوراء، فصاموا شكراً لله تعالى ﴿فَأَتَوْا﴾ أي مَرُّوا بعد المجاوزة ﴿عَلَى قَوْمٍ﴾ من العمالقة ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ أي يواظبون على عبادتهم ويسجدون لها، ويعبدونها من دون الله ﴿قَالُوا﴾ أي الصالحون من بني إسرائيل عندما شاهدوا ذلك ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ أصنام يعبدونها ، وهذا يدل على غاية جهل بني إسرائيل، فلذلك ردَّ موسى عليهم بقوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تعجب من قولهم هذا إثر ما شاهدوا من الآيات الكبرى، فوصفهم بالجهل المطلق، وأكدّه (بأنّ) لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع!!.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يَعْكُفُونَ) عَكَفَ، وَيَعْكُفُ بمعنى أقام على الشيء ولزمه ، والمصدر منها على فُعول . وقيل (يَعْكُفُونَ) بكسر الكاف لغة (أسد) وبضمها لغة بقية العرب وهما لغتان. (١) وأفادت قراءة (يَعْكُفُونَ) بضم الكاف وكسرها حبسته، ومنه (الاعتكاف) وهو (الافتعال) لأنه حبس النفس عن التصرفات العادية. (٢)

{قتل}: من قتل يقتل قتلًا أصل، القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت، وإذا اعتبر بفعل المتوَلَّى لذلك يقال قتلٌ، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال موتٌ.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تحدثنا عن أنواع النعم على بني إسرائيل، بأن أهلك عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم، وأتبع هذه النعمة الكبرى عليهم وهي أنه تجاوز بهم البحر آمنين، ثم ارتدوا وطلبوا من موسى ﷺ أن يعمل لهم أصناماً، كما إن الآية هي بمثابة تسليية لرسول الله ﷺ .
* قال الطبري: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ يقول - تعالى ذكره- لليهود من بني إسرائيل الذين

(١) النشر في القراءات العشر (٢٠٤/٢) .

(٢) انظر: القاموس المحيط ص ١٧٢٣. مادة نجا. انظر: المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن د. محمد التوبجي. دار الكتب العلمية ص ٤٦٦.

(٣) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٠٤-٤٠٦.

كانوا بين ظهري مهاجر رسول الله ﷺ واذكروا، مع قبلكم هذا، الذي قتلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر بعد النعم التي سلفت مني إليكم والأيادي التي تقدمت فعلكم ما فعلتم (وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ) من آل فرعون أي اذكروا وقت خلصكم الله ﷻ من الذين كانوا على منهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه، الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب يقول إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه وقد بينا - فيما مضى من كتابنا هذا - ما كان العذاب، الذي كان يسومهم سيئه يقتلون أبناءكم الذكور من أولادهم ويستحيون نساءكم أي يستبقون إناثهم أحياء، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم، يقول وفي سومهم إياكم سوء العذاب اختبار من الله لكم وتعمد عظيم. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ابن عامر (وَإِذْ أَنْجَاكُمْ) والمعنى: أأبتغي لكم إلهاً غير الله في حال أنه فضلكم على العالمين، وفي زمان أنجاكم الله من آل فرعون، فابتغاء إله غيره كفران لنعمته، وضمير المتكلم المشارك في أنجاكم يعود إلى الله، وموسى ﷺ ومعاذه يدل عليه قوله تعالى: (أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا) [الأعراف، ١٤٠] ويجوز أن يكون هذا امتثاناً من الله اعترضه بين القصة وعدة موسى ﷺ إنتقالاً من الخبر والعبرة إلى النعمة والمنة، فيكون الضمير ضمير تعظيم. وحجة: من قرأ (وَإِذْ أَنْجَاكُمْ) بلفظ الواحد رده على قوله تعالى: (أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا) [الأعراف، ١٤٠]

أفادت قراءة (دكاً) مدكوكاً مفتتاً، والدكُّ والدقُّ أخوان كالشكِّ والشقُّ والإنسحاق، والتفتت حيث أصبح الجبل متفتتاً تذرره الرياح، وقرئ (جَعَلَهُ دَكًّا) أي أرضاً مستوية؛ ومنه ناقة دكاء للتي لاسنام لها ودكاً جمع دكاء أي قِطْعاً وهي لغة أهل المدينة وأهل البصرة^(٢)، والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة، والغرض من الجميع تعظيم شأن رؤية الله ﷻ وأنَّ أحداً لا يقوى على ذلك إلا بتقوية الله وتأيده. (٣)

أفادت قراءة (دكاء) بالمد والهمزة مفتوحاً من غير تنوين فهي لغة أهل الكوفة^(٤)، ومن قرأ (دكاً)

فالمعنى جعلها أرضاً دكاء، على فعلاء وهي المستوية وجمعها دكاوات. (٥)

(١) تفسير القرطبي (٢٤١/٤-٢٤٢). وانظر الكشاف (١٩٨/٢). تفسير ابن كثير (٢١٥/٢). التحرير والتنوير (مج/٥/٨٩).
(٢) البصرة: هي بصرتان: العظمى في العراق، والأخرى بالمغرب. وأما البصرتان فالكوفة والبصرة، والبصرة في كلام العرب هي الأرض الغليظة، وقيل هي الأرض التي بها حجارة تعلق حوافر الدواب. انظر معجم البلدان (٥١٠/٤). ترجمة رقم ١٩٤٨. لأبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي المتوفى ست وعشرون وستمئة هـ. تحقيق عبد العزيز الجندي. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: معجم البلدان .

(٣) انظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري . ص ١٤٥٨. الطبعة الأولى. دار الصفوة ١٤١٦هـ- ١٩٩٠م.
(٤) الكوفة : كُوفَان بالضم ثمَّ السكون . وفاء وآخره نون، موضعان، يقال الناس في كوفان من أمرهم أي في اختلاط ، والكوفان الاستدارة ، وكوفان أرض بها سميت الكوفة . والكوفان والكوفة واحد.

(٥) انظر كتاب معاني القراءات ص ١٨٩. الكشف (٤٧٥/١-٤٧٦). انظر معجم البلدان. (٥٥٦/٤). ترجمة رقم ١٠٤٧٠.
*قال صاحب الكشف: قرأ حمزة والكسائي بالمد، وفتح الهمزة، غير منون، وقرأ الباقر، بالتثوين من غير مدٍّ ولا همز؛ وحجة من مدّه أنه أخذ من لغة العرب ناقة دكاء للتي لاسنام لها فهي مستوية الظهر فكأنه في التقدير: جعل الجبل مثل ناقة دكاء، أي جعله إذ تجلى بعظمته إليه فلما حدث في الجبل-على عظمته وصلابته وقوته- هذا الحادث فكيف لابن آدم الضعيف طاقة على رؤية الباري في الدنيا! وهذا دليل على عدم الرؤية في الدنيا وأنها أمر مستحيل في حق الله ﷻ. وحجة من لم يمدّه أنه جعله مصدر دككت الأرض دكاً: أي جعلتها مستوية لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، قال الأخفش كأنه لما قال :جعله دكاً ، قال:دكَّهُ دكًّا ، فجعله في موضع دكه، يقوي هذه القراءة ويؤكدها قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر ٢١] وقوله: ﴿ فَذُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الحاقة ١٤] قال أبو عبيدة: جعله دكاً أي مندكاً، والاختيار ترك المدِّ لما عليه أكثر القراء.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنه يصبح معنى الآية دليلاً وشاهداً على عظمة الله

وقدرته بأن جعل الجبل العظيم قد دكَّ دكاً من تجليه سبحانه للجبل، ولنخلص أن الرؤية

الحقيقية لانتم في الدنيا لله ﷻ وإنما هي كائنة يوم القيامة؛ حيث قال جل شأنه في حق المؤمنين ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٢] والذي دليله أن الله لما تجلى للجبل ذلك فتفتت فأصبح كأنه أرض مستوية لا ارتفاع لها، ولا علواً فيها. فالقراءتان بينهما ترتيب بأن الجبل تفتت ثم استوى فكان أرضاً مستوية. (١)

٢٤ - ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف ١٤٦].

أولاً: القراءات :

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (سَبِيلَ الرُّشْدِ) بفتح الراء والشين.

(١) انظر: تنوير المقياس من تفسير ابن عباس. لأبي طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي. دار الفكر ص ١٣٧

٢. وقرأ الباقون (سَبِيلَ الرُّشْدِ) بضم الراء وإسكان الشين. (١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{رشد}: يَرشُد، ورشداً، والرشد والرشد خلاف الغي، يستعمل استعمال الهداية ويقال رشداً يَرشُد، وقال بعضهم الرشد أخص من الرشد؛ حيث الرشد بضم الراء وسكون الشين يقال في الأمور الدنيوية والأخروية لاغير، والرشد بفتح الراء والشين يقال في الأمور الأخروية لا غير. (٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تحمل في طياتها تهديداً ووعيداً لأولئك الذين يعدون أنفسهم كبراء، ويرون لأنفسهم ميزة ومزية على البشر فلا ينتفعون بهدي، بأن الله ﷻ سيعصرهم ويمنعهم ويصددهم عن هذا الفهم والانتفاع .

* قال البغوي: "﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ قال ابن عباس: يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي حتى لا يؤمنوا بي يعني سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم للحق كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصفه] قال سفيان بن عيينة^(٣): سأمنعهم فهم القرآن، وقيل: يعني عن خلق السموات والأرض وما فيها أي سأصرفهم أن يتفكروا فيها ويفكروا فيها ويعتبروا بها، وقيل: حكم الآية لأهل مصر خاصة وأراد بالآيات الآيات التسع التي أعطاه الله تعالى موسى ﷺ والأكثر على أن الآية عامة ﴿وَإِنْ يَرَوْا﴾ كل آية لا يؤمنوا بها، وإن يروا يعني هؤلاء المتكبرين ﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ فيقول الرشد بالضم الصلاح في الأمر وبالفتح الاستقامة في الدين، ومعنى الآية وإن يروا طريق الهدى والسداد لا يتخذوه لأنفسهم سبيلاً ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ أي طريق الضلال يتخذوه سبيلاً ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ عن التفكير فيها والاتعاظ بها غافلين ساهين". (٤)

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٠١.

(٣) سفيان بن عيينة هو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، كنيته أبو محمد؛ محدث الحرم المكي، من الموالى ولد بالكوفة ١٩٨هـ - ٨١٤م. سكن مكة وتوفي بها، كان حافظاً ثقة، واسع العلم، كبير القدر، قال فيه الشافعي، لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، كان عور، حج سبعين سنة. انظر الأعلام للزركلي (٣/١٠٥).

(٤) تفسير البغوي ٢٨٢/٣. فتح القدير ٢٤٥/٢. تفسير ابن كثير ٢١٧/٢. تفسير الشعراوي ٤٣٥٦/٧. والمغني ١٦١/٢.

ولقد اختلف العلماء في معنى الرشد، بالضم الصلاح في الأمر، والفتح: الاستقامة في الدين وقيل هما لغتان كالسقم والسقم والبخل والبخل والحزن والحزن .

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (سَبِيلَ الرُّشْدِ) بضم الراء وإسكان الشين، وقراءة (سَبِيلَ الرُّشْدِ) بفتح الراء والشين الفرق بين الرشد والرشد فقال (الرُّشْدُ) في الصلاح، و(الرُّشْدُ) في الدين. (١)

* قال ابن خالويه: "﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ يقرأ بضم الراء وإسكان الشين، وبفتحهما فالحجة لمن ضم: أنه أراد به: الهدى الذي ضد الضلال، ودليله قوله تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] الغي هنا الضلال والحجة لمن فتح: أنه أراد به الصلاح في الدين ودليله قوله تعالى ﴿وَهَبْنَاهُ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] أي صلاحاً. (٢)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن المعنيين متقاربان فالدين هو الصلاح، والصلاح هو الدين، فطريق الدين هو طريق الهدى والرشاد والبعد عن الضلال والانحلال، فمن أراد الله به خيراً أعطاه الدين؛ ومن نال الصلاح والفلاح، كما أنه من سار في طريق الصلاح والفلاح هو من اختار الدين. والله أعلم.

٢٥ - ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمُ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف ١٤٨].

أولاً: القراءات :

١. قرأ حمزة والكسائي (من حُلِيِّهِمْ) بكسر الحاء.
٢. وقرأ يعقوب (من حُلِيِّهِمْ) بفتح الحاء وإسكان اللام وتخفيف الياء.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢٤٦/٤).

(٢) انظر: الحجة ص ٩٠. انظر الكشف (٤٧٧/١).

٣. وقرأ الباقر (من حُلِيِّهِمْ) بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء مكسورة. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{حلي} : الحلي ما يُرَيَّنُ به من مَصْنُوعِ (المعدنيات أو الحجارة)، والحليَّةُ وحليَّتِ المرأة، وحلاها تحليَّةٌ: ألبسها حلياً، أو اتخذتُ لها، أو وصفها ونَعَتَها به، والحليَّةُ الخلقَةُ والصورة والصفة. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تبين موقف بني إسرائيل بعدما فارقهم موسى ﷺ ماضياً إلى مناجاة ربه، ووفاء للوعد الذي كان وعده ربه، بأن اتخذوا من حليهم عجلاً فعبدوه.

*قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذ له السامري من حلي القبط، الذي كانوا استعاروه منهم، فشكل لهم منه عجلاً ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار عجلاً جسداً له خوار، والخوار صوت البقر، وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه تعالى، فأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور، حيث يقول تعالى إخباراً عن نفسه الكريمة ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥] وقد اختلف المفسرون في هذا العجل هل صار لحماً ودماً له خوار أو استمر على كونه من ذهب، إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقرة! على قولين والله أعلم ويقال إنهم لما صوت لهم العجل رقصوا حوله وافتتنوا به وقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَآ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩] وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨] ينكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل وذوولهم عن خالق السموات والأرض ورب كل شيء ومليكه أن عبدوا معه عجلاً جسداً له خوار لا يكلمهم ولا يرشدهم إلى خير، ولكن غطى على أعين بصائرهم عمى الجهل والضللال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حكى الشيء، يعمى ويصم)^(٣) وقوله: ولما سقط في أيديهم أي ندموا على ما فعلوا ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا: لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين

أي من الهالكين وهذا اعتراف منهم بذنبيهم والتجاء إلى الله تعالى. (٤)

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٢) انظر: القاموس المحيط ص ١٦٤٧ مادة حلي.

(٣) أخرجه أبو داود (٢/٧٥٥) في كتاب الأدب باب الهوى حديث رقم ٥١٣٠. الحديث ضعيف. ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢١٧). والمقتطف (٢/٢٧٣، ٢٧٤). وأيسر التفاسير (٢/٢٤٠).

وابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هناك فرقاً بين القراءات من حيث المعنى باعتبار أن قراءة الضم للحاء فإنه جمع حُلَى نحو تُدِي وتُدِي وَجَمَعَهُ لأنه أضافه إلى جمع، ومن قرأ بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة كره الخروج من الضمة إلى الكسرة وأجرى مجراه في عِصِي وقِسيّ ونحوه، ومن قرأ حَلِيهم بفتح الحاء، فلأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير. (١)

وقال القرطبي: جمع حَلِي، وحَلِي، وحَلِيّ مثل تُدِي وتُدِيّ وتُدِيّ. (٢)

والحلي: ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة، ويقال: حَلِيَ الشيء في عيني يحلى حَلِيَّ وحلا في
فمي يحلو حلاوة، وحليت الرجل تحلية إذا وصفته بما ترى منه، وتحلى بكذا تزين به
وتحسن.
والذي تراه الباحثة أن هناك فرقاً في المعنى بين الألفاظ.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية الغرض بيان حرص السامري على
جمع جميع أنواع الحلي من حلي المرأة والمخزون على أشكال أخرى من الذهب، والجواهر
والأشياء الثمينة؛ لأجل تزوير واختلاق إله جديد لبني إسرائيل قبل رجوع موسى من لقاء ربه
وهذا دليل على اهتمامهم من أجل إبطال الحق وإحقاق الباطل بالتزوير والتزييف والاستماتة
في بذل الغالي والرخيص في اتباع الباطل ونصرته، وحسبنا الله ونعم الوكيل. (٣)

٢٦ - ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ
لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[الأعراف ١٤٩].

(١) انظر: التحرير والتتوير (١٠٩/٥). ومجمع البيان (٣٢٩/٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٤٦/٤). والفريد (٣٦١/٢).

(٣) انظر: الحجة ص ٩٠. والكشف (٤٧٧/١).

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف بالخطاب فيهما ﴿لَئِن لَّمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَتَغْفِرْ لَنَا﴾ وفتح الباء
من ﴿رَبَّنَا﴾.

٢. وقرأ الباقون بالغيب ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ ورفع الباء من ﴿رَبَّنَا﴾. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

{رَحْمٌ}: الرَّحْمُ رَحْمُ الْمَرْأَةِ ، ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة، يقال رَحِمْتُ، وَرَحِمْتُ، وَالرَّحْمَةُ رَقَّةٌ تَقْتَضِي الْإِحْسَانَ إِلَى الْمَرْحُومِ، وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ تَارَةً فِي الرِّقَّةِ الْمَجْرَدَةِ، وَتَارَةً فِي الْإِحْسَانِ الْمَجْرَدِ عَنِ الرِّقَّةِ، وَالرَّحْمَةُ مِنَ اللَّهِ الْإِنْعَامُ وَالْإِفْضَالُ، وَمِنَ الْأَدْمِيِّينَ رَقَّةٌ وَتَعَطْفٌ. (٢)

{غَفْرٌ}: تَغْفِرُ مِنَ الْغَفْرِ وَهُوَ الْإِبَاسُ مَا يَصُونُهُ عَنِ الدَّنَسِ، وَمِنْهُ قِيلَ اغْفِرْ ثَوْبَكَ فِي الْوَعَاءِ وَاصْبِغْ ثَوْبَكَ فَإِنَّهُ أَغْفَرَ لِلْوَسْخِ، وَالْغَفْرَانُ وَالْمَغْفِرَةُ مِنَ اللَّهِ هُوَ أَنْ يَصُونَ الْعَبْدُ مِنْ أَنْ يَمْسَهُ الْعَذَابُ، وَمِنْهُ اسْتِغْفَارٌ طَلِبَ ذَلِكَ بِالْمَقَالِ وَالْفِعَالِ. (٣)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تصور حال بني إسرائيل، بعد أن علموا أنهم قد ضلوا باتخاذهم العجل إلهاً من دون الله ندموا أشد الندم.

*قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن اشتداد ندمهم على عبادة العجل، فإن النادم المتحسر يعرض يده غماً فتصير يده مسقوطةً فيها؛ وهذه من دلالات الفطرة الباقية، حيث يعرض الإنسان على الأنامل لأنه عمل شيناً ما كان يصح أن يعمل، فلما يكون الشيء عظيماً!!! فلا تكفي الأنملة ليعرض عليها بل يمسك يده كلها ليعرض عليها قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان ٢٧] ﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي جاءت أنيابهم على أيديهم، كأن الندم بلغ أشده، وهذا للذين أدركوا خطأهم ورأوا ذلك باطلاً وخسراناً، فقالوا إن لم تدر كنا رحمة ربنا ومغفرته لنكونن من الخاسرين، وهنا اعتراف بالذنب والتجاء إلى الله، ثم أخذوا في الإقرار بالعبودية والاستغفار. (٤)

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٩٦ .

(٣) المرجع السابق نفسه ص ٣٧٤ .

(٤) انظر: الشعراوي (٧/٤٣٦٢). وتفسير البيضاوي ص ٢٢٣، وتفسير البغوي (٣/٢٠٢). والتحرير والتنوير (٥/١١٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة: ﴿لَنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أخذوا في الإقرار بالعبودية والاستغفار .

وأفادت قراءة ﴿لَنْ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَتَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بالتاء على الخطاب، وفيه معنى الاستغاثة والتضرع والابتهال في السؤال والدعاء ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب على حذف النداء وهو أيضا أبلغ في الدعاء والخضوع فقراءتهما أبلغ في الإستكانة والتضرع. (١)

*قال ابن زنجلة: قرأ حمزة والكسائي ﴿لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ بالتاء على الخطاب ﴿ربنا﴾ بالنصب على النداء، أي (يا ربنا)، (وتغفر لنا)، بالتاء وحجتها أن في حرف أبي: (قالوا ربنا لئن لم ترحمنا وتغفر لنا).
 قرأ الباقون ﴿لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ بالياء و﴿ربنا﴾ بالرفع على الخبر، و(يغفر) بالياء أيضاً، وحجتهم: هي أنهم لما تبين لهم الضلال بعبادتهم العجل قال بعضهم لبعض ﴿لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ فجرى الكلام على لفظ الخبر من بعضهم لبعض. (٢)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد في كليهما اعتراف وانكسار وتذلل منهم لما عرفوا من جرم ما ارتكبه بحق الله ﷻ من عبادة العجل ففزعوا قائلين بالخطاب ﴿لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ بالتاء على الخطاب، وفيه معنى الاستغاثة والتضرع والابتهاج في السؤال والدعاء وقالوا ﴿ربنا﴾ بنصب الباء وكان هذا الندم الاستغفار منهم بعد رجوع موسى إليهم، هذا كما قال آدم وزوجه: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف ٢٣] ولما كان هذا الذنب هو اتخاذ غير الله إلهاً أعظم الذنوب بدأوا بالرحمة التي وسعت كل شيء ومن نتاجها غفران الذنب وفي قولهم ﴿ربنا﴾ استعطاف حسن إذ الرب هو المالك الناظر في أمر عبده، والمصلح منهم من فسد؛ أما قراءة الغائب ﴿لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ انقطاع إلى الله تعالى واعتراف ﴿ربنا﴾ ورفع بفعله الذي صيغ له لعظم ما أقدموا عليه، وكان إسناد الفعل إلى الغائب وفيه إخبار. (٣)

(١) تفسير القرطبي (٢٤٨/٤).

(٢) حجة القراءات ص ٢٩٧. مجمع البيان (٣٣١/٤). المغني (١٦٣/٢).

(٣) انظر: البحر المحيط (١٨٠/٥). و الحجة ص ٩٠. و المغني (١٦٣/٢). و الكشاف (٢٠٣/٢). و البغوي (٢٨٣/٣).

٢٧ - ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَيْتُمُ الْأُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ

اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴿الأعراف ١٥٠﴾.

أولاً: القراءات :

١. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ﴿ابن أم﴾ بكسر الميم.

٢. وقرأ الباقون ﴿ابن أم﴾ بالفتح. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{ابن أم}: الأم بإزاء الأب وهي الوالدة القريبة التي ولدته، والبعيدة التي ولدت من ولدته؛ وذكر الأم ليرققه عليه، وكانا (موسى وهارون) أخوين من أب وأم، والخطاب فيه استلطاف برحم الأم، إذ هو ألصق القربات. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

* تبين الآية الكريمة موقف موسى ﷺ حينما رجع إلى قومه بعد المناجاة فلما اقترب منهم فسمع أصواتهم فقال هذه أصوات قوم لا هين فلما تحقق عكوفهم على عبادة العجل داخله الغضب والأسف وألقى الألواح.

* قال ابن كثير: قال أبو الدرداء الأسف أشد الغضب قال ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ يقول بئس ما صنعتم في عبادة العجل بعد أن ذهبت وتركتكم، وقوله ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ يقول استعجلتم مجيئي إليكم وهو إليكم مقدر منه ﷻ وألقى الألواح ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ ثم ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضباً على قومه وهذا قول جمهور العلماء سلفاً وخلفاً. وقوله: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ خوفاً أن يكون قد قصر في نهيمهم، قال في الآية الأخرى ﴿قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَ مَا تَأْخُذُ

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٨. انظر المقتطف (٢/٢٧٦).

بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه ٩٣-٩٥] وقال ها هنا: ﴿ابن أم إنَّ القومَ استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا

تَجَعَّنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ أي لا تسوقني مساقهم وتجعلني معهم وإنما قال: ابن أم ليكون أرق وأنجع عنده وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه فلما تحقق موسى ﷺ براءة ساحة هارون ﷺ كما قال تعالى ولقد ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠]. فعند ذلك قال موسى ﷺ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ عن ابن عباس قال ﷺ (١) (يرحم الله موسى ليس المعايين كالمخبر أخبره ربه ﷻ أن قومهم فتنوا بعده فلم يلق الألوام فلما رآهم وعابهم ألقى الألوام فانكسرت). (٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الفتح الندبة، كقوله يابن أمه، وكذلك ابن عمه والأصل (يا بن أمي) ثم قلبت الياء ألفاً فصارت (يابن أمه) ثم حذفت الألف لأن الفتحة تنوب عنها، وأفادت قراءة الكسر الإضافة ثم حذفت الياء التي هي كناية اسم المخبر عن نفسه. (٣)

* قال أبو السعود: ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ وقرئ بكسر الميم بإسقاط الياء تخفيفاً كالمنادى المضاف إلى الياء، وقراءة الفتح لزيادة التخفيف أو لتشبيهه بخمسة عشر ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ إزاحة لتوهم التقصير في حقه، والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعداء. (٤).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين يبين شدة الانفعال وصدق العاطفة من هارون ﷺ حينما انكب عليه موسى ﷺ فنادى ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ وذلك بحذف ياء المتكلم وتعويض ألف عنها في آخر المنادى، ثم تحذف الألف تخفيفاً ويعوض عنها بالفتح، واختار أمه لأنها أكثر تحملاً لأعباء الحياة والعناء والمشقة وقد شهد لها التاريخ بذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص ٧]. وأما قراءة كسرة الميم على الأصل، يعني حذف الياء ونعوض عنها بالكسر

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عباس - حديث رقم ٢٤٩١.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢١٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/٤٧). وحجة القراءات ص ٢٩٧. والفريد (٢/٣٦٤).

(٤) انظر: تفسير أبو السعود (٢/٤٠٨). وتفسير الشعراوي ص ٤٣٦٣.

ليدل عليها وهي لغة مشهورة وفي القراءتين إفادة العموم وشمولية الحال، والله أعلم.

٢٨ - ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

أولاً: القراءات :

١. قرأ ابن عامر ﴿آصَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة والمد والصاد والألف بعدها على الجمع.
٢. وقرأ الباقون ﴿إِصْرَهُمْ﴾ بكسر الهمزة والقصر وإسكان الصاد من غير ألف على الأفراد. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{أصر}: الإصر الحبس والعطف وما في معناهما، وتفسير ذلك أن العهد والميثاق يقال له إصر، والقرباية تسمى أصرة، وكل عقد وقرباية وعهد إصر، والعهد الثقيل إصر، لأن العهد والقرباية لهما إصر ينبغي أن يتحمل، ويقال أصرته إذا حبسته، الإصر: ما شدد من العقوبات. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآيات الكريمة أن كتابة الرحمة كتابة خاصة لمن اتصفوا بالصفات التي وردت في الآيات السابقة ، ثم هم يتبعون النبي الأمي وهو وصف خاص به ﷺ لا يشاركه فيه غيره من

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١/١١٠).

الأنبياء مع أنه جاء بأعلى العلوم النافعة التي يصلح بها ما فسد من العقائد ، والأخلاق وغيرها... ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ هو محمد ﷺ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾ أي يجدون نعتة ووصفه ﴿مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ وذلك بذكر صفاته والثناء عليه وعلى

أمتة، وقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي التي كانت قد حرمت عليهم بظلمهم، وأباح لهم ما طاب في الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾: الخمر ولحم الخنزير والربا وما أهل به لغير الله وسائر المحرمات في الإسلام ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ أي ويحط عنهم تبعات العهد الذي أخذه عليهم بالعمل بما في التوراة والإنجيل بأن يعملوا بكل ما جاء في التوراة والإنجيل ﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي الشدائد المفروض عليهم القيام بها، وذلك كقتل النفس بالنفس إذ لا عفو! ولا دية! وقطع الثوب التي تصيبه النجاسة وبعض الطقوس الجائرة وغير ذلك من التكاليف الشاقة، كل ذلك رفع عنهم بدخولهم الإسلام كقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ أي بمحمد ﷺ ﴿وَعَزَّوهُ﴾ أي وقروه وعظموه ومنعوه من العدو ﴿وَوَصَّوهُ﴾ على أعدائه من المشركين والكافرين والمنافقين ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ وهو القرآن الكريم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي وحدهم دون سواهم الفائزون بالنجاة بكل خير والناجون من كل شر. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿الإِصْرَ﴾ واحد، و﴿الْأَصَارَ﴾ جمعه؛ ومعنى الإِصر: ما شدد من العقوبات، وأصل الإِصر: العهد والميثاق.

ووجه الإفراد أنه مصدر يدل على القليل والكثير من جنسه، مع إفراد لفظه؛ فهو بابه وأصله، وقد أجمعوا على التوحيد. (٢)

*قال محيسن: "﴿إِصْرَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ ﴾ قرأ ابن عامر ﴿أَصَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة والمد والصاد والألف بعدها على الجمع على وزن (أعمالهم)؛ وقرأ الباقر ﴿إِصْرَهُمْ﴾ بكسر الهمزة والقصر وإسكان الصاد من غير ألف على الإفراد مثل (إنهم) واكتفوا بالواحد". (٣)

(١) انظر: تفسير المراعي (٧-٨١/٩). وتفسير البيهقي (٢/٢٨٩).

(٢) انظر: المغني (٢/١٦٥). وكتاب معاني القراءات ص ١٩١.

(٣) انظر: الكشف (١/٣٧٩). والحجة ص ٩١. وحجة القراءات ص ٢٩٨.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما تفسيرية، بحيث تفسر إحداها الأخرى، فالحجة لمن وحد ﴿إِصْرَهُمْ﴾ أنه أراد: ثقل ما اقترفوه في الجاهلية وقراءة الواحدة أفادت القلة والكثرة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرَامًا﴾ [البقرة ٢٨٦] وقوله ﷺ (الإسلام يمجى ما

قبله^(١)؛ وحجة من جمع إنه أراد ﴿أَصَارَهُمْ﴾ التي هي جمع إصر وهي نقض العهد تلو العهد، وكلها إصر وذنوب كما هو معلوم وليس بعد الكفر ذنب فقراءة الجمع أريد بها الكثرة التي تضمنت القلة مع القلة.

٢٩- ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف ١٦١].

أولاً: القراءات :

١. قرأ المدنيان ويعقوب ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾ بجمع السلامة ورفع التاء.
٢. وقرأ ابن عامر ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ بالإفراد ورفع التاء.
٣. وقرأ أبو عمرو ﴿خَطَايَاتِكُمْ﴾ على وزن عطاياتكم بغير همز بجمع تكسير.
٤. وقرأ الباقر ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾ بجمع السلامة وكسر التاء. (٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{الخطأ}: ضد الصواب ،وقد أخطأ ،إخطاءً، وإخاطئةً، والخطيئةُ :الذنب أو ما تعمد منه، وخطئ في دينه وأخطأ: سلك سبيل خطأ عامداً أو غيره، والخطيئة: يضرب لمن يكثر الخطأ ويصيب أحياناً؛ والخطيئة والخطأ :الذنب والإثم. (٣)

(١) مسند الإمام أحمد حديث رقم (١٩٨/٤). الحديث صححه الألباني. وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٣) انظر: القاموس المحيط ص ٤٩ مادة خطء.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

لقد تضمنت الآية الكريمة حادثة بعد أحداث التيه في صحراء سيناء بعد أن تولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل ،الذين غزا بهم الأرض المقدسة، وفتح الله عليه فقال لبني إسرائيل ادخلوا باب المدينة، يعني بيت المقدس، ساجدين أي منحنين خضوعاً لله ﷻ وشكراً على نعمة الفتح بعد النصر والنجاة من التيه.

بجمع السلامة وكسر التاء، على أنها حال منصوبه، وفي جميع القراءات نجد أن الغفران شمل القليل والكثير والفرد والجماعة، فمن قرأ بالواحد أراد الجمع فكل واحد له خطيئة، وجمعها ﴿خَطِيئَاتُكُمْ﴾ ومن قرأ خطايا الذي جمعه ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ فجمع التكسير يدل على كثرة الذنوب والخطايا، وخطياتكم التي تدل على القلة وهنا وعد من الله ﷻ بالمغفرة للخطايا بجميع درجاتها ومراتبها ومستوياتها.

٣٠ - ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَوُونَ﴾ [الأعراف ١٦٤].

أولاً: القراءات :

١. قرأ حفص ﴿مَعذِرَةٌ﴾ بالنصب.

٢. وقرأ الباقون ﴿مَعذِرَةٌ﴾ بالرفع. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{عُذْرٌ}: العُذْرُ تحريُّ الإنسان ما يحو به ذنوبه، ويقال عُذْرٌ وَعُذْرٌ وذلك على ثلاثة

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

أضرب: إما أن تقول لم أفعل؛ أويقول فعلت لأجل كذا، فيذكر ما يخرج به عن كونه مذنباً، أويقول فعلت وأعود، ونحو ذلك من المقال، وهذا الثالث هو التوبة، فكل توبة عذر وليس العكس، واعتذرتُ إليه أتيتُ له بعُذْرٍ، وَعَذْرَتُهُ قَبِلْتُ عُذْرَهُ. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآيات الكريمة حال الفرقة الناهية، الناجية من بني إسرائيل حيث انقسموا إلى ثلاث فرق وفق أمر الله، فرقة اعتدت بالصيد يوم السبت فعصت وكانوا نحواً من سبعين ألفاً ، وفرقة نهت عنه واعتزلت وكانوا اثني عشر ألفاً، وفرقة اعتزلت ولم تنه ولم تعص ، وأن هذه الطائفة قالت للناهية ﴿لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا﴾ تريد الفرقة العاصية ﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾ على غلبة الظن ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بناء على ما عهد من فعل الله تعالى حينئذ بالأمم العاصية ﴿قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قالوا أي نعظهم لأجل المعذرة إلى الله تعالى، وطلب عفوهم ومغفرته. (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿مَعذِرَةٌ﴾ رفعاً أي موعظتنا إياهم معذرة ، والمعنى أن الأمر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله .
وقراءة الرفع تدل على حالهم ودينهم ، لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً من أمر عتبيوا عليه ، ولكنهم قيل لهم لم تعظون قوماً؟! قالوا: موعظتنا (مَعذِرَةٌ) إلى ربكم. (٣)
أفادت قراءة ﴿مَعذِرَةٌ﴾ نصباً وذلك على معنى نعتذر معذرة. (٤)
ولو قال رجل لرجل (مَعذِرَةٌ) إلى الله وإليك من كذا وكذا يريد اعتذاراً بالنصب .
*قال ابن زنجلة : " قرأ حفص ﴿مَعذِرَةٌ﴾ بالنصب على المصدر وحجته أن الكلام جواب كأنه قيل لهم ﴿لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ؟﴾ فأجابوا فقالوا: (نعظهم اعتذاراً ومعذرة إلى ربهم) وقرأ الباقر ﴿مَعذِرَةٌ﴾ بالرفع، قال سيبويه: (معناه موعظتنا إياهم معذرة) فالمعنى أنهم قالوا: الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء لعظهم يتقون. (٥)

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٣٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٦٥/٤). وتفسير البيضاوي ص ٢٢٧ . وصفوة البيان ص ٢٢٥ .

(٣) انظر: التوجيه البلاغي د. أحمد سعد محمد ص ٩٧.

(٤) انظر: زاد المسير (٢٧٧/٣).

(٥) حجة القراءات ص ٣٠٠.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين يتضح أن الموعظة كانت معذرة إلى الله سبحانه، وبراءة من كل فعل فعلوه سواء كان ردهم من ذاتهم أو من كلام الفرقة الناهية لهم، فبكل الأحوال هي أمر واجب من باب الأمر بالمعروف، وكذلك اعتذار من فعلهم إلى ربكم، على أنه خبر مستأنف وقوعه منهم، لمن قرأ بالضم على إضمار مبتدأ دل عليه الكلام لم تعظون قوماً هذه

سبيلهم؟ قالوا: والتقدير موعظتنا معذرة منا إلى الله، وقراءة الفتح: على المفعول المطلق نعظهم
اعتذاراً ومعذرة؛ أو المفعول لأجله موعظتنا معذرة منا إلى الله. (٢)

٣١- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾
[الأعراف ١٧٢].

أولاً: القراءات :

١. قرأ ابن كثير والكوفيون ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بغير ألف على التوحيد.
٢. وقرأ الباقون ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ على الجمع مع كسر التاء.
١. قرأ أبو عمرو ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ بالغيب.
٢. وقرأ الباقون ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ بالخطاب. (٣)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{ذُرِّيَّةٌ}: الذرية ولد الرجل، والذرية: اسم جمع لما يتولد من الإنسان، وجمعه الذريات؛
والذريات: الأعباب المتناسلة. (٤)

(١) انظر: حجة القراءات ص ٣٠١. وانظر التحرير والتنوير (١٣٣/٥).

(٢) انظر: الكشف (٤٨١/١).

(٣) النشر في القراءات العشر (٢٠٥/٢).

(٤) انظر: القاموس المحيط ص ٥٠٧ مادة ذر.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآيات الكريمة السابقة هداية الله ﷻ للبشر بإرسال الرسل، وأنزل الكتب، ووفى بذكر
الهداية لما أودع في فطرتهم وركب في عقولهم من الاستعداد للإيمان به وتوحيده ﴿وَإِذْ أَخَذَ
رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ أي اذكر أيها

الرسول للناس كافة مأخذه الله عليهم من ميثاق الفطرة، إذ استخرج من بني آدم ذريتهم جيلاً إثر جيل - يعني بعضهم من ظهور بعض - فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه خرجوا من صلبه، وخلقهم على فطرة الإسلام بما أودع في قلوبهم من غريزة الإيمان اليقيني، بأن للكون إلهاً هو ربهم وخالقهم ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ أي قالوا بلسان الحال لا بلسان المقال: بلى أنت ربنا المستحق وحدك للعبادة؛ وكفي بالمرء أن يكون يوم القيامة شاهداً على نفسه؛ فحين يأتي يوم القيامة ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، فلا داعي أن يقول أحد منهم إنني كنت غافلاً. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد، وحجة من قرأ على التوحيد أن الذرية تقع للواحد والجمع، قال الله ﷻ ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران ٣٨] فهي للواحد، فبشر بيحيى كما يؤكد في موضع آخر: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم ٥] وقد أُجمع على التوحيد في قوله: ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ [مريم ٥٨] ولا شيء أكثر من ذرية آدم، وقال تعالى: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف ١٧٣] وهنا للجمع وقد استغني بذلك عن الجمع، ومثله (البشر) يقع للواحد والجمع.

أفادت قراءة ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ على الجمع وكسر التاء، وحجة من جمع أنه لما كانت الذرية تقع للواحد أتى بلفظ لا يقع للواحد، فجمع ليخلص الكلمة إلى معناها المقصود إليه، لا يشركها فيه شيء وهو الجمع، لأن ظهور بني آدم استخرج منها ذريات كثيرة متناسبة أعقاباً بعد أعقاب، ولا يعلم عددهم إلا الله فجمع لهذا المعنى والجمع بالتاء والألف يقع للتكثير على تقدير جمع بعد جمع. (٢)

*قال ابن خالويه: "﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يقرأ بالتوحيد والجمع؛ فالحجة لمن وحّد: فإنه جعله مؤحداً في اللفظ، مجموعاً في المعنى؛ دليله قوله تعالى: ﴿أَوِ الطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور ٣١] والحجة لمن جمع: أنه طابق بذلك بين اللفظين لقوله: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ معنى الآية: إن الله مسح ظهر آدم، فأخرج الخلق منه، كأمثال الذر فأخذ عليهم العهد

(١) انظر: تفسير البغوي (٢٩٩/٣). وتفسير المراعي (١٠٣/٩-٧). و ايسر التفاسير ص ٢٦٠. وفتح القدير (٢٦٤/٢).

(٢) انظر: الكشف (٤٨٣/١).

بعقل ركبهم، وناداهم ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ فكل أحد إذا بلغ الحلم، علم بعقله أن الله ﷻ خالقه. واستدل بذلك عليه؛ وإن قيل فما وجه بعثة الرسل؟ قلنا إيضاح للبراهين وتأكيدهم للحجة عليها " (١).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما بلاغية تهدف إلى أهمية العهد والميثاق الذي أخذهُ الحق ﷻ على الخلق؛ فهو في حق الفرد كما هو في حق الجميع؛ فقراءة الواحد يراد بها الجمع؛ لأن الذرية تكون جمعاً وتكون واحداً، والميثاق مسؤول عنه كل واحد، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام ٩٤] للسؤال قال ﷻ (٢) *يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء، أكنيت مفدياً؟ فيقول: نعم، فيقول قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت منك هي ظمير آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك.* (٣).

كما إن الأسلوب هو ضرب من ضروب البلاغة وهو الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، أي أن الآية الكريمة تذكير بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق، واحتجاج لئلا يقول الكفار: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ يعني الميثاق والعهد والإقرار. (٤)

٣٢ - ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف ١٧٣].

أولاً: القراءات :

١. قرأ أبو عمرو ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ بالغيب.
٢. وقرأ الباقون ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ بالخطاب. (٥)

(١) الحجة ص ٩٢.
(٢) مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك - حديث رقم ١٢٦٢٣.
(٣) التحرير والتنوير (٥/ ١٦٩).
(٤) انظر: مفاتيح الأغاني ص ١٨٥. والكشف (٤٨/١). والحجة ص ٩٢.
(٥) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٠٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{قل} : القول الكلام، أو كل لفظ مُدَلِّ به اللسان، تاماً أو ناقصاً. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تبين لنا كيف تتصل أولئك الناقدون للعهود والمواثيق ، ثم إن الله ﷻ لا يقبل منهم الاعتذار بالجهل، أو بتقليد الآباء والأجداد؛ إذ التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها لا يلجأ إليه ولا جدوى من التمسك به.

*قال البغوي، في بيان معنى الآية الكريم ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ﴾: إنما الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون: إنما أشرك آبائنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية من بعدهم، أي كنا أتباعاً لهم فافتدينا بهم ، فتجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا: ﴿أَفْتَهُكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي فتعذبتنا بجناية آبائنا المبطلين، فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى لهم بأخذ الميثاق على التوحيد". (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَقُولُوا) بالياء ورده على لفظ الغيبة المتكرر قبله، وهو قوله: ﴿مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾ وقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ أيضاً لفظ غيبة، وكذا وكنا ذرية من بعدهم فحمله على ما قبله وما بعده من لفظ الغيبة .
وأفادت قراءة (تَقُولُوا) بالتاء فيهما ردّوه على لفظ الخطاب المتقدم في قوله ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ؟﴾ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ ويكون (شهدنا) من قول الملائكة لَمَّا قَالُوا بَلَى قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا (أو تقولوا) أي لئلا تقولوا وقيل معنى ذلك أنهم لما قالوا بلى فأقروا له بالربوبية قال الله ﷻ للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا بإقراركم لئلا تقولوا أو تقولوا . وهذا قول مجاهد، وقال ابن عباس: وغيرهم قوله شهدنا: هو من قول بني آدم والمعنى شهدنا أنك ربنا إلهنا وقال ابن عباس أشهد بعضهم على بعض، فالمعنى: على هذا قالوا بلى شهد بعضنا على بعض، فإذا كان ذلك من قول الملائكة فيوقف على بلى ولا يحسن الوقف عليه إذا كان من قول بني آدم؛ لأن أن متعلقة بما قبل بلى من قوله: وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا .

(١) القاموس المحيط ١٣٥٨ مادة قول.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/٣٠٠).

عن عمر أن النبي ﷺ قال: (أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال: لهم ألسنت بربكم؟ قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا أي شهدنا عليكم بالإقرار بالربوبية لئلا تقولوا أو تقولوا) (١) فهذا يدل على التاء، قال مكي: وهو الاختيار لصحة معناه ولأن الجماعة عليه. (٢)

*قرأ أبو عمرو ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ بالغيب، وقرأ الباقون ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ بالخطاب؛ وفي القراءتين

التفات من الغيب إلى الخطاب. (٣)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنه ليس هناك مفر من الإقرار سواء كان القول على لسانهم والإقرار والاعتراف من قبلهم، أو على لسان الملائكة بقوله: بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا أي شهدنا عليكم بالإقرار بالربوبية لئلا تقولوا، كما ويؤكد على أن الهلاك لا يكون بما فعله الآباء من الشرك إنما الإهلاك بما فعلتموه أنتم بأنفسكم حينما نسيتم العهد وتكرتم للإقرار.

٣٣ - ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ

سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف ١٨٠].

أولاً: القراءات :

١. قرأ حمزة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بفتح الياء والحاء.

٢. وقرأ الباقون ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء. (٤)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{لحد}: اللَّحْدُ حُفْرَةٌ مَائِلَةٌ عَنِ الْوَسْطِ وَقَدْ لَحَدَ الْقَبْرَ حَفْرَهُ كَذَلِكَ وَالْحَدُّهُ ، وَقَدْ لَحَدْتُ الْمَيِّتَ وَ أَلْحَدْتَهُ جَعَلْتَهُ فِي أَلْحَدٍ، وَيَسْمَى اللَّحْدُ مَلْحَدًا وَذَلِكَ اسْمُ مَوْضِعٍ مِنْ أَلْحَدْتَهُ، وَلَحَدْتُ بِلِسَانِهِ إِلَى كَذَا

(١) أخرجه مالك في القدر باب النهي عن القول بالقدر، الترمذي في التفسير (٢٦٧/٥). والحديث حسن صحيح.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٧٤/٤).

(٣) القراءات وأثرها في التفسير (٨٧٠/٢).

مال، وألحد فلان مال عن الحق والإلحاد ضربان: إلحادٌ إلى الشرك بالله، وإلحادٌ إلى الشرك بالأسباب، فالأول: ينافي الإيمان ويبطله، والثاني: يوهن عراه ولا يبطله والإلحاد في أسماء الله على وجهين: أحدهما: أن يُوصف بما لا يصح وصفه به؛ والثاني: أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به، والتحد إلى كذا مال إليه، وألحد السهم الهدف: مال في أحد جانبيه. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن أسماء الله الحسنى وصفاته العلى فادعوه بها، ومن أسمائه: العزيز الجبار، وكل أسماء الله حسن، كما وتتهى عن اتباع الذين يلحدون في أسمائه؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ تَسْعَةٌ وَتَسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا. مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) (٢) وهو وتر يحب الوتر **﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾** لأنها دالة على معان هي أحسن المعاني والمراد بها الألفاظ، وقيل الصفات **﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾** فسموه بتلك الأسماء **﴿وَدَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾** واركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه؛ كما فعلوا فسموا بها أو ثابوا فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، وإذ ربما يوهم معنى فاسداً كقولهم: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمي به نفسه كقولهم ما نعرف إلا رحمان اليمامة أو وذرهم وإلحادهم فيها بإطلاقها على الأصنام واشتقاق أسمائها منها كاللات من الله، والعزى من العزيز، ولا توافقهم عليه أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم كما قال **﴿سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** وقرأ حمزة يلحدون بالفتح، يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد، سيجزون ما كانوا يعملون في الآخرة. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة **﴿يُلْحِدُونَ﴾** بفتح الياء والحاء، وقراءة **﴿يُلْحِدُونَ﴾** بضم الياء وكسر الحاء أنهما لغتان بمعنى واحد .

* قال الدكتور محمد سالم محيسن رحمته الله قرأ حمزة **﴿يُلْحِدُونَ﴾** بفتح الياء والحاء، وقرأ الباقيون **﴿يُلْحِدُونَ﴾** بضم الياء وكسر الحاء، ولحد وألحد لغتان بمعنى واحد، وهو: العدول عن الاستقامة

(١) انظر: لسان العرب ٣/٣٨٨، مادة لحد.

(٢) أخرجه البخاري .كتاب التوحيد .باب إنَّ الله مائة اسم إلا واحد. حديث رقم ٧٣٩٢. انظر فتح الباري (٣٨٩/١٣).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٣٤). وصفة البيان ص ٢٢٨. وتفسير المراعي (٧-١١٧/٩). وتفسير النسفي (١-٨٧/٢).
القبر، والجمع ومن قيل اللحد، لأنه إذا حفر يمال به إلى جانب القبر يقال اللحد بفتح اللام: الشق في جانب لحود مثل فلس، وفلوس؛ وألحد، إلحاداً: جادل ومارى، ولحد: جار وظلم، وألحد في الحرم بالألف: استحل حرمة وانتهكها". (١)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما تفسيرية تتضمن عدم الميل أو الجور
وراء تحريف أسماء الله ﷻ كما ولا يجوز الممارسة والمجادلة فلحدت: جُرْتُ ومِلْتُ، وألحدت: ماريتُ وجادلْتُ. وبكلاهما لا يجوز الميل والجور عن القصد؛ فمن أجل القربات وأعظمها، ذكر الله تعالى، فإذا ما أراد الإنسان القرب من الله تعالى، فليسأله بأحد أسمائه تعالى بسبب إخراج الحروف من غير مخرجها، حتى تلتبس بألفاظ أخرى، فإن هذا العمل غير صحيح ومردود على صاحبه، وهذه دعوة إلى تقديس أسماء الله ﷻ.

٣٤ - ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف ١٨٦].

أولاً: القراءات :

١. قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بالنون.
٢. وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بجزم الراء.
٣. وقرأ الباقون ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ برفعها. (٢)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{ذر}: فعل أمر قيل: لم يرد له ماض ولا مصدر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول فتصاريفه هذه مائة في الإستعمال استغناء عنها بأمثالها من مادة ترك تجنباً للثقل واستعمل مضارعه والأمر منه. (٣)

وقد أمأت العرب ماضيه ومصدره، فإذا أريد الماضي قيل: ترك وربما يستعمل الماضي منه

(١) المغني (٢/١٧٦). والكشف (١/٤٨٤). والمهذب (١/٢٥٨).

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٤/٢٩٤).

على قلة^(١)، {نذرهم}: أي ندعهم ونتركهم. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن سنة باقية من سنن المولى ﷺ وهي ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ أي أن المولى ﷺ أنزل القرآن أعظم الكتب السماوية وأرسل محمداً ﷺ أشرف وأعظم الرسل وجعله أكملهم عقلاً، وأجملهم أخلاقاً، فمن فقد الاستعداد للإيمان بهذا الرسول وبهذا الكتاب المبين، فقد أضله الله ومن يضلله الله فلا هادي له؛ لأن سنة الله اقتضت في خلق الإنسان وارتباطه بأسباب تترتب عليها مسببات، بأن يبقى راسخاً في الضلال، فإن رسخت أقدامه في الضلال فمن يهديه من بعد الله؟ ولا قدرة لأحد من خلقه على تغيير أو تبديل سنن الله ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وقد تجلت قدرته أن يترك هؤلاء الضالين في طغيانهم يترددون حيارى لا يهتدون سبيلاً للخروج مما هم فيه بما جنته أيديهم من الظلم والطغيان وتجاوز الحد. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الرفع ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾؛ ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ على الإستتفاف بالياء والنون، أي نحن أوهو؛ وقرئ بالجرم والسكون عطف على محل الجملة الاسمية لأنها جواب الشرط. (٤)

* قال ابن زنجلة: "قرأ نافع وابن عامر وابن كثير ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ بالنون والرفع على الإستتفاف، أي نحن نذرهم، فأخبر المولى ﷺ عن نفسه بلفظ الجمع على العظمة. وقرأ أبو عمرو وعاصم ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ الياء والرفع على الإستتفاف؛ وحجتها قوله: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ﴾ ثم قال: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ يعني يذرهم الله؛ إخباراً عنه. وقرأ حمزة والكسائي ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء وجرم الراء، عطفاً على موضع الفاء في قوله: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾؛ لأنه في محل جزم جواب الشرط، والمعنى: من يضل الله يذره في طغيانه فلا يهديه أحد". (٥)

(١) انظر: المغني (١٧٧/٢).

(٢) انظر: أيسر التفاسير (٢٦٨/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١٦/٥). وتفسير النسفي (١-٨٨/٢). وتفسير التحرير والتنوير (١٩٩/٥). وتفسير المراغي (٧-

١٢٦/٩).

(٤) حاشية الشهاب (٤/٤١٢).

(١) انظر: كتاب معاني القراءات ص ١٩٤. والقراءات وأثرها في التفسير (٨٧١/٢). والقراءات وأثرها في علوم العربية (٢) (١٣٤/).

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٥).

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٩٢.

(٤) انظر: لسان العرب (١٠/٤٥٠). مادة شرك.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تتحدث عن حكاية ذرية آدم ﷺ ممن رزقهم الله الذرية والبنين، فأشركوا مع الله وسموا أولادهم بأسماء الشياطين. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ﴾ شَكَتْ حَوَاءٌ أَحْمَلْتِ أُمَّ لَا ؟ ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ أتاهما إبليس - لعنة الله عليه - فقال: هل تدريان ما يولد لكما؟ أم هل تدريان ما يكون أبيهما أم لا؟ وزين لهما الباطل إنه غوي مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا ، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياهما بي لم يخرج سوياً ومات، ثم قال لهما إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلنَّ له قرني إيل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن؛ ولأفعلن يخوفهما فسمياه عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت يعني الثانية فأتاهما أيضاً فقال أنا صاحبكما الذي فعلت مافعلت لتفعلنَّ أو لأفعلنَّ يخوفهما فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضا فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ أي لما أعطاهما الله ﷻ ماطلباه ووهبهما الولد الصالح السوي المعافاة، الصالح للقيام بالمهام ﴿جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ﴾ أي جعل هؤلاء الأولاد والنسل لله شركاء من الأصنام والأوثان ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾ من الأولاد أي سموهم بعبد العزى، وعبد مناف وغيرهم. ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تنزهه وتقدس الله عما ينسبه إليه المشركون من الشركاء والأنداد. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (شركاً) بكسر الشين والتنوين، أي شركة أو اشتراكاً مع الله، والمفعول الثاني محذوف تقديره (أي جعل له الأصنام شركة). وقال أبو عبيدة: أي: خطأً ونصيياً. وأفادت قراءة (شركاء) بضم الشين ممدوداً على جمع شركة يعني: إبليس، أخبر عن الواحد بلفظ الجمع أي: جعل له شريكاً إذ سمياه عبد الحارث، ولم يكن هذا إشراكاً في العبادة ولا أن الحارث ربهما، فإن آدم كان نبياً معصوماً من الشرك ، ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه، وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك، كما يطلق اسم

٣٦- ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾

[الأعراف ١٩٣].

(١) نعيم بن مسعود الأشجعي هو: صحابي جليل من ذوي العقل الراجح، قدم على رسول الله ﷺ سرّاً أيام الخندق واجتماع الأحزاب فأسلم وكنم إسلامه، وعاد إلى الأحزاب، وألقى الفتنة بين قبائل قريظة، وغطفان وقريش، فتفرقوا في حديث طويل، وكان يقول بعد ذلك أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله ﷺ على سره، سكن المدينة، ومات في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وقيل قتل يوم الجمل قبل قدمه على البصرة. انظر الأعلام للزركلي (٤١/٨).
(٢) حجة القراءات ص ٣٠٥ . والكشف (٤٨٦/١). انظر: المغني (١٧٨/٢). والحجة ص ٩٢-٩٣.

أولاً: القراءات :

١. قرأ نافع ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بإسكان التاء وفتح الباء.
٢. وقرأ الباقون ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بفتح التاء مشددة وكسر الباء. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{تبع}: تَبَعَ الشَّيْءَ تَبْعًا وَتَبَاعًا فِي الْأَفْعَالِ، وَتَبِعْتُ الشَّيْءَ تَبِيعًا : سِرْتُ فِي إِثْرِهِ ؛ وَأَتَّبَعْتَهُ وَأَتَّبَعْتَهُ وَتَتَّبَعْتَهُ قَفَاهُ وَتَطَلَّبْتَهُ مُتَّبِعًا لَهُ، وَكَذَلِكَ تَتَّبَعْتَهُ وَتَتَّبَعْتَهُ تَتَّبِعًا ، وَتَبِعْتُ الشَّيْءَ وَأَتَّبَعْتَهُ : مَثَل رَدِفَتْهُ وَأُرْدِفْتَهُ ؛ وَتَبِعْتَهُمْ تَبَعًا، وَيُقَالُ مَا زِلْتُ أَتَّبِعُهُمْ حَتَّى أَتَّبِعْتَهُمْ أَيْ حَتَّى أَدْرَكْتَهُمْ. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن طبيعة هذه الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله سبحانه؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ والخطاب هنا موجه للكفار على سبيل التوبيخ والنقيض على عبادة غير الله، بمعنى إن تدعوا هذه الأصنام إلى ما فيه الهدى والرشاد أو إلى أن يهدوكم كما تطلبون من الله ﷻ الهدى والرشاد لا يتبعوكم على مرادكم ولا يجيبوكم، وهذا بيان لعجزهم عما هو أدنى من النصر وأيسر، وهو مجرد الإرشاد إلى طريق الهدى، لأنها جمادات لا تعقل، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ أي دعاؤكم لهم وصمتكم عنهم سيان فكيف يعبد من هو حاله؟ أي مستوٍ عليكم في عدم الفائدة، دعاؤكم للأصنام وسكوتهم، فليس هناك تغيير في حالهم أو حالكم فهي جمادات لا تسمع ولا تعقل ولا تغني من الله شيئاً. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لَا يَتَّبِعُوكُمْ) بإسكان التاء وفتح الباء مخففاً من تبع، ومعناه لا يتبعوا آثاركم وعطفت الجملة الاسمية على الفعلية؛ لأنها في معنى الفعلية والتقدير أم صمتم.

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٥).

(٢) انظر: لسان العرب (٢٧/٨-٢٨) مادة تبع.

(٣) انظر: البحر المحيط (٥/٢٤٨). والمقتطف (٢/٣٠٨). والأساس في التفسير (٤/٢٠٧٢). وتفسير ابن كثير (٢/٢٤١).

* وأفادت قراءة (لَا يَتَّبِعُوكُمْ) بفتح التاء مشددة وكسر الباء مشدداً، من اتبع ومعناها لا يقتدون بكم. (١).

وبناء على ذلك (اتَّبَعَهُ) إذا مضى خلفه فأدركه، بينما (أَتْبَعَهُ) إذا مضى خلفه ولم يدركه.

* قال القرطبي: "(لَا يَتَّبِعُوكُمْ) مشدداً ومخففاً، لغتان بمعنى وقال أهل بعض اللغة: (أَتْبَعَهُ)

مشدداً إذا مضى خلفه فأدركه. (٢)

* قال ابن خالويه: "(لَا يَتَّبِعُوكُمْ) يقرأ بالتشديد والتخفيف فالحجة لمن شدد: أنه أراد به: لا

يسيروا على أثركم، ولا يركبون طريقكم في دينكم، والحجة لمن خفف: أنه أراد به: لا

يلحقوكم، ومنه قول العرب: أتبعه: إذا سار في أثره، وتبعه: إذا لحقه، وقيل: هما لغتان

فصيحتان". (٣)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما بلاغية تبين أن حالهم المستمرة أن

يكونوا صامتين عن دعوتهم، فيقال إن دعوتهم عند الحاجة لم تفترق الحال بين إحداثكم

دعاهم؛ وبين ما أنتم عليه من عادة صمتم عن دعائهم فالنتيجة واحدة.

فمن مضى خلفهم فأدركهم لم يستفد من دعائهم فهم حجارة لاتضر ولاتنفع؛ ومن مضى خلفه

ولم يدركهم أي لم يستفد من دعائهم فهم كذلك حجارة لاتضر ولاتنفع، ففي الحالتين النتيجة

واحدة. (٤)

٣٧- ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَاطُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ
أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ﴾ [الأعراف ١٩٥].

(١) انظر: البحر المحيط (٢٤٨/٥-٢٤٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٩٣/٤). وفتح القدير (٢٧٧/٢). والكشف (٤٨٦/١). والمغني (١٨٠/٢).

(٣) الحجة ص ٩٣.

(٤) انظر: الفريد (٣٩٥/٢).

أولاً: القراءات :

١. قرأ أبو جعفر ﴿يَبْتَاطُونَ﴾ بضم الطاء.

٢. وقرأ الباقر ﴿يَبْتَاطُونَ﴾ بكسر ها. (١)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{بَطَشَ}: البطش التناول بشدة الصَّوْلَة، والأخذ الشديد في كل شيء؛ بَطَشَ يَبْتَاطُ وَيَبْتَاطُ بِطَشًا؛
والبطش: هو الأخذ القوي الشديد، والبطشة : السطوة والأخذ بالعنف؛ وباطشهُ مُبَاتِشَةً،
وبطش به يبطش بطشاً: سطا عليه في سرعة فائقة. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تؤكد وتتم ما قبلها من شرائع العقيدة، وتقرر مبدأ التوحيد، وتنفي الشرك، ليتأكد
في النفوس ويثبت في القلوب، وبه تتخلع جذور الوثنية، وترسخ قواعد الإيمان.
قال تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَاطُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ
لَهُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾؟ أسلوب استفهام، غرضه تبيكيت إثر تبيكيت، مؤكداً لما يفيد الأمر
التعجيزي، فإن الاستجابة من الهياكل الجسمانية، فيقول المولى ﷻ لهؤلاء الذين عبدوا
الأصنام، من دون معرفتهم، جهلاً ما هم مقيمون عليه من عبادة هذه الأصنام، ألهها أرجل
يمشون بها ؟ فيسعون معكم ولهم في حوائجكم ويتصرفون بها في منافعكم أم لهم أيدي يبطشون
بها ؟ فيدفعون عنكم وينصركم بها عند قصد من يقصدكم بشرراً ومكروه أم لهم أعين يبصرون

بها؟ فيعرفونكم ما عاينوا وأبصروا مما تغيبون عنه فلا ترونه أم لهم آذان يسمعون بها؟ فيخبرونكم بما سمعوا دونكم مما لم يسمعوه، فإن كانت ألهتكم التي تعبدونها ليس فيها شيء من هذه الآلات التي ذكرتها، والمُعَظَّمُ لهذه الأشياء إنما يعظم لما يرجى منه من المنافع التي توصل إليه بعض هذه المعاني عندكم، فما وجه عبادتكم أصنامكم التي تعبدونها وهي خالية من تلك الأشياء التي يتوصل بها إلى إجتلاب المنافع ودفء الضرر ثم كرر التبكيث ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أمر للنبي ﷺ بأن يناصرهم المحاجة ويأمرهم أن بالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادئ

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٦).

(١) انظر: لسان العرب ٦/٢٦٧ مادة بطش.

المكر والكيد، أي: ابدلوا جهدكم في الكيد لي أنتم وشركاءكم جميعاً دون أن تعطوني مهلة فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد ﴿فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ فإني لا أبالي بكم أصلاً فلم تعبدون من هو دونكم. (١)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنظر إلى قراءتي الضم والكسر نجد أن كليهما لغتان من لغات العرب .

*قال الطاهر بن عاشور: "البطش الأخذ باليد، الإضرار بها بقوة، وقد جاء مضارعه بالكسر والضم على الغالب، فقراءة الجمهور بالكسر، وقرأ أبو جعفر: بضم الطاء وهما لغتان". (٢)

*قال الدكتور محيسن: "قرأ أبو جعفر ﴿بِبطشُون﴾ بضم الطاء، مضارع بطش يبطش، كخرج يخرج. وقرأ الباقر ﴿بِبطشُون﴾ بكسر الطاء، مضارع بطش يبطش، كضرب يضرب، والبطش هو الأخذ بقوة". (٣)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين وجدت الباحثة أن القراءتين لغتان لكل منهما معنى تبلغ به نهاية الإيجاز؛ وغاية الإعجاز. وهو الأخذ بقوة، والتناول بشدة.

٣٨ - ﴿إِنَّ وِلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف ١٩٦].

أولاً: القراءات :

١. قرأ أبو عمرو ﴿إِنَّ وِلِيَّ اللَّهِ﴾ بياء واحدة مخففة.
٢. وقرأ الباقون ﴿إِنَّ وِلِيَّ اللَّهِ﴾ بإظهار الياءين مع التشديد. (٤)

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٠٣/٥). والمقتطف (٣٠٦/٢). والأساس (٢٠٧٣/٤). والكشاف (٢٢٩/٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢٢/٥). و انظر: تفسير القرطبي (٢٩٥/٤). و فتح القدير (٢٧٨/٢).

(٣) المستنير (٢٠٦/١). و انظر: المغني (١٨١/٢).

(٤) النشر في القراءات العشر (٢٠٦/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{وَلِيٍّ}: الولاء، والتولي هو أن يحصل شيان فصاعداً ليس بينهما ما ليس منهنما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة، والنصرة والاعتقاد، والولاية تولى الأمر، يقال للمؤمن: من هو وليُّ الله ولم يرد مولاه، ويقال الله ﷻ وليُّ المؤمنين ومولاهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ وِلِيَّ اللَّهِ﴾. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة عبارة عن محطة تبرئة من الشرك، فهي حرب ولاء وبراء . فلما أمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بالتبري من الشرك وحته على التولي قال تعالى: ﴿إِنَّ وِلِيَّ اللَّهِ﴾ أي ناصري ومعيني عليكم، ودافع شركم عني، الله (الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ) أي القرآن يؤيدني بنصره ، وعلى العاقل أن يعبد الذي يتولى تحصيل المنافع له في الدارين الدنيا والآخرة، وهذا الكتاب قد اشتمل على خيري الدنيا والآخرة (وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) ففي الدنيا ينصر عباده، فلا يضرهم عداوة من عاداهم، ونصره يكون تارة بالدفع عنهم، وأخرى بالحجة لهم ،وقد روي أن عمر بن عبد العزيز كان لا يدخر لأولاده شيئاً، فقيل له في ذلك...؟! فقال إما أن يكون ولدي من الصالحين فولّيه الله ﷻ ولا حاجة له إلى مالي، وإما أن يكون من المجرمين فقد قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص ١٧]. (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة التشديد (وَلِيِّي) مضافاً لياء المتكلم المفتوحة ، وهي قراءة واضحة ، وقد أضاف (الولي) إلى نفسه . وقد يتم تخريج هذه القراءة بأن لا يكون (ولي) مضافاً إلى ياء المتكلم بل هو اسم نكرة ، أي اسم (إِنَّ) والخبر (الله) وحذف من (ولي) التنوين لالتقاء الساكنين كما حذف من قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) [الإخلاص ١] . والتقدير إِنَّ وَلِيًّا حَقًّا وَلِيًّا هُوَ اللهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَجَعَلَ اسْمَ (إِنَّ) نكرة والخبر معرفة ، وعليه فالوليّ الحق هو الله الذي لا إله إلا هو مباشرة.

وأفادت قراءة أبي عمرو (وَلِيَّ) بياء مشددة مفتوحة من أَنْ وَلِيَّ اللهُ بِيَاءٍ وَاحِدَةٍ مَنْصُوبَةٍ مضافة

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ٨٨٥.

(٢) انظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان على مصحف التهجد. تأليف: نظام الدين الحسن بن الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري (١٩٦ / ٢) الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م. دار الصفوة. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: غرائب القرآن .

إلى الله ﷻ . على أن يكون المراد جبريل ﷺ. قال الأخفش: فيصير (الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ) من صفة جبريل ﷺ. بدلالة قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل ١٠٢] . أما على قراءة العامة أن يكون خبر (إِنَّ) صفة لله ﷻ وهو (الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ) . (١)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن القراءتين إخبار من الله ﷻ بأنه وليّ الصالحين ، إما مباشرة بنفسه فهو وليهم، ووليّ الشيء هو الذي يحفظه ويقوم عليه بنصرته ويمنع منه الضرر ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ وإما بواسطة جبريل ﷺ الذي هو وليّ الله ، فهو وليهم، فعليه يكون

وليهم هو وليّ الله، وبذلك يكون الله هو وليهم إما بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر . والآية الكريمة تحمل في طياتها تحدياً ما بعده تحدٍ لأولئك الذين يُخَوِّفُونَ النَّبِيَّ ﷺ بأصنامهم ولآلهتهم، يؤكد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف ١٩٧] . أما قراءة (وَلِيِّي) المشددة المضافة لياء المتكلم، التي فيها زيادة مبني للدلالة على زيادة المعنى، لتشمل هذه النصره بشارة عظيمة في ثناياها لأولياء الله، قال تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس ٦٢] . (١)

٣٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾

[الأعراف ٢٠١].

أولاً: القراءات :

١. قرأ البصريان وابن كثير والكسائي ﴿مَسَّهُمْ طَيْفٌ﴾ بياء ساكنة بين الطاء والفاء من غير همزة ولا ألف.

٢. وقرأ الباقون ﴿مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ بألف بعد الطاء وهمزة مكسورة بعدها (٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{مس}: مسته أي لمسته، والمس: الجنون، مس بالضم، فهو ممسوس، قال تعالى: ﴿ذُوقُوا مَسَّ

(١) انظر: البحر المحيط (٢٥٥/٥).

(٢) انظر: فتح القدير (٢٥٥/٢). والدر المصون (٣٨٦/٣).

(٣) النشر في القراءات العشر (٢٠٦/٢).

سَقَرٌ﴾ [القمr ٤٨] أي: أول ما ينالكم منها، وبينهم رَجْمٌ ماسّة، أي قرابة قريبة، وقد مسّت بك رَجْمٌ

فلان، وحاجة ماسّة: مهمّة، وقد مسّت إليه الحاجة، والمسّمة: اختلاط الأمر والتباسه. (١)

{طوف}: الطوف المشي حول الشيء ومنه الطائف لمن يدور حول البيوت حافظاً، يقال طاف

به يطوف قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ وهو الذي يدور على الإنسان من

الشیطان يريد اقتناصه، وقد قرئ طيف وهو خيال الشيء وصورته المترائي له في المنام أو

اليقظة ومنه قيل للخيال طيف. (٢)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن المثل الأعلى والطريقة المثلى فيمن يسلك طريق السلامة في

الإستعاذة بالله من الشيطان ومن الوقوع في المعصية فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ فهم خيار

أهل الأرض وهم المؤمنون الذين يؤمنون بالغيب ويطيعون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، فإذا

ألم بهم شيء فروا إلى الله؛ أي ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ ليحملهم بوسوسته على

المعصية أو إيقاع البغضاء بينهم، ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ أي تذكروا أنّ هذا من إغواء

الشیطان عدوهم الذي حذرهم الله منه وأمرهم بالاستعاذة منه والالتجاء إليه ﴿﴾ في الحفظ من

الغواية، فإذا هم أولوا بصيرة يبرئون أنفسهم من هذه الوسوسة، والخطاب هنا للنبي ﷺ لأنه مطالب بمجاهدة الشيطان؛ ولأمتة من بعده. (٣)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿طَيْفٌ﴾ لَمَّةً من الشيطان، وهي مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفاً، وهو تخفيف طَيْفٍ؛ وهي على وزن فيعلٌ من طاف يطيف، أو طاف يطوف. (٤)
وأفادت قراءة ﴿طَائِفٌ﴾ وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر أن تؤثر فيهم، أو من طاف به الخيال يطيف طيفاً. (٥)

(١) انظر: القاموس المحيط ص ٧٤١. مادة مسّ.

(٢) انظر: معجم ألفاظ القرآن ص ٣٢٠.

(٣) انظر: فتح القدير (٢٧٩/٣). وتفسير التحرير والتنوير (٢٣٢/٥). وتفسير المراعي (٧-٩/١٥٠-١٥١).

(٤) انظر: الكشاف (٢٣٠/٢).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي ص ٢٣٣. وتفسير القرطبي (٣٠٠/٤).

* قال الشوكاني: "قرأ أهل البصرة ﴿طَيْفٌ﴾ وكذا أهل مكة، وقرأ أهل المدينة والكوفة ﴿طَائِفٌ﴾ وقيل الطيف والطائف معنيان مختلفان، فالأول: التخيل، والثاني: الشيطان نفسه فالأول: من طاف الخيال يطوف طيفاً، ولم يقولوا من هذا الطائف، لأنه تخيل لاحقيقة له. قال الزجاج: طفت عليهم أطوف، فطاف الخيال يطيف؛ وسميت الوسوسة طيفاً لأنها لَمَّة من الشيطان تشبه لَمَّة الخيال". (١)

* قال الدكتور محيسن: "قرأ أبو عمرو ويعقوب وابن كثير والكسائي ﴿طَيْفٌ﴾ بحذف الألف التي بعد الطاء، وإثبات ياء ساكنة بعدها مكان الهمزة والفاء على وزن (ضيف) مصدر، من طاف يطيف.

وقرأ الباقر ﴿طَائِفٌ﴾ بألف بعد الطاء وهمزة مكسورة من غير ياء، اسم فاعل، من طاف يطوف". (٢)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بين القراءتين تفسيرية تحذر الإنسان من

مكائد الشياطين، حيث إن كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، فإذا مامس الإنسان المؤمن ﴿طَيْفٌ﴾ أو مجرد الطيف من الشيطان يعني مجرد الخيال الذي يراه في المنام، فعليه أن

يفزع إلى الله بالإجارة والأستعاذة، من قرأ ﴿طَائِفٌ﴾ هو تغير حالة الغضبان بإثارة ثائرتة، كأنما الشيطان استخفه حتى تهافت فيما تهافت فيه الجنون، من سفك الدم الحرام، وفعل المنكرات فعليه أن يفزع إلى الله بالإجارة والأستعاذة وهذا شأن العقلاء الأتقياء والله أعلى وأعلم.

٤٠ - ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف ٢٠٢].

أولاً: القراءات :

١. قرأ المدنيان ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ بضم الياء وكسر الميم.
٢. وقرأ الباقون ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ بفتح الياء وضم الميم. (٣)

(١) فتح القدير (٢٧٩/٢). وانظر: تفسير الطبري (١٠٦/٥-١٠٧)، والتحرير والتنوير (٢٣٢/٥). وتفسير البغوي (٣١٧/٣).
(٢) المستنير (٢٠٧/١).
(٣) النشر في القراءات العشر (٢٠٦/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات :

{مدد}: مدّه يمده مداً ومدّ به فامتدّ ومدّده فتمدّد، والمدّ الزيادة في الشيء من جنسه، والشيء إذا مدّ الشيء فكان زيادة فيه، فهو يمده؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنِينَ﴾ [الإسراء ٦] وشيء مديد: ممدود، ورجل مديد الجسم: طويل القامة، ومدّ النهر إذا جرى فيه. (١)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تكمل الآية الكريمة مشهداً تظهر من خلال لوحة فنية تبين المقارنة بين فريقين من البشر؛ حيث

قال ﷺ: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ﴾ يعني إخوان الشياطين من شياطين الجن والإنس يمدونهم في الضلال والمعاصي أي في الغي، يعني: يمدونهم ويزيدونهم فيه ويزينون لهم ما هم فيه من الضلال والغواية، وإخوانهم يعود إلى الشياطين، والمراد به الجنس، وقيل الفجار من الإنس فهم إخوان الشياطين لأنهم يقبلون منهم ويقتدون بهم، ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ عما قصر عنه الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان، وهذا خبر من الله عن فريقي الإيمان والكفر بأن فريق الإيمان وأهل تقوى الله إذا مسهم الشيطان فزعوا إليه ﷻ بالتوبة والإنابة، وأما فريق

الكفر يزيدهم الشيطان غياً إلى غيهم، فإذا ما ركبوا متن المعاصي لا يحجزهم تقوى الله ولا خوف المعاد اليه عن التماذي فيها والزيادة منها فهو دائم الزيادة في ركوب الإثم والمعاصي ﴿لَا يُفْصِرُونَ﴾ أي: لا يمسكون عن إغوائهم ولا يرحمونهم، من أقصرت عنه أي: كفت ونزعت مع القدرة، فإذا عجزت عنه قلت: قصرت بلا ألف. (٢)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة ﴿يَمْدُونَهُمْ﴾ بفتح الياء وضم الميم، من (مدّ) يقال مددت في الشر، قال تعالى في معنى الشر: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة ١٥] وهذا يدل على قوة الفتح في الحرف، لأنه في الشر؛ أما قراءة ﴿يَمْدُونَهُمْ﴾ بضم الياء وكسر الميم من (أمدّ) يقال أمددت في الخير قال تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون ٥٥] وقال أيضاً: ﴿وَأَمْدَدْنَاَهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور ٢٢] ويقال أمددت القوم بمال ورجال. (٣)

(١) انظر: لسان العرب ٣/٣٩٧. مادة مدد.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠٨/٥). ومجمع البيان (٣٨٣/٤). وفتح القدير (٢٨٠/٢). والفريد (٣٩٩/٢).

(٣) انظر: فتح القدير (٢٨٠/٢).

حرف المضارعة وضم الميم وهما لغتان: يقال مدّ وأمدّ قال مكي بن أبي طالب: ومدّ أكثر، وقال أبو عبيدة وجماعة من أهل اللغة: فإنه يقال إذا كثّر شيء شيئاً بنفسه مدّه، إذا كثّره بغيره قيل أمدّه نحو ﴿يَمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران ١٢٥] ويقال مددت في الشرّ وأمددت في الخير. (٣)

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بين القراءتين تفسيرية، الغرض منها الحذر

كل الحذر من إخوان الشياطين من الإنس والجن، فهم يمدون الشخص بالغي مدّاً، إما بالغي والضلال

المباشر على وجه الشر أو بأسباب الغواية من المال والبنين وغيرهما من متاع الدنيا الزائلة على وجه الخير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون ٩].

(١) انظر: الكشف (٤٨٧/١). ومفاتيح الأغاني ص ١٨٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني ووقفني إلى إتمام هذا العمل المتواضع سائلة المولى ﷺ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به الإسلام والمسلمين؛ والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المجاهدين سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد:

فهذه وأهمّ النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة .

أولاً: أهمّ النتائج :

١. دراسة القراءات القرآنية وتفسير القرآن الكريم بها تعدّ من أجلّ العلوم وأشرفها، فهي تستمد هذا الشرف والعظمة من كلام الله ﷻ .

١. القراءات القرآنية ما هي إلا لون من ألوان الإعجاز القرآني الذي لا ينتهي؛ ولا يقف عند حدّ من الحدود فهو النهر المتدفق بالمعاني المتجددة .

٢. اختلاف القراءات القرآنية هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، فهذا محال في كلام الله ، كما ويظهر من وراء هذا الاختلاف حكم وفوائد عظيمة.

٣. لايجوز لشخص مهما كان أن يفاضل أو يمايز بين القراءات السبع والثلاث المتممة للعشر فجميعها متواترة.

٤. القراءات القرآنية أثمرت تنوعاً في التفسير من جوانب عدّة منها :-

أ- قراءات بينت معنى الآية ووضحته.

ب- قراءات وسعت معنى الآية .

ج- قراءات أزال الإشكال عن الآية .

د - قراءات خصصت عموم الآية .

هـ - قراءات بينت إجمال الآية .

٥ . يحتاج هذا اللون من التفسير إلى طول بحث، للوصول إلى أسمى وأهم مقاصد الشريعة الغراء.

٦ . القراءات القرآنية عنصر هام، وعامل حيوي وفعال في تفسير القرآن؛ حيث إن كل قراءة تسد مسد آية ، وهذا لون من ألوان الإعجاز البياني.

٧ . يعتقد بعض العلماء والباحثين، أن كثيراً من القراءات القرآنية هي من قبيل تعدد اللغات، أو الاختلاف في أصول القراءة كالإمالة والهمز والتلين والمد وغيرها، إلا أن هذا اللون ظهر أثره واضحاً وجلياً في عدة أمور منها :-

أ- بيان الحالة النفسية .

ب- لون من ألوان الإعجاز العلمي .

ج- توصيف للفظة القرآنية.

٨ . القراءات القرآنية هي الأساس في تقعيد القواعد، ووضع الأسس للأصول والأقيسة والقواعد، لذا لا يجوز بأي حال من الأحوال، ردها إلى هذه القواعد، ثم إصدار الحكم عليها لأنها هي الأصل في التأصيل.

٩ . يعتبر حديث الأحرف السبعة من الأحاديث المتواترة.

١١ . الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات العرب، تختلف في هيئة النطق والأداء، وتتفق في بيان المعنى، وكان إنزالها توسعةً من الله ورحمةً على الأمة.

١٢. يمكن الاستفادة من القراءات الشاذة باعتبارها من القراءات التفسيرية، دون الحكم عليها بأنها قرآن.

ثانياً: أهمية التوصيات والمقترحات :

وبعد هذا العمل المتواضع ترى الباحثة الآتي :-

١. توجيه المهتمين بالدراسات الشرعية لضرورة الاهتمام والعناية بالقراءات القرآنية من عدة نواحٍ منها :-

أ- حفظ القراءات القرآنية وتعلمها من خلال تلقّيها عمّن اتصل سندهم برسول الله ﷺ .

ب- السعي الحثيث لإعداد دورات تفسير في المؤسسات العلمية والمساجد، يتم التعرض من خلالها للقراءات القرآنية، والوقوف على معانيها الجميلة في التفسير، كلون من ألوان الإعجاز حفظاً على الأمة لغتها .

ج- العناية بدراسة القراءات القرآنية وحفظها من قرائها المعروفين، حفظاً لكلام الله ﷻ.

٢. أوصي طلبة العلم والبحث بالعمل الجاد على جمع مثل هذه الجهود، والوقوف على ما فيها في كتاب ليكتمل الجهد وتتضح الثمرة .

٣. أوصي طلبة العلم والبحث بالوقوف على إباءات الزيادة والإضافات، فما هي إلا قرآن منزل فيه من الخيرات والثمرات ما يحتاج إلى كبير جهد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله، نهاية لا تزال تبدأ، وبداية لا تنتهي !!

كشاف آيات القراءات القرآنية

سورة الأنعام

ر. م.	الآية	رقم الآية	الصفحة
١.	﴿مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾	١٦	٥٩
٢.	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيْنَ ...﴾	٢٢	٦٢
٣.	﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾	٢٣	٦٤
٤.	﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ...﴾	٢٧	٦٦
٥.	﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ ...﴾	٣٢	٦٨
٦.	﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ ...﴾	٣٢	٦٩
٧.	﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ ...﴾	٣٣	٧٢
٨.	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ ...﴾	٣٧	٧٤
٩.	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ...﴾	٤٤	٧٦
١٠.	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ...﴾	٥٢	٧٧
١١.	﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ ...﴾	٥٤	٨١
١٢.	﴿وَكَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ وَلِنَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾	٥٥	٨٣
١٣.	﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي ...﴾	٥٧	٨٥
١٤.	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ...﴾	٦١	٨٦
١٥.	﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ ...﴾	٦٤،٦٣	٨٩
١٦.	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ...﴾	٦٨	٩٢
١٧.	﴿قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ...﴾	٧١	٩٣
١٨.	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَنْتَ أَخَذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ...﴾	٧٤	٩٥

ر. م.	الآية	رقم الآية	الصفحة
. ١٩	﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ ... ﴾	٨٠	٩٨
. ٢٠	﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ ... ﴾	٨٣	١٠٠
. ٢١	﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا ... ﴾	٨٦	١٠٢
. ٢٢	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ... ﴾	٩١	١٠٤
. ٢٣	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ... ﴾	٩٢	١٠٧
. ٢٤	﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... ﴾	٩٤	١٠٩
. ٢٥	﴿ فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ... ﴾	٩٦	١١٢
. ٢٦	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ... ﴾	٩٨	١١٤
. ٢٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ ... ﴾	٩٩	١١٦
. ٢٨	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ ... ﴾	١٠٠	١١٩
. ٢٩	﴿ وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا لَئِن لَّبِئْتُمْ لَقَوْمٌ ... ﴾	١٠٥	١٢١
. ٣٠	﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا ... ﴾	١٠٨	١٢٤
. ٣١	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ ... ﴾	١٠٩	١٢٦
. ٣٢	﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى ... ﴾	١١١	١٢٩
. ٣٣	﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ ... ﴾	١١٤	١٣١
. ٣٤	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ... ﴾	١١٥	١٣٣
. ٣٥	﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ ... ﴾	١١٩	١٣٥
. ٣٦	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ... ﴾	١٢٥	١٣٩
. ٣٧	﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْرَهْتُمْ ... ﴾	١٢٨	١٤٢
. ٣٨	﴿ وَكُلُّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾	١٣٢	١٤٤
. ٣٩	﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ ... ﴾	١٣٥	١٤٦
. ٤٠	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا ... ﴾	١٣٦	١٤٩

٤١	﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا لِأَدِهِمْ... ﴾	١٣٧	١٥٠
٤٢	﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا... ﴾	١٣٩	١٥٣
٤٣	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ... ﴾	١٤١	١٥٥
٤٤	﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ... ﴾	١٤٣	١٥٧
٤٥	﴿ قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ... ﴾	١٤٥	١٥٩
٤٦	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ... ﴾	١٥٢	١٦١
٤٧	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا... ﴾	١٥٣	١٦٣
٤٨	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ... ﴾	١٥٨	١٦٥
٤٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسَتَ مِنْهُمْ فِي... ﴾	١٥٩	١٦٧
٥٠	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ... ﴾	١٦٠	١٧٠
٥١	﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا... ﴾	١٦١	١٧٢

سورة الأعراف

ر . م	الآية	رقم الآية	الصفحة
١	﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ... ﴾	٣	١٨٩
٢	﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾	٢٥	١٩١
٣	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ... ﴾	٣٢	١٩٣
٤	﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ... ﴾	٣٨	١٩٥
٥	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ... ﴾	٤٠	١٩٧
٦	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ... ﴾	٤٣	٢٠٠
٧	﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا... ﴾	٤٤	٢٠٢
٨	﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ... ﴾	٥٤	٢٠٥
٩	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ... ﴾	٥٧	٢٠٨
١٠	﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَأ... ﴾	٥٨	٢١١
١١	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا... ﴾	٥٩	٢١٣
١٢	﴿ أُنَبِّئُكُمْ بِرِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا... ﴾	٦٢	٢١٥
١٣	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ... ﴾	٦٦	٢١٧
١٤	﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ... ﴾	٨١	٢١٩

٢٢١	٩٨	﴿أَوْ آمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾	.١٥
٢٢٤	١٠٥	﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُمْ بِبَيِّنَةٍ...﴾	.١٦
٢٢٦	١١٢	﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾	.١٧
٢٢٨	١١٧	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ...﴾	.١٨
٢٣٠	١٢٧	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا...﴾	.١٩
٢٣٢	١٣٧	﴿وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ...﴾	.٢٠
٢٣٤	١٣٨	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ...﴾	.٢١
٢٣٦	١٤١	﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ...﴾	.٢٢
٢٣٨	١٤٣	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ...﴾	.٢٣
٢٤٠	١٤٦	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ...﴾	.٢٤
٢٤٢	١٤٨	﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عَجَلًا جَدًّا لَهُ...﴾	.٢٥
٢٤٤	١٤٩	﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا...﴾	.٢٦
٢٤٧	١٥٠	﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا...﴾	.٢٧
٢٤٩	١٥٧	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا...﴾	.٢٨
٢٥١	١٦١	﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ...﴾	.٢٩
٢٥٣	١٦٤	﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ...﴾	.٣٠
٢٥٥	١٧٢	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ...﴾	.٣١
٢٥٧	١٧٣	﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ...﴾	.٣٢
٢٥٩	١٨٠	﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ...﴾	.٣٣
٢٦١	١٨٦	﴿مَنْ يَضَلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	.٣٤
٢٦٣	١٩٠	﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ...﴾	.٣٥
٢٦٥	١٩٣	﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ...﴾	.٣٦
٢٦٧	١٩٥	﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا أَمْ...﴾	.٣٧
٢٦٩	١٩٦	﴿إِنَّ وِلْيَةَ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾	.٣٨
٢٧١	٢٠١	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا...﴾	.٣٩
٢٧٣	٢٠٢	﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾	.٤٠

كشاف الأحاديث والآثار

رقم	طرف الحديث	الصفحة
١.	لا يشكر الله من لا يشكر الناس.	ث
٢.	خيركم من تعلم القرآن وعلمه.	ذ
٣.	أنزل القرآن على سبعة أحرف... ﴿﴾	٢٧،٢
٤.	اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل.	٨
٥.	إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه.	١٦،١٥
٦.	أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني،... ﴿﴾	٢٢
٧.	إن الله يأمرك أن تقرأ أمثك القرآن على حرف... ﴿﴾	٢٨،٢٣
٨.	يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز... ﴿﴾	٢٧
٩.	إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش... ﴿﴾	٣٤
١٠.	نزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفاً من... ﴿﴾	٤٨
١١.	نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة، حولها سبعون... ﴿﴾	٥٠،٤٩
١٢.	قال لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق... ﴿﴾	٤٩
١٣.	نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين... ﴿﴾	٤٩
١٤.	إن من أكبر الكبائر أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك... ﴿﴾	٥٥
١٥.	إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي	٥٧
١٦.	إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين من سورة... ﴿﴾	٥٨
١٧.	والذي نفسي بيده ما من أحد يدخل الجنة بعمله... ﴿﴾	٦٠
١٨.	لقي أبا جهل فصافحه قال له رجل ألا أراك تصافح هذا الصائب... ﴿﴾	٧٣
١٩.	النبي ﷺ قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من... ﴿﴾	٧٨
٢٠.	يقبض ملك الموت الروح من الجسد ثم يسلمها... ﴿﴾	٧٨
٢١.	أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله... ﴿﴾	١٠٥

كشافه الأعلام المترجم لهم

الصفحة	الاسم	ر.م
٩٦	ابن سفيان بن عوف بن كعب الكلابي، الضحاك.	١.
٦١	أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب، سيبويه.	٢.
٢٠٤	أحمد بن عبد الله بن علي ابن طاوس.	٣.
٦	أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، ابن فارس.	٤.
٩٦	أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد حبيب اللغوي.	٥.
١٢	أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني .	٦.
٣٣	أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي.	٧.
٩٦	اسماعيل بن حماد الجوهرى.	٨.
٤٩	اسماعيل بن عبد الرحمن السدي.	٩.
٩	جبر وأبو الحجاج ، من التابعين والأئمة المفسرين، ابن مجاهد.	١٠.
١٦	الحارث بن هشام هو: بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي.	١١.
١٩	الحسن بن أبي الحسن يسار، السيد الإمام أبو سعيد البصري.	١٢.
١٦٤	الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، أبو علي الفارسي.	١٣.
٦	الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني.	١٤.
١٧	حموش بن مختار القيسي، أبو محمد القيرواني، المعروف بابن جني.	١٥.
١٩٠	خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى.	١٦.
١٦	سعيد بن العاص، المدني.	١٧.
٩٦	سليمان بن علي مُشَرَّف التميمي.	١٨.
١٩	سليمان بن مهران، الإمام العلم أبو محمد الأسدي، الأعمش.	١٩.
٢٥	سهل بن محمد السجستاني، كنيته أبو حاتم.	٢٠.
٤٩	شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي.	٢١.
٤٩	شهر بن حوشب الأشعري.	٢٢.
١٢٣	عبد الحميد ابن عبد الحميد تخرج به سيبويه، الأخفش.	٢٣.
٢٥	عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار، أبو الفضل الرازي.	٢٤.
٦	عبد الله بن الحسين بن العكبري، أبو البقاء.	٢٥.

الصفحة	الاسم	ر.م
٢٥، ١٣١	عبد الله بن مسلم الدينوري، كنيته أبو محمد الشهير بابن قتيبة.	.٢٦
٢١٦	عبد الملك بن قريب بن علي بن أجمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي.	.٢٧
١٢٨	علي بن حمزة، أبو الحسن الكسائي.	.٢٨
٢٧	القاسم بن سلام، أبو عبيد الخرساني الأنصاري مولا هم البغدادي.	.٢٩
٨	المبارك بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، يكنى أبا السعادات.	.٣٠
٣	محمد الأمين بن محمد المختار، ولد بالقطر والمسمى بالشنقيطي.	.٣١
٩	محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الذهبي شمس الدين، أبو عبد الله.	.٣٢
٧	محمد بن بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أبو عبد الله.	.٣٣
٢٣	محمد بن حبان البستي .	.٣٤
٧	محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد، الزرقاني المصري.	.٣٥
١٩	محمد بن عبد الرحمن بن السميفع، أبو عبد الله اليماني.	.٣٦
١٩	محمد بن عبد الرحمن بن محيصة السهمي، ابن محيصة.	.٣٧
٧	محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله المصري الزركشي الشافعي.	.٣٨
٢١	محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد، الإمام أبو بكر بن العربي.	.٣٩
٧	محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الأندلسي.	.٤٠
١١	محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري.	.٤١
١٩، ٦	محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقة بن منظور.	.٤٢
٩٦	مقاتل بن عبد العزيز، أبو محمد البرقي، ثم الإسكندراني المقرئ.	.٤٣
١٩	يحيى بن المبارك بن المغيرة، الإمام أبو محمد المعروف باليزيدي.	.٤٤
٩٦	يحيى بن زياد، أبو زكريا الفراء.	.٤٥
١١٨	يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي .	.٤٦
٧٣	يزيد بن القعقاع المدني الإمام، أحد العشرة.	.٤٧

فهرست المصادر والمراجع

يشتمل على:

أولاً: فهرس المصادر والمراجع.

ثانياً: فهرس المواقع الإلكترونية على شبكة المعلومات.

ثالثاً: المكتبات الإلكترونية التي استعنت بها في عملية البحث

(CD – RW).

كتب ومواقع إلكترونية :

١. الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني . إياد السامرائي: (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية [www. Tafsir .net](http://www.Tafsir.net)) .
٢. المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات. د. أحمد سعد الخطيب (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir .net).
٣. موقع لمسات: شبكة المعلومات الدولية-جوجل/<http://www.lamasaat.8m.com>).

مكتبات إلكترونية مُساعِدة :

١. مكتبة التفسير وعلوم القرآن.
٢. المكتبة الألفية للسنة النبوية.
٣. مكتبة اللغة العربية وعلومها.
٤. مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية.
٥. المكتبة الشاملة.

فهرست المصادر والمراجع

١. الإبانة عن معاني القراءات / مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق: د. محيي الدين رمضان دار المأمون للتراث . دمشق - بيروت . الطبعة الأولى . ١٩٧٩م.
٢. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر / شهاب الدين الدمياطي الشهير بالبناء - وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت . ٢٠٠١م.
٣. الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي بأسفل الصحائف إعجاز القرآن / القاضي أبو بكر الباقلاني. دار المعرفة بيروت - لبنان. الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٤. الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها / حسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية - بيروت. الطبعة الأولى . ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٥. أساس البلاغة / الإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ. تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان الطبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٦. الأساس في التفسير / سعيد حوى: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة الخامسة. ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٧. أسباب النزول / أبو الحسن الواحدي - تحقيق: أيمن صالح شعبان: دار الحديث - القاهرة - ٢٠٠٣م.
٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين الشنقيطي: دار إحياء التراث العربي - بيروت . الطبعة الأولى . ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٩. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / محمد سامي محمد علي . دار المحبة - دمشق.
١٠. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي - تحقيق: عبد الله المنشاوي: مكتبة الإيمان - المنصورة . الطبعة الأولى . ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١. إعراب القرآن الكريم وبيانه / محيي الدين درويش: دار ابن كثير و اليمامة - دمشق ، بيروت الطبعة الثامنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٢. الأعلام . لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين / خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين .بيروت الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.
١٣. إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جمبع القرآن / لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكبري. دار الفكر للطباعة .الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٤. إنباه الرواة على أنباه النحاة / جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: دار الفكر العربي - القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .الطبعة الأولى. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٥. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم / عبد الله محمود شحاتة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .الطبعة الثانية. ١٩٨١م.
١٦. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (وبهامشه نهر الخبر على أيسر التفاسير). / أبي بكر الجزائري مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.
١٧. الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القزويني: دار إحياء العلوم . بيروت - الطبعة الرابعة. ١٩٩٨م.
١٨. البداية والنهاية / أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير: مكتبة المعارف - بيروت.
١٩. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / محمد بن علي الشوكاني: دار المعرفة - بيروت.
٢٠. البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدري / عبد الفتاح القاضي: مكتبة أنس بن مالك .مكة المكرمة .الطبعة الأولى .١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢١. البرهان في علوم القرآن / بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - خرَّج حديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا. المكتبة العصرية .صيда - بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

٢٢ . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز / الفيروز آبادي - تحقيق: محمد علي النجار: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي . الطبعة الثانية. ١٩٨٦م.

٢٣ . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين السيوطي . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العصرية - بيروت.

٢٤ . بغية عباد الرحمان لتحقيق تجويد القرآن في رواية حفص بن سليمان من طريق الشاطبية / محمد بن شحادة الغول . دار بن القيم للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية.

٢٥ . بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / فاضل السامرائي: دار عمار - عمان . الطبعة الأولى . ١٩٩٩م.

٢٦ . بلاغة الكلمة والجملة والجمال/ د. منير سلطان أستاذ النقد والبلاغة - كلية البنات - جامعة عين شمس. الطبعة السادسة ١٩٩٦م.

٢٧ . تاريخ بغداد / أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي: دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٨ . تأويل مشكل القرآن / عبد الله بن مسلم بن قتيبة . شرحه ونشره: السيد أحمد صقر: دار التراث - القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢٩ . التحرير والتنوير / محمد الطاهر ابن عاشور: دار سحنون للنشر والتوزيع . تونس . ١٩٩٧م.

٣٠ . التعبير القرآني / فاضل السامرائي: دار عمار . عمان . الطبعة الأولى. ١٩٩٨م.

٣١ . تفسير ابن أبي زمنين وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام / أبي عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المرى . تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيري . منشورات ببيوضون - دار الكتب العلمية . بيروت - لبنان . الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٢ . تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) / أبو السعود محمد بن محمد العمادي . تحقيق عبد القادر أحمد عطا . مكتبة الرياض الحديثة البطحاء - الرياض . الطبعة الثانية ١٤٠٢ - ١٩٨٢م.

٣٣ . تفسير البحر المحيط / محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي . طبعة جديدة بعناية : صدقي محمد جميل : دار الفكر . بيروت - لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- ٤٤ . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / د. وهبة الزحيلي: دار الفكر - دمشق. الطبعة الثانية . ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٤٥ . تفسير النسفي / أبو البركات النسفي: مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده - مصر.
- ٤٦ . تفسير النهر الماد / لأبي حيان الأندلسي المتوفى ٧٥٤هـ. تقديم وضبط بوران ، وهديان الضناوي .مركز الخدمات والأبحاث الثقافية. دار الجنان . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٤٧ . التفسير الواضح / محمد محمود حجازي. جامعة الأزهر الطبعة. مطبعة الاستقلال الكبرى. الطبعة السادسة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ٤٨ . تفسير غريب القرآن / أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق: السيد أحمد صقر: دار الكتب العلمية - بيروت . ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٤٩ . تفسير مجاهد / مجاهد بن جبر المخزومي التابعي - تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي : المنشورات العلمية - بيروت.
- ٥٠ . التفسير والمفسرون / د. محمد حسنين الذهبي .مكتبة وهبة القاهرة. الطبعة السابعة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٥١ . تقريب التهذيب / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: محمد عوامة: دار الرشيد - سوريا. الطبعة الأولى . ١٩٨٦م.
- ٥٢ . تناسق الدرر في تناسب السور / جلال الدين السيوطي - دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٥٣ . تنوير المقباس من تفسير ابن عباس / أبو طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي: دار الفكر.
- ٥٤ . التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية / د. أحمد سعد محمد :مكتبة الآداب. ميدان الأوبرا- القاهرة - الطبعة الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٥٥ . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تحقيق عبد الرحمن بن معلّ الأويحيق: مؤسسة الرسالة - بيروت . الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

٦٦. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / شيخ الإسلام أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني . دار الجيل - بيروت.
٦٧. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب / إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون: دار الكتب العلمية - بيروت.
٦٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / شهاب الدين محمود الألوسي: عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية ، المرحوم السيد محمود شكري الألوسي البغدادي .مكتبة دار التراث - القاهرة.
٦٩. زاد المسير في علم التفسير / عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - تحقيق: زهير الشاويش: المکتب الإسلامي - بيروت - ط٣ - ١٤٠٤هـ.
٧٠. زبدة التفاسير / محمد متولي الشعراوي .. أعده وعلق عليه وقدم له . عبد الرحيم متولي الشعراوي المكتبة التوفيقية القاهرة- مصر .
٧١. سنن ابن ماجة / أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني .تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار الفكر - بيروت.
٧٢. سنن أبي داود / سليمان بن أشعث السجستاني - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار الفكر.
٧٣. سنن البيهقي الكبرى / أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي - تحقيق: محمد عبد القادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة . ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٧٤. سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٧٥. سنن الدارمي / عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي - تحقيق: فواز أحمد زمرلي و خالد السبع العلمي: دار الكتاب العربي - بيروت . الطبعة الأولى - بيروت . ١٤٠٧هـ.
٧٦. سنن النسائي (المجتبى) / أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي . تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة: مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب . الطبعة الثانية. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٧٧. سير أعلام النبلاء / أبو عبد الله الذهبي - تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوس: مؤسسة الرسالة - بيروت . الطبعة التاسعة. ١٤١٣هـ.

٧٨. **الشامل في القراءات المتواترة /** محمد حبش: دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت الطبعة الأولى. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٧٩. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب /** الأديب أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: دار الكتب العلمية - بيروت.
٨٠. **شرح المفصل /** ابن يعيش: عالم الكتب - بيروت ، مكتبة المنتبي - القاهرة.
٨١. **شرح ديوان عنتر بن شداد.** شرح وتعليق عباس إبراهيم. دار الفكر العربي .
٨٢. **صحيح مسلم /** الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار الفكر. ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٨٣. **صحيح مسلم بشرح النووي /** أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي: دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة الثانية. ١٣٩٢هـ.
٨٤. **صفوة التفاسير /** محمد علي الصابوني: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى . ٢٠٠٤م.
٨٥. **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة /** القاضي أبي بكر العربي. حققه وعلق حواشيه. محب الدين الخطيب. المكتبة العلمية. بيروت- لبنان . الطبعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٨٦. **غاية النهاية في طبقات القراء /** شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري: عني بنشره ج برجستراسر - دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الثالثة. ١٩٨٢م.
٨٧. **غيث النفع في القراءات السبع /** ولي الله سيدي علي النوري الصفاقسي، يليه بلوغ الأمنية، وهو شرح فضيلة الشيخ علي محمد الضباع شيخ المقارئ المصرية، على تحرير مسائل الشاطبية. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٨٨. **فتح الباري شرح صحيح البخاري /** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: محب الدين الخطيب . ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي: دار الريان للتراث -القاهرة.
٨٩. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير /** محمد بن علي بن محمد الشوكاني - اعتنى به: يوسف الغوش: دار المعرفة - بيروت. الطبعة الثالثة. ١٩٩٧م.

٩٠. الفريد في إعراب القرآن المجيد / حسين بن أبي العز الهمذاني . تحقيق: فهمي حسن النمر و فؤاد علي مخيمر: دار الثقافة - الدوحة. الطبعة الأولى. ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٩١. في رحاب التفسير / عبد الحميد كشك: المكتب المصري الحديث.
٩٢. في ظلال القرآن / سيد قطب رحمه الله : دار الشروق - بيروت ، القاهرة - الطبعة الشرعية الخامسة عشرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٩٣. الفهرست / للنديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بالوراق تحقيق رضا تجدد ابن علي بن زين العابدين الحائري المازندراني : دار المسيرة الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.
٩٤. فيض الرحيم في قراءات القرآن الكريم .القراءات السبع بروايات عدة .اعداد سعيد محمد اللحام .عالم الكتب ص٣-٢٢. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٩٥. القراءات أحكامها ومصدرها / شعبان محمد إسماعيل : مطبوعات رابطة العالم الإسلامي . جدة - السنة الثانية العدد التاسع عشر . ١٤٠٢هـ
٩٦. القراءات القرآنية (تاريخ وتعريف) / عبد الهادي الفضلي: دار القلم - بيروت . الطبعة الثالثة . ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٩٧. القراءات القرآنية من الوجة البلاغية / فضل عباس: مجلة دراسات - المجلد الرابع عشر - العدد السابع . ١٩٨٧م.
٩٨. القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (رسالة دكتوراة)إعداد : محمد بن عمر بن سالم بازمول - إشراف: د. عبد الستار فتح الله سعيد : دار الهجرة - الرياض . الطبعة الأولى . ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٩٩. القراءات وأثرها في علوم العربية / محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت . الطبعة الأولى . ١٩٩٨م.
١٠٠. كتاب الأغاني / أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني . تحقيق: سمير جابر: دار الفكر - بيروت . الطبعة الثانية.
١٠١. كتاب التذكرة في القراءات / الشيخ أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون .تحقيق د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم . الزهراء للإعلام العربي - القاهرة. الطبعة الأولى . ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٠٢. كتاب السبعة في القراءات / ابن مجاهد - تحقيق: شوقي ضيف: دار المعارف الطبعة الثالثة .
١٠٣. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. شرحه وضبطه وراحعه: يوسف الحمادي: مكتبة مصر - الفجالة.
١٠٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي: دار الكتب العلمية - بيروت . ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٠٥. الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها / مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق: محيي الدين رمضان: مؤسسة الرسالة . الطبعة الخامسة . ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٠٦. كلمات القرآن تفسير وبيان / حسنين محمد مخلوف: دار القلم بيروت. ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
١٠٧. الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية . لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. أعده للطبع ووضع فوارسه د. عدنان درويش . ومحمد المصري. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٠٨. لباب النقول في أسباب النزول / جلال الدين السيوطي - خرج أحاديثه: محمود بن الجميل: مكتبة الصفا - القاهرة - ط الأولى - ٢٠٠٢م.
١٠٩. اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل دمشقي الحنبلي - تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى. ١٩٩٨م.
١١٠. لسان العرب / ابن منظور: دار صادر - بيروت.
١١١. لطائف الإشارات لفنون القراءات / شهاب الدين القسطلاني. تحقيق وتعليق: الشيخ عامر السيد عثمان. د. عبد الصبور شاهين : لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة . ١٩٧٢م.

١١٢. اللع البهية في قواعد اللغة العربية / محمد محمود عوض الله الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م .

١١٣. مباحث في التفسير الموضوعي / مصطفى مسلم: دار القلم - دمشق الطبعة الأولى
١٩٨٩م.

١١٤. مباحث في علوم القرآن / مناع القطان: مؤسسة الرسالة . بيروت الطبعة التاسعة .
١٩٨٠م.

١١٥. مجاز القرآن / أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي . تحقيق: محمد فؤاد سزكين: مكتبة
الخانجي بالقاهرة.

١١٦. مجمع البيان في تفسير القرآن / أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي: دار الفكر -
بيروت . ١٩٩٤م.

١١٧. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها / أبو الفتح عثمان بن جني.
تحقيق: علي النجدي ناصف ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
- لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة . ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١١٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن
عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد : دار الكتب العلمية . بيروت.
الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١١٩. مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي - عُني بترتيبه: محمود أفندي خاطر،
وضبطه وراجعه: الشيخ حمزة فتح الله: طباعة نظارة المعارف العمومية- المطبعة الأميرية
بمصر . الطبعة الثانية - ١٩١٠م.

١٢٠. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز / شهاب الدين عبد الرحمن بن
إسماعيل ابن إبراهيم (المعروف أبو شامة المقدسي) - تحقيق: طيار آلي قولاغ: دار
صادر بيروت. ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٢١. المستدرك على الصحيحين / أبو عبد الله الحاكم النيسابوري . تحقيق: مصطفى عبد
القادر عطا: دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . ١٩٩٠م - ١٤١١هـ.

١٢٢. المستنير في تخريج القراءات المتواترة / د. محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت.

١٢٣. مسند أحمد تأليف: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: مؤسسة قرطبة - مصر.

١٢٤. مشكل إعراب القرآن / لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق د. حاتم صالح الضامن. كلية الآداب - جامعة بغداد. مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٢٥. مشكل إعراب القرآن / مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: حاتم صالح الضامن: مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الرابعة - ١٩٨٨م.

١٢٦. معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي / أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. حققه وخرج أحاديثه. محمد عبد الله النمر. عثمان جمعة ضميرية. سليمان مسلم الحرش. دار طبية للنشر والتوزيع. الرياض. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٢٧. معاني الأبنية في العربية / فاضل السامرائي: ساعدت جامعة بغداد على نشره. الطبعة الأولى. ١٩٨١م.

١٢٨. معاني القراءات / أبو منصور الأزهرى. تحقيق: أحمد فريد المزيدي: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى. ١٩٩٩م.

١٢٩. معاني القرآن / أبو جعفر النحاس. تحقيق: يحيى مراد: دار الحديث - القاهرة. ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٣٠. معاني القرآن / أبو زكريا الفراء: عالم الكتب. بيروت. الطبعة الثالثة. ١٩٨٣م.

١٣١. معاني القرآن / الأخفش. دراسة وتحقيق: عبد الأمير محمد أمير الورد: عالم الكتب. بيروت - الطبعة الأولى. ١٩٨٥م.

١٣٢. معاني القرآن وإعرابه / أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج. تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي. عالم الكتب-بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٣٣. معترك الأقران في إعجاز القرآن / الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق علي محمد البجاوي: دار الفكر العربي.

١٤٥. مناهل العرفان في علوم القرآن / الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني - تحقيق: أحمد بن علي. دار التراث العربي. بيروت - لبنان .
١٤٦. منجد المقرئين ومرشد الطالبين / ابن الجزري: دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
١٤٧. المنجد في الأعلام إعداد. مجموعة من المؤلفين: دار المشرق - بيروت. الطبعة السابعة عشر. ١٩٩١م.
١٤٨. منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره (رسالة ماجستير) إعداد: د. عبد الرحمن الجمل: إشراف: د. فضل عباس ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٤٩. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي: المؤسسة المصرية العامة للتأليف - مصر.
١٥٠. النشر في القراءات العشر / الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري - خرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت . الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٥١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / برهان الدين البقاعي - خرج آياته وأحاديثه: عبد الرازق المهدي: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة . الأولى - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٥٢. الهادي (شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها) / محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
١٥٣. وفيات الأعيان وأنباء الزمان / أبو العباس ابن خلّكان - تحقيق: إحسان عباس: دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٨م.

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ت	الإهداء
ث	شكر وتقدير
ح	مفتاح مختصرات ورموز الرسالة
ذ	المقدمة
٤٤-١	التمهيد: مدخل إلى علمي التفسير والقراءات
٢	المطلب الأول : القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز القرآني
٦	المطلب الثاني : التفسير والتأويل والفرق بينهما
٦	أ. معنى التفسير لغة واصطلاحاً.
٨	ب. معنى التأويل لغة واصطلاحاً.
١٠	ج. الفرق بين التفسير والتأويل .
١٠	المطلب الثالث: علاقة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة.
١٠	أولاً: القراءات لغة .
١١	ثانياً: القراءات اصطلاحاً.
١٣	ثالثاً: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن.
١٥	المطلب الرابع: نشأة القراءات وأقسامها وحكم الاحتجاج بها.
١٥	أولاً: نشأة القراءات .
١٧	ثانياً: أقسام القراءات من حيث القبول وعدمه:
٢٠	ثالثاً: أنواع القراءات.
٢٢	المطلب الخامس: الأحرف السبعة معناها وفوائدها وعلاقتها بالقراءات.
٢٢	أولاً : أحاديث الأحرف السبعة.
٢٣	ثانياً : معنى الأحرف السبعة.
٢٧	ثالثاً: رتبة حديث نزول القرآن على سبعة أحرف.

٢٨	رابعاً: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف.
٣٣	خامساً: صلة القراءات بالأحرف السبعة.
٣٦	المطلب السادس: التعريف بالقراء العشرة ورواتهم.
١٧٤-٤٥	الفصل الأول: تفسير سورة الأنعام من خلال القراءات العشر المتواترة
٤٦	المبحث الأول: بطاقة تعريف بالسورة
٤٨	وجه التسمية
٥٠	الحكمة من نزولها ليلاً
٥٠	معنى الأنعام
٥٠	تاريخ نزول السورة
٥١	مناسبة السورة لما قبلها
٥٢	أهم الموضوعات التي تناولتها السورة
٥٥	أهم ما تميزت به السورة
٥٩	المبحث الثاني: عرض وتفسير آيات سورة الأنعام المتضمنة للقراءات العشر
٢٧٥-١٧٥	الفصل الثاني: تفسير سورة الأعراف من خلال القراءات العشر المتواترة
١٧٦	المبحث الأول: بطاقة تعريف بالسورة
١٧٩	وجه التسمية
١٧٩	علاقة السورة بغيرها من السور
١٨٠	محور السورة
١٨١	أهداف السورة ومقاصدها
١٨٣	أهم الموضوعات التي تناولتها السورة
١٨٩	المبحث الثاني: عرض وتفسير آيات سورة الأعراف المتضمنة للقراءات العشر
٣٠٥-٢٧٦	الخاتمة
٢٧٦	أولاً: النتائج
٢٧٨	ثانياً: التوصيات
٣٠٥-٢٧٩	الكشافات والفهارس
٢٨٠	كشاف آيات القراءات القرآنية
٢٨٤	كشاف الأحاديث والآثار

٢٨٦	كشاف الأعلام المترجم لهم
٢٨٨	فهرست المصادر والمراجع
٣٠٣	فهرست الموضوعات
٣٠٥	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

Abstract

This study focuses on the role of the ten Quranic recitation methods in the interpretation of two major chapters, Al Ana'am and al Ara'af. The study has attempted to demonstrate how each recitation method has enriched the meaning of the whole Sura by adding new shades of meanings that reflect the wonder of Quran. Therefore, the study investigations have reached the following results:

- 1- The study of the different Quranic recitation methods has been found to be one of the most dignified field of study because it acquires this dignity and honor from the Omniscient Author.
- 2- The different recitation methods are an infinite source of interpretations that reflect the wonders of Quran.
- 3- The various methods of recitations are never signs of contradiction or of ambivalence, but rather of integrating nature that shows the great merits of such diversity.
- 4- It is not possible for any reader or interpreter to show preference of one recitation to the other since all of them are equal value and importance
- 5- The different recitation methods have yielded diverse aspects of interpretations; aspects that have demonstrated the role of the recitation method in the act of explication, expanding the meaning of the interpreted verse, and removing any ambiguity.
- 6- The different Quranic recitation methods are of vital role in the act of interpreting Quran where a verse can supplement the other in a manner which reflects the subtle miracles of Quran.

